

عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ
بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ
كَمَا يَبَيِّنُهَا سُورَةُ لُقْمَانَ

(دراسة تحليلية موضوعية)

كُتِبَ

الفقيه إلى عَفْوِ رَبِّهِ الْبَارِي

عَرَفْتُمْ صِنْتَ طَائِفَةِ الْأَرْبَابِ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَعَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَائِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عميد كلية أصول الدين والدراسات الإسلامية

بجامعة خاتم المرسلين العالمية

وأستاذ التفسير وعلوم القرآن للدراسات العليا

بالجامعة الإسلامية والمعهد العالي للأئمة والخطباء بمينيسوتا

والرئيس العام لمركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

(المجلد الأول)

من إصدارات



مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية



<https://taaselcenter.com>



arafatantawy1440@gmail.com



+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل

(٢)

عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ كَمَا يَبْنِيهَا سُورَةُ لُقْمَانَ

(دراسة تحليلية موضوعية)

كَتَبَهُ

الفقيه إلى عفوز به الباري

عَرَفْتُمْ مِنْ صُنْطَائِهِ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَعَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَتَلْمِذَّتَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عميد كلية أصول الدين والدراسات الإسلامية

بجامعة خاتم المرسلين العالمية

وأستاذ التفسير وعلوم القرآن للدراسات العليا

بالجامعة الإسلامية والمعهد العالي للأئمة والخطباء بمينيسوتا

والرئيس العام لمركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

(المجلد الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الافتتاحية

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَكِيَّةٌ غَلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦].

ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما من عبدٍ استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحةٍ إلا لم يجد

رائحة الجنة»^(٢).

ويقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ

لِرَعِيَّتِهِ؛ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٣).

(١) رواه البخاري (٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) البخاري: كتاب الأحكام (٦٧٣١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام: باب من استرعى رعية فلم ينصح (برقم: ٧١٥٠)،

ومسلم في كتاب الإيمان: باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (برقم: ١٤٢).

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وِنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد (١):

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه رضي الله عنهم، وهي في الابتداء عامة، في خطبة النكاح، وغيرها، وهي مروية عن: ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وغيرهم رضي الله عنهم.

وقد أخرجها: أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وغيرهم. - ولقد اخترت حديث ابن مسعود، وله عنه أربعة طرق:

اخترت منها الأول: عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه قال: علّمنا =

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

إن تربية الأجيال المسلمة على منهج دين الإسلام الخالص، تربية صحيحة سديدة، مهمة عظيمة ومسؤولية جسيمة، تقع مسؤوليتها على القائمين على هذا الثغر العظيم من ثغور الإسلام - ثغر التربية والتعليم -، ويقع عاتق المسؤولية على الوالدين أولاً، ثم على عاتق المرين والمصلحين القائمين على هذا الثغر العظيم، كل بحسبه ثانياً.

وإن هذه المهمة الجسيمة تتطلب من الأبوين القيام بهذا الواجب العيني على أتم الوجوه وأكملها، أداءً للأمانة، وإعذاراً إلى الله في أداء هذا الواجب العظيم، على نحو تبرأ به الذم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِيْمَانٌ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

=رسول الله ﷺ خطبة الحاجة - في النكاح وغيره-: إن الحمد لله... الحديث. أخرجه أبو داود (١: ٣٣١)، والنسائي (١/ ٢٠٨)، والحاكم (١٨٢/ ٢، ١٨٣)، والطيالسي رقم (٣٣٨)، وأحمد رقم (٣٧٢٠ و ٤١١٥)، وأبو يعلى في مسنده. وانظرها مخرجة، تخريجاً علمياً متقناً، في جزء حديثي، باسم: «خطبة الحاجة» لفضيلة محدث الأمة: محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة (١٤٠٠هـ).

حقيقة الأمانة ومفهومها

فالمعنى العام للأمانة: يتناول جميع الأوامر والنواهي الشرعية.

ومما يدلُّ على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢)

[الأحزاب: ٧٢].

– أورد الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - جمعاً من أقوال السلف في تفسير لفظ: «الأمانة»، ثم قال: «وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها؛ بل هي متفقة وراجعة إلى أنها: التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان»^(١).

– قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - في معنى الأمانة: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُني بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يَخُصَّ بقوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] بعض معاني الأمانات لما وصفنا»^(٢).

(١) انتهى من تفسير ابن كثير (٦/٤٨٩).

(٢) انتهى من تفسير الطبري (١٩/٢٠٤ - ٢٠٥).

– وقال القرطبي - رحمه الله تعالى: «والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور»^(١).

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ مَأْمُولِكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ وَآتَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأفال: ٢٧-٢٨]، فهى الله عن خيانة الأمانات، ومن أجل تلك الأمانات وأعظمها عند الله تعالى؛ تربية الأبناء.

– ومن علامات النفاق: خيانة الأمانة. فعن عبد الله بن عمرو رضي عنه، أن النبى قال: «أربع من كُنَّ فيه كان مُنافِقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أوْتِمنَ خان، وإذا حدَّثَ كذَّب، وإذا عاهدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فجرَ»^(٢).

– وقال رضي الله عنه: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه؛ أحفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨].

– قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي^(٤) - رحمه الله تعالى: في قول الله

(١) انتهى من تفسير القرطبي (١٧/ ٢٤٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤)، مسلم (٥٨).

(٣) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٦٦).

(٤) الشيخ المحقق الأصولي المفسر؛ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ) -

(١٩٠٥ - ١٩٧٤م)، هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني

الشنقيطي المدني، ولد بموريتانيا عام (١٣٢٥هـ - ١٩٠٥م)، نشأ يتيماً فكفله أخواله

وأحسنوا تربيته ومعاملته، فدرس في دارهم علوم القرآن الكريم والسيرة النبوية =

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]:

«والأمانة تشمل: كل ما استودعك الله، وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظ جوارحك من كل ما لا يرضي الله، وحفظ ما أوّمتت عليه من حقوق الناس..»^(١).

وإنما تكون رعاية الأمانة في الأبناء بتربيتهم وتعليمهم وتأديبهم منذ الصغر، وبإلزامهم أداء ما أوجب الله عليهم من طاعته سبحانه، وأطهرهم على الحق أطراً، وإبعادهم عن كل موجبات سخط الله وعذابه وأليم عقابه، ولا شك أن هذا الأمر - يُشعر بجسامة المسؤولية وعظم الخطب وأن الوالدين يتحملان مسؤولية عظيمة، وأمانة كبيرة وجسيمة، فإن قاما بواجبيهما تجاه الأبناء سعدا في الدنيا والآخرة وسعدت معهما ذريتهما، وإن قصرا وفرّطا في واجبيهما خسرا خسراً مبيناً، فلم ينتفعا بذريتهما في الدنيا براً وإعانة وإحساناً، وفي الآخرة كانت

=المباركة والأدب والتاريخ، فكان ذلك البيت مدرسته الأولى. ثم اتصل بعدد من علماء بلده فأخذ عنهم، ونال منهم الإجازات العلمية، عُرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة، اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حکامها ومحكوميها.. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سنة (١٣٨١هـ)، ثم عين عضواً في مجلس الجامعة، كما عين عضواً في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في هيئة كبار العلماء بالسعودية ٨/٧/١٣٩١ هـ. توفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج في السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة. وصلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة. وللاستزادة ينظر: الموسوعة الحرة، وعلماء نجد. للبسام (١٧٤/٦).

(١) انتهى من أضواء البيان (٨٤٦/٥).

الذرية عليهما وبالأول، وكان الحساب عليهما عسيرًا، قال تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّيهِمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]، إنها مسؤولية عظيمة فليعدا للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا.

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، ويكنى بأبي عبد الرحمن، صحابي جليل وابن ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وراوٍ للحديث وعالم من علماء الصحابة، لم يشهد بدرًا وأحدًا لصغر سنّه، وشارك في غزوة الخندق عندما سمح له النبي بذلك، وهو ابن خمسة عشر عامًا، وشارك في بيعة الرضوان، كان فقيهاً كريماً حسن المعشر طيب القلب، لا يأكل إلا وعلى مائدته مسكين يشاركه الطعام. ولد قبل البعثة بعام. وكان أشبه ولد عمر بعمر. وأسلم عبد الله بن عمر بمكة مع أبيه، ولم يكن بلغ يومئذ، وكانت هجرته قبل هجرة أبيه. وقد أخرج البخاري وغيره عن نافع عن ابن عمر قال: عرضت على النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني. روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) علماً كثيراً، وروى عنه عدد كبير من التابعين. قال الذهبي: لابن عمر في مسند بقي بن مخلد ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً بالمكرر، واتفق له على مائة وثمانية وستين حديثاً، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثاً، ومسلم بأحد وثلثين. سير أعلام النبلاء (٢٣٨/٣). وكان (رضي الله عنه) طويلاً جسيماً. سير أعلام النبلاء (٢٠٩/٣). وصفه أبو نعيم بقوله: «الزاهد في الإمرة والمراتب، الراغب في القرية والمناقب، المتعبد المتهجد، المتتبع للأثر المتشدد، نزيل الحصباء والمساجد، طويل الرغبة في المشاهد، يعد نفسه في الدنيا غريباً، ويرى كل ما هو آت قريباً، المستغفر التواب». الحلية (٢٩٢/١). عن سالم بن عبد الله: «مات أبي بمكة، ودفن بفتح سنة أربع وسبعين وهو ابن أربع وثمانين» سير أعلام النبلاء (٢٣١/٣).

وللاستزادة، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٢/١)، (٢٠٩/٣)، (٢٣١/٣)، (٢٣٨/٣)، والطبقات الكبرى لابن سعد (ج٣- ص ٢٦٥)، ومحض الصواب في فضائل أمير =

يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وقد أحسن من قال:

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنْ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلَقَى لَهُ
هَمَّ الْحَايَاةِ وَخَلَفَاهُ ذَلِيلًا
أُمَّتَا تَخَلَّتْ أَوْ أَبَا مَشْغُولًا^(٢).

=المؤمنين عمر بن الخطاب (ج ١ - ص ١٣١)، وسيرة ابن هشام، والطبقات الكبرى لابن سعد (ج ٤ - ص ١٣٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ٣ - ص ٣٣٦).

(١) البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٢) بتصريف من ديوان أحمد شوقي في قصيدته الموسومة بعنوان: «العلم والتعليم وواجب المعلم».

أحمد شوقي (١٢٨٥ - ١٣٥١ هـ = ١٨٦٨ - ١٩٣٢ م)، هو: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي: أشهر شعراء العصر الأخير. يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة. كتب عن نفسه: «سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب» نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية، المكتبة الشاملة - بتصريف

عقيدة أحمد شوقي: قال الشيخ يحيى الحجوري - حفظه الله تعالى -: «أحمد شوقي ضالٌّ مُضِلٌّ، وله في «شوقيّاته» أشعارٌ في غاية البُطلانِ تدلُّ على أنَّه صوفيٌّ تالفٌ، وقد نبّه على ضلالاته في هذا الكتاب الشيخ عبد الكريم الحميد في كتابه: الكافي في التحذير من مضلات القوافي - تعقبات على أحمد شوقي - فجزاه الله خيراً... حشد الأدلة (٢٩).

وقال الشيخ يحيى الحجوري أيضاً - حفظه الله تعالى -: «معلقاً على بعض ألفاظه (في الأصل: «فهو كهف التائبين»!!! ولا يصلح أن يُقال: «كهف التائبين» وهذا من عدم تقيّد =

للتربية الحسنة ثمار عظيمة في الدنيا والآخرة، من أهمها:

أولاً: في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ

وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤]، فصالح الأبناء تقرّ به العيون في حياتنا

الدنيا، تقرّ به عينك في الدنيا، إذا نظرت إليه سرّك، وإن أمرته أطاعك، وإن غبت عنه حفظك فيما استرعيتَه واستأمتته، وإن طلبته سارع وبادر إليك وبرّك، تراه

عبداً ناصحاً خيراً صالحاً مصلحاً، وكان لك بعد الله نعم المعين على أمر الدنيا والدين، وكان لك نعم الناصح الأمين، فالذرية لن تكون قرّة عين للوالدين في

الدنيا إلا بالصلاح، والله تبارك وتعالى جعل الأبناء زينة الحياة الدنيا وبهجتها، وعوناً لوالديهم على أمر الدنيا والدين جميعاً، وعضداً ونصييراً على شدائد

الزمان ولأواء الحياة الدنيا وكروها وشدائدّها، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦]،

= هذا الضليل بالأدلة في صفات الله ﷻ «حشد الأدلّة (٣٠).

تعليق عبد الكريم بن صالح الحميد في كتابه: الكافي من التحذير من مضلات القوافي، على بعض قصائد أحمد شوقي.

«قال أحمد شوقي في قصيدة:

وطني لديك وأنت سمح مفضل تنسى الذنوب وتذكر الأعدار

تاب الزمان إليك من هفواته بوزارة تمحى بها الأوزار

كأن شوقي لا يريد أن يدع الله شيئاً حيث اتخذ الوطن معبوداً وصرف له من أنواع العبادة ما صرفه لغير الله شركاً، وحتى التوبة إنما يتوب الزمان إلى الوطن!! والمصيبة العظمى أن أهل هذا الجيل يتغنون بقصائده ويعظمونها». اهـ. الكافي من التحذير من مضلات

القوافي (ص ٥٨ - ٦٢).

فالأبناء نعمة ومنّة ربانية عظيمة، وهبة وعطية من الله تعالى جليلة، وهم زينة الحياة الدنيا وبهجتها، وهذه النعمة ذات أثر عظيم على بني آدم، فهي تلتقي مع فطرتهم وغريزتهم وجبلتهم، ولا يتم السرور والبهجة والسعادة بهذه النعمة أبدًا إلا إذا أحسن الوالدان التربية الصالحة والتنشئة الطيبة للأبناء ليصبحوا قرّة أعين لوالديهم في الدنيا ويوم الدين.

وهم الأكباد التي تمشي على الأرض:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبّت الريح على بعضهم لا تمتعت عيني من الغمض^(١).

ثانياً: في الآخرة: الانتفاع بدعاء الولد الصالح:

— عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

وقوله ﷺ: «أو ولد صالح يدعو له»، (الولد الصالح) هو: البار بهما.

والولد البار الذي يدعو لوالديه هو من الأعمال الصالحة التي تجري للوالدين بعد مماتهم، وتقرّ به أعينهما في اللحد والظلمات، يوم يغشاها منه صالح الدعوات وهما في القبور بيت الوحدة والوحشة والدود، يذكرهما بدعوات صالحات، ينعمهما بها الكريم المنان، وتقرّ به أعينهما في الموقف بين

(١) البيت للشاعر: حِطّان بن المُعلّى الطائي، هو شاعر إسلامي، عاش في صدر الإسلام، ولا نعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، لأنّ مؤرخي الأدب أغفلوا ذلك، ولكننا نعرف أنه افتقر بعد غنى، وذلّ بعد عزّ، رابطة أدباء الشام، بتصرف.

(٢) مسلم، كتاب الوصية: باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١).

يدي الملك الديان، وإذا تأملنا كل ذلك نجده ثمرة طيبة لتربية حسنة طيبة، كذلك ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨]، أما الولد غير الصالح إذا كان لم يهتم بإصلاح نفسه وتزكيتها وحملها على طاعة الله تعالى، فهل سيهتم بوالديه برًا ودعاء؟ وكذلك ﴿وَالَّذِي خَبَثَ لَيْخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، وفيه إشارة إلى أنه من أراد أن ينتفع بدعاء ولده له بعد الممات، فليحسن تربيته في حياته قبل الحسرة والفوات.

يجمع الله بين الآباء والأبناء الصالحين في الجنة في الدار الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

قال ابن كثير رحمته الله: «يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل، بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذلك؛ ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]»^(١).

عظم شأن الأمانة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(١) تفسير ابن كثير (ص ٤٣٣).

الأمانة: تعني حرص العبد على أداء كل واجب، وأن يبذل العبد كل سعيه وجهده في إتمامه على أحسن الوجوه وأكملها تعبدًا وتقربًا لله تعالى.

قال أبو العالية: «الأمانة: ما أمروا به ونهوا عنه»^(١).

وقال الشنقيطي رحمته الله: «ذكر جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السماوات والأرض والجبال، وأنهن أبين أن يحملنها وأشفقن منها، أي: خفن من عواقب حملها أن ينشأ لهن من ذلك عذاب الله وسخطه، وهذا العرض والإباء والإشفاق كله حق، وقد خلق الله للسماوات والأرض والجبال إدراكًا يعلمه هو جَلَّ وَعَلَا، ونحن لا نعلمه، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها، وأبت وأشفتت، أي: خافت»^(٢) انتهى.

وتفسير الأمانة بالتكاليف الشرعية:

هو قول ابن عباس، والحسن البصري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضَّحَّاك بن مزاحم، وابن زيد، وأكثر المفسرين^(٣).

— وقال ابن سعدي رحمته الله: «جميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد

(١) تفسير البغوي (ص: ٣٨٠).

(٢) أضواء البيان (١٣٩/٣٦).

(٣) راجع: تفسير الطبري (٣٣٦/٢٠ - ٣٤٠) - تفسير ابن كثير (٤٨٨/٦ - ٤٨٩) - تفسير

القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/١٤ - ٢٥٣) - فتح القدير للشوكاني

(٤/٤٣٧).

(٤) هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل

سعدي، من بني تميم، ولد في عنيزة في القصيم في ١٢/١/١٣٠٧ هـ، نشأ الشيخ يتيمًا، =

حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] انتهى^(١).

– والخلاصة: أن الأمانة المذكورة في الآية الكريمة هي التكاليف الشرعية، سواء أكانت من حقوق الله تعالى، أم من حقوق المخلوقين، فمن أدى تلك الحقوق أثابه الله وجزاه الجزاء الأوفى، ومن فرط فيها استحق جزاء ما قدمت

= ولكنه نشأ نشأة صالحة وقد أثار الإعجاب فقد اشتهر منذ حداثة بفضته، وذكائه، ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله، فحفظ القرآن وعمره إحدى عشرة سنة ثم اشتغل بالعلم على يد علماء بلده فاجتهد في طلب العلم وجدّ حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويُعلّم، وبعد عمر دام تسعاً وستين سنة قضاها في التعلم والتعليم والتأليف وخدمة الأمة الإسلامية، وافاه الأجل المحتوم فتوفي سنة ١٣٧٦هـ، في مدينة عنيزة من بلاد القصيم، بالمملكة العربية السعودية.

وللاستزادة، ينظر مصادر هذه الترجمة في:

١- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين للشيخ محمد بن عثمان القاضي (١/٢١٩).

٢- علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبد الله البسام (٣/٢١٨).

٣- مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص٢٥٦).

٤- مقدمة كتاب الرياض الناضرة لابن سعدي بقلم أحد تلاميذ الشيخ.

٥- ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، رسالة ماجستير إعداد د/ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد (من ص ١٣ إلى ٦١).

(١) تفسير السعدي (ص ٥٤٧).

يداه كما قال أحكم الحاكمين: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠].

كانت هذه المقدمة المهمة جدًا لبيان عظم شأن أمانة تربية الأبناء ولا سيما في
الصغر، ولا سيما في زمن كثر فيه الشبهات، وانتشرت واستعرت فيه
الشهوات، ذلك ليتبها الآباء والمربون لعظم الأمر وجسامة المسؤولية، فإنَّ
تخلي الوالدين عن تلك المسؤولية العظيمة يلحقهما إثماً مبيئاً، ووبالاً عظيماً
وخسارة جسيمة في الدنيا والآخرة، بسبب خيانة الأمانة التي وضعها الله في
أيديهم، وتضييع الوديعة التي كلفهم الله تعالى بحفظها، فمسؤولية تربية الأبناء
أمانة حملها جد ثقيل وشأنها جد عظيم يترتب على خيانتها والإخلال بها
حساب جد عسير: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

لأنها تحمّل أمانة الفطرة الربانية بيضاء نقية: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

— عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على
الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل
تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه وقرأوا إن شئتم: ﴿فَطَرَتِ
اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]»^(١).

ولقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه المجيد وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه:
قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنِي لَكَ شُرَكَاءَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(١) صحيح مسلم (ج٤/ ص٢٠٤٧)، وصحيح البخاري (ج١/ ص٤٦٥).

عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٩].

وهذه الوصايا تعد منهجاً تربوياً إيمانياً حكيماً لتربية الأبناء تربية إسلامية شاملة للدين كله، أوصى لقمان فيها ولده بنبذ الشرك المتضمن تحقيق التوحيد أولاً وهو أساس الملة، ثم بالصلاة وهي عمود الدين ثانياً، ثم بمكارم الأخلاق وهي جماع الخير كله ثالثاً، فجمع له أصل الإيمان وأم العبادات وأساس مكارم الأخلاق والمعاملات.

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ [التحريم: ٦].

– يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [التحريم: ٦] يقول: علموا بعضكم بعضاً ما تقون به من تعلمونه النار وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله واعملا بطاعة الله. وقوله: ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار»^(١).

وقال مقاتل: «ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه».

وقال الكيا الهراسي: «فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. ونحو قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فبدأ بالأقربين لأنهم أولى الناس بخيره ورحمته وبره وإحسانه».

(١) تفسير الطبري (١٦٥/٢٨).

الدراسات السابقة للموضوع

لم يقف الباحث على دراسات سابقة متكاملة ومعالجة للموضوع من كافة جوانبه في موضوع بحثي واحد، وأغلب ما وقف عليه الباحث من دراسات إما متكرر وإما يعزو بعضه إلى بعض فيكون بمثابة تحصيل حاصل، أو لم تتم معالجة البحث فيه انطلاقاً من أسسه وقواعده العلمية والتربوية معاً، وهذا لا يعني فيه الباحث ادعاء الكمال والتمام لنفسه وازدراء جهود غيره وهضمها، كلاً وحاشا، ولكن هذا في حدود بحثه وإطلاعه الضيق ونظرة القاصر، ومن باب بيان السبب الداعي لخوض غمار بحث هذا الموضوع.

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلِّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِيَهُ^(١).
ومن هذا الهدف الأسمى والمطلب الأسنى فإن الباحث قد جمع هذه المادة وقد حاول أن يقرب موضوع عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بيّنتها سورة لقمان - في ضوء القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة وكلام أئمة التفسير وعلماء الأمة ومربيها ومصلحيها - وذلك بأسلوب ميسر ومنهجية علمية مؤصلة، نسأل الله تعالى أن يتقبلها بقبول حسن وأن ينفع بها، كاتبها وقارئها والدادل عليها.

وأول شيء يتبدى الباحث به بياناً:

(١) من قصيدة الشورى والجد والمعاشرة. لبشار بن بشر المتوفى (١٦٧هـ).

خطوات خطة البحث

وهي تحتوي على مقدمة وأربعة مباحث، ويندرج تحت كل مبحث عدة مطالب، وخاتمة للبحث، ثم بيان لأبرز النتائج، ثم بيان لأهم توصيات الباحث، ثم ثبت المراجع، ومجموع الفهارس.

وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: عناية الإسلام بتربية الأبناء.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التربية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: خصائص المنهج الإسلامي التربوي.

ويتضمن ما يلي:

١- الشمول.

٢- التوازن.

٣- الربانية.

٤- الثبات والمرونة.

المطلب الثالث: روافد التربية الإسلامية وهي:

١- الأسرة.

٢- المدرسة.

٣- المسجد.

٤- وسائل الإعلام.

٥- ثم دور روافد التربية مجتمعة.

المطلب الرابع: أهمية تربية الأبناء.

ويتضح ذلك في ضوء جانبين عظيمين:

الأول: تحقيق العبودية لله تعالى.

الثاني: حفظ الأمن العام في المجتمع.

وذلك في ضوء حفظ الضرورات الخمس وهي:

١- حفظ الدين.

٢- حفظ النفس.

٣- حفظ العقل.

٤- حفظ العرض.

٥- حفظ المال.

المطلب الخامس: من مظاهر عناية الإسلام بتربية الأبناء: أربعة مظاهر،

وهي:

١- اختيار الزوجين.

٢- المعاشرة بالمعروف.

٣ - التربية بالقدوة.

٤ - التبكير في عملية التربية.

المطلب السادس: من أساليب القرآن في التربية:

١ - أسلوب الأمر والنهي.

٢ - أسلوب الترغيب والترهيب.

٣ - أسلوب ضرب المثل.

٤ - أسلوب القصص القرآني.

المبحث الثاني: التعريف بالسورة الكريمة

ويأتي بيانه على النحو التالي:

التعريف بالسورة الكريمة:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة الكريمة وسر تسميتها:

* أولاً- اسم السورة الكريمة: (سورة لقمان).

* ثانياً: سرُّ تسميتها.

المطلب الثاني: نزولها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها:

ويندرج تحت هذا المطلب ما يلي:

١ - ترتيبها في المصحف الشريف.

٢ - عدد آياتها.

٣ - مواضع النسخ في السورة الكريمة.

٤- ترتيبها بين السور المفتحة بحروف الهجاء المقطعة.

٥- أقوال العلماء في الحروف المقطعة في بداية السور.

٦- عدد كلماتها.

٧- عدد حروفها.

٨- ترتيبها في النزول.

٩- مكة السورة أو مدنتها.

١٠- بيان ما ورد في أسباب نزولها.

١١- بيان ما ورد في نزول آياتها.

المطلب الثالث: الجوانب البلاغية في السورة الكريمة.

المطلب الرابع: موضوع السورة الكريمة.

وفيه بيان ما يلي:

* أولاً: مقصود السورة الكريمة.

* ثانياً: تقسيم آيات السورة الكريمة موضوعياً.

* ثالثاً: أبرز موضوعات السورة الكريمة ومجمل ما حوته من الموضوعات.

وختاماً:

فإن السورة تعالج موضوع العقيدة بالتركيز على أصولها الثلاثة:

(الوحدانية - والنبوة - والبعث والنشور).

المطلب الخامس: المناسبات في السورة الكريمة.

المبحث الثالث: التعريف بشخصية لقمان الحكيم عليه السلام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول نسبه ونشأته

أولاً - اسمه ونسبه.

ثانياً - نشأته.

ومن المعلوم أن ما يروى عن بني إسرائيل من الأخبار المعروفة بالإسرائيليات له ثلاث حالات.

الأول: ما جاء موافقاً لشريعتنا.

الثاني: ما جاء مخالفاً لشريعتنا.

الثالث: ما جاء مسكوتاً عنه في شرعنا.

المطلب الثاني التحقيق في أمر نبوته إثباتاً ونفيًا

وهل كان لقمان نبياً أو عبداً حكيماً لم تثبت له نبوة؟ على قولين.

القول الأول: أن لقمان كان عبداً حكيماً ولم يكن نبياً.

القول الثاني: القول بنبوة لقمان.

القول الراجح.

المبحث الرابع: المنهج التربوي كما تصوره موعظة لقمان الحكيم عليه السلام

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول الجانب العقدي

أولاً: مفهوم العقيدة

ثانياً: بيان العلة من تقديم لقمان النهي عن الشرك في موعظته لولده.
ثالثاً: بيان معنى الطاغوت.

رابعاً: بيان أن الدعوة إلى التوحيد هو نهج جميع النبيين والمرسلين.
خامساً: أن تربية الناشئة على عقيدة التوحيد صمام أمان لهم:

سادساً: بيان أهمية واجب المربين والمعلمين والقائمين على التعليم تجاه هذا الجانب العظيم.

سابعاً: بيان لأول مواعظ لقمان في الجانب العقدي.

المطلب الثاني الجانب التعبدي ويشتمل على الوصايا التالية

أولاً: الأمر ببر الوالدين.

ثانياً: الأمر بإقام الصلاة.

ثالثاً: الأمر بالإنابة ولزوم الجماعة واتباع سبيل المؤمنين.

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترغيب في الصبر على ذلك.

المطلب الثالث الجانب الأخلاقي

أولاً: بيان مفهوم الأخلاق:

ثانياً: مكانة الأخلاق في الإسلام:

ثالثاً: الجانب الأخلاقي في وصايا لقمان.

رابعاً: التعرف على هدي وشمائل سيد المتواضعين ﷺ، والسعي للتخلق

بأخلاقه.

خامساً: العلم بالله سبحانه وبأمره ونهيه وثوابه وعقابه، له أبلغ الأثر في صلاح

حال العبد واستقامته.

المطلب الرابع طبيعة العلاقة بين الجوانب الثلاثة (العقدي والتعبدي والأخلاقي).

تمهيد.

فقه الأولويات في منهج لقمان التربوي.

طبيعة العلاقة بين هذه الجوانب.

الارتباط الوثيق بين الجانب الأخلاقي والجانب التعبدي.

مقاصد الزكاة وعلاقتها بالأخلاق والعقيدة.

فريضة الحج وعلاقتها بالعقيدة والأخلاق.

العلاقة بين جوانب العقيدة والعبادة والأخلاق في شعيرة الحج.

خاتمة البحث.

١- أبرز النتائج.

٢- أهم التوصيات.

مجموعة الفهارس.

١- أهم المصادر والمراجع.

٢- فهرس الآيات.

٣- فهرس الأحاديث والآثار.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس البلدان.

٦- فهرس الموضوعات.



المبحث الأول

عناية الإسلام بتربية الأبناء



وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التربية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: خصائص المنهج الإسلامي التربوي.

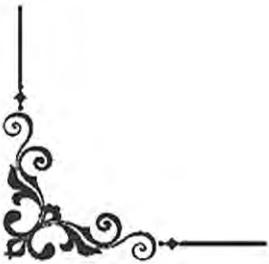
المطلب الثالث: روافد التربية الإسلامية وهي:

المطلب الرابع: أهمية تربية الأبناء.

المطلب الخامس: من مظاهر عناية الإسلام بتربية الأبناء.

المطلب السادس: من أساليب القرآن في التربية.





المطلب الأول

تعريف التربية في اللغة والاصطلاح

مفهوم تربية الأبناء:

أولاً: تعريف التربية لغة:

قال ابن فارس^(١) في معجم مقاييس اللغة: «(رب) الراء والباء يدلّ على

أصول: فالأول: إصلاح الشيء، والقيام عليه...

والأصل الثاني: لزوم الشيء، والإقامة عليه..

والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء».

وقال الفيروز آبادي^(٢) في القاموس المحيط: «(وربّ: جمع، وزاد، ولزم،

وأقام، كأربّ، وربّ الأمر: أصلحه... وربّ الصبيّ: ربّاه حتى أدرك».

وقال صاحب بن العباد: «(وربّي يُربّي ربّاً: أي: تولى أمري وملكه.. ورجلٌ

ربّيّ: حسن القيام على اليتيم.. وربيتُ المهر والصبيّ.. وربيت في بني فلان أربّاً

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ م) معجم مقاييس اللغة، مركز النشر -

مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، (ج ٢ / ٣٨١)، مادة: (رب).

(٢) الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (٧٢٩هـ/ ٨١٧م)، القاموس المحيط،

بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (ج ١ / ١٦٥)، مادة

(رب).

ربابة: أي: نشأتُ .. ورببت أمري أرْبُهُ ربابة: أي: أصلحته»^(١).

وقال ابن منظور^(٢) في لسان العرب: «وربّ ولده، والصَّبِيّ يَرْبُهُ رَبًّا، وربَّه تربيًّا وتربّة. عن اللحياني: بمعنى ربّاه، وفي الحديث: لك نعمة تُربُّها^(٣)، أي: وتُربِّيها، تحفظُها، وتُرعيها، كما يربِّي الرجل ولده... وتربِّه، وارتبّه، وربّاه

(١) الصّاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عباد (٣٨٥هـ/٣٢٦م)، المحيط في اللّغة، حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، (ج ٨/٢١١)، مادة (ربّ).

والتسمي بـ «كافي الكفاة»: أنكرها العلماء وهي في معنى: ملك الملوك وقاضي القضاة، وحاكم الحكام؛ فإنّ حاكم الحكام في الحقيقة هو الله تعالى. وقد كان جماعةً من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة، وحاكم الحكام، قياسًا على ما يغضه الله ورسوله من التسمية بملك الأملاك وهذا محض القياس. يوضح ذلك: أن التلقب بملك الملوك إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم. وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم «موبد مُبْدَان» يعنون بذلك: قاضي القضاة. فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بهما، والله أعلم.

معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمته: (ص ٦٠) الباحث.

(٢) ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ): هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل الأنصاري، الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي بها، وقال الصفدي: لا أعرف في كتب الأدب شيئًا إلا وقد اختصره، من تصانيفه: لسان العرب، ومختار الأغاني، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ولطائف الذخيرة، ومختصر تاريخ بغداد. (شذرات الذهب (٢٦/٦)، وفوات الوفيات (٤/٤٩٦)، والأعلام (٧/٣٢٩).

(٣) وأصله في مسلم (٢٥٦٧) بلفظ: «هل لك عليه من نعمة تُربُّها»، شرح النووي على مسلم، دار الخیر (١٤١٦هـ) عدد الأجزاء: (٦ أجزاء).

تربية، على تحويل التضعيف وتربّاه، على تحويل التضعيف أيضاً: أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن».

والتربية مشتقة من أصول ثلاثة:

الأصل الأول: ربا يربو، بمعنى زاد ونمى^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَتْكُمْ مِنْ

رَبِّ لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

الأصل الثاني: رَبَّ يَرْبُ بوزن مدّ يمدّ، بمعنى أصلحه، وتولّى أمره، وساسه وقام عليه، يقال: رَبَّ الشَّيْءَ إِذَا أَصْلَحَهُ، ورَبَّيتُ القَوْمَ أَي: سُسْتُهُمْ^(٢).

الأصل الثالث: رَبِي يَرْبِي عَلَى وَزْنِ خَفِي يَخْفِي، بمعنى نشأ وترعرع^(٣).

وعليه قول ابن الأعرابي:

فمن يك سائلاً عني فإنني بمكّة منزلي وبها ربيت^(٤).
والأبناء لغة: جمع ابن، وأصله بنو، قال ابن فارس: «الباء والنون والواو كلمة واحدة، وهو الشيء يتولّد عن الشيء كابن الإنسان وغيره»^(٥).

وتربية الأبناء: تنشئتهم وإعدادهم في جميع جوانبهم الشخصية^(٦) وفق

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢٦/٥) مادة: ربا.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٩٥-٩٦/٥) مادة: ريب.

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٢٨/٥) مادة: ربا.

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٢٨/٥) مادة: ربا.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (٣٠٣/١) مادة: بنو.

(٦) الجوانب الشخصية:

الجانب الإيماني، والعلمي، والفكري، والأخلاقي، والاجتماعي، والصحي، والمهني.

ينظر: الجوانب الأساسية. لمقداد يالجن (ص ٦).

المنهج الإسلامي لتحقيق العبودية لله ﷻ^(١).

مفهوم التربية في الاصطلاح:

الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التمام^(٢).

فالتربية هي: تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، ابتغاء سعادة الدارين، وفق المنهج الإسلامي^(٣)، ولقد تناول الإسلام كل شؤون الفرد بالتوجيه والإرشاد والتهديب والتعليم، فلم يدع في حياته شيئاً إلا وقد أفاده فيه بما يصلحه، كذلك بالنسبة لحياة المجتمع لم يدع فيها أمراً إلا وجعل له نظاماً وهدياً؛ بحيث يضمن للناس السعادة دائماً، والأمان في حاضر أيامهم ومستقبلها كما قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]^(٤).

إنها عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها، روحياً، وعقلياً، ووجدانياً، وخلقياً، واجتماعياً، وجسمياً، والقادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية، والطبيعية التي نعيش فيها^(٥).

(١) ينظر: الدراسات التربوية. لأحمد الغامدي (ص ٢١)، وأصول التربية الإسلامية. لخالد الحازمي (١٩).

(٢) الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١ (دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - ١٤١٢ هـ)، كتاب (الراء) (ص ٣٣٦).

(٣) الحازمي: خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية. دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط ١ (١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م)، (ص ١٩).

(٤) الإشارات التربوية في سورة لقمان. مريمه الحاج، ماجستير غير منشور، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن وعلومه (١٤٣٦ هـ) (ص ١٥).

(٥) د. عبد الحميد الصّيد الزيتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. الدار العربية للكتاب (٢٤ - ٢٥).

«أما التربية عند ابن سعدي: فتقوم على مبدأ المجاهدة من أجل صلاح الإنسان، وإصلاحه في جميع شؤونه الدينية، والدنيوية»^(١).



(١) د/ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الرّشودي، الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السّعدي. - الرياض - دار ابن الجوزي (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) (ص ٢٠٧).

المطلب الثاني

خصائص المنهج الإسلامي التربوي

١- الشمول للقضايا (الفكرية - والعقدية - والعقلية).

التربية الإسلامية شاملة ومتكاملة: والشمول يعني أن الدين الإسلامي شامل لكل نواحي الحياة وكل نواحي الطبيعة الإنسانية، وأنه صالح لكل زمان ومكان، بخلاف الأوضاع البشرية فغالبًا ما يكون لها وقت معين على ما فيها من خلل وغالبًا ما تكون محصورة في مكان معين وزمان معين.

* قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

* وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا

يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وتشمل التربية الإسلامية جميع الطاقات الانفعالية والعاطفية وتوجهها باعتدال وتوازن، كما شملت جميع الميول والطاقات والدوافع الفطرية، ووجهتها.

فمن أعظم ميزات القرآن أنه يثير هذه الانفعالات ويربيها، «كما أن التربية الإسلامية لم تعنِ بالجوانب الوجدانية والعقلية منفصلة عن بعضها البعض، فمثلاً، في أداء الصلاة نجد فيها النشاط العقلي والروحي والبدني، فالتربية

الإسلامية» فاعلة تشمل الإنسان بكل جوانبه وتشمل المجتمع بكل نظمه، وأوضاعه، وهي متكاملة لأن كل معالجاتها لكل ناحية وكل جانب، وكل نظام متكامل مع بعضها البعض، وتترابط بحيث تتعاون هذه الجوانب، وهذه النظم مع بعضها.

* قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢].

* وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ

فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

[المائدة: ٤٨].

«وحين يستعرض الإنسان وسائل الإسلام في التربية، يعجب للدقة العجيبة التي يتناول بها الكائن البشري، الدقة التي تتناول كل جزئية على حدة كأنها متفرغة لها، ليس في حسابها سواها، ثم الشمول على هذا المستوى من الدقة، الشمول الذي يتناول الجزئيات جميعاً، وفي وقت واحد، إنها دقة معجزة لا تصدر إلا عن الخالق المدبر العظيم».

* قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ

الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

٢- التوازن: فهي شاملة الإعداد للحياة الدنيا والآخرة:

(للجسد والروح - للدنيا والآخرة - وللمصالح العامة والخاصة).

التوازن والاعتدال: يتصف المنهج الإسلامي التربوي بالاعتدال والتوازن في

بناء الشخصية الإسلامية، فيراعي متطلبات الروح والمادة في الإنسان،

والاعتدال والتوازن في إقامة المجتمع الإسلامي، فيحافظ على مصلحة الفرد والجماعة ولا يفرط في جانب لحساب الجانب الآخر، كما يتصف المنهج الإسلامي التربوي على صعيد الحياة كلها بالتوازن بين متطلبات الحياة الدنيا ومقومات السعادة في الدار الآخرة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] (١)، وإن هذا المنهج التي يستمد قواعده من مصادره الأصلية وهي القرآن والسنة، تربية متكاملة وشاملة، فكما أنه يشمل جميع طاقات الإنسان الداخلية (جسمية وعقلية وروحية)؛ فإنه ينظر أيضاً للحياة الدنيا وللآخرة معاً. فإن التربية نظام متكامل يهدف إلى إسعاد البشرية روحياً ومادياً.

وقد تحقق هذا المبدأ واضحاً في منهج التربية الإسلامية، فقد سبقتها تربية مادية أحياناً، وتربية أخرى روحية أحياناً.

تهدف التربية الإسلامية إلى أن يكون الإنسان مدرّكاً عظيمة الله في ملكوته يعمل لديانه وآخرته في آن واحد، قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** موجهاً أهل الإيمان أن يدعوه سبحانه راغبين في خيري الدنيا والآخرة: ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وقد عبر جرير عن هذا المعنى وهو يمدح الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، حيث يقول:

(١) أهداف وخصائص الثقافة الإسلامية. د/ مصطفى مسلم، شارك في التأليف د/ فتحي محمد الزغبى - شبكة الألوكة - ١٤٣٥ / ٧ / ٦ هـ - ٢٠١٤ / ٥ / ٥ م.

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله^(١).

٣- الربانية: التربية الإسلامية تربية ربانية.

تعتبر التربية الإسلامية ربانية المصدر فهي تستمد قواعدها وأصولها من القرآن والسنة اللذين هما وحي الله؛ فالتربية الإسلامية ربانية من حيث البداية، فهي تبدأ بتعريف الناشئ على قدرة الرب جلّ جلاله، وصفات كماله ونعمه، عن طريق تأمل الكون وما أودعه الله من قوى وقدرات في جميع الكائنات من حوله، والتربية الإسلامية ربانية من حيث الهدف والغاية، فهي باعتمادها على فطرة الناشئ تبرهن له إذ تلفت نظره إلى ظاهرتي الموت والحياة، وأنه لم يكن يملك أن يوجد نفسه بالشكل الذي يريد ولا أن يرحل عنها برغبته، تبرهن له على أنه تابع في وجوده وفنائته وصحته لقوة أسمى وأقدر منه؛ إنها قوة الله وإرادته، وتبين لنا التربية الإسلامية عناية الله بالإنسان من خلال توجيهه للتأمل فيما سخر الله لحياته من الكائنات التي يتعامل معها من أمطار وأنهار وزروع وبحار، وهذه العناية لم تترك الإنسان في حيرة يتساءل عن حياته وموته وعلاقته بالكون وبأخيه الإنسان؛ بل أرسل الله الرسل بشريعته وهداه ووحيه الذي ينظم للإنسان كل حياته وأهدافه وعلاقاته، فالتربية الإسلامية منهجها متكامل الربانية، فقد جمعت بين طيتها ربانية الهدف، وربانية الأساليب، وربانية المصدر، وربانية الوسائل، وربانية الوسائط.

(١) جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (٣٣ هـ - ١١٠ هـ / ٦٥٣ - ٧٢٨ م)، شاعر من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد، ولد في بادية نجد من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعاً في المدح أيضاً. مدح بني أمية ولازم الحجاج زهاء عشرين سنة، الموسوعة الحرة، بتصرف.

والتربية الإسلامية تستمد منهجها من الوحي الإلهي (الكتاب والسنة)، ومما استنبطه العلماء المسلمون من هداياتهما، وهي تدعو إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وإلى اتباع رسله الكرام ﷺ، وإلى مكارم الأخلاق، وإحقاق الحق وإبطال الباطل، ورفع الظلم عن المظلومين، وصلة الأرحام، وإلى نشر البر والخير بين الناس، والدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإلى كل فضيلة وكمال، وتصبغ الأمة بالصبغة الربانية المتكاملة التي أوحاها الله إلى رسله الكرام ﷺ وأمرهم بتبليغها لعباده كاملة تامة دون زيادة أو نقصان، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

لقد كان التزام المسلمين الأوائل بهذه الصبغة المتكاملة خير دعاية عملية لدينهم ومبادئهم، مما جعل شعوب الأرض يدخلون في دين الله أفواجا، وفتح الله لدينهم ولثقافتهم وأخلاقهم قلوب العباد قبل فتح الأمصار والبلاد.

٤- الثبات والمرونة: الجمع بين الثبات والمرونة.

من أجل وأجل مظاهر «الوسطية»، التي تميزت بها رسالة الإسلام، وبالتالي يتميز بها المجتمع المسلم عن غيره: التوازن بين الثبات والتطور، أو (الثبات والمرونة).

فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع، واضعاً كلاً منهما في موضعه الصحيح.

الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور دون المساس بالثوابت الشرعية أو الأصول المرعية؛ بل تمشياً مع القواعد الكلية للشرعية الإسلامية وعملاً بأصولها وتحقيقاً لصلاحها لكل زمان ومكان، وهذه

الخصيصة البارزة لرسالة الإسلام، لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية، ولكن الشريعة الإسلامية، التي ختم الله بها الشرائع الربانية والرسالات السماوية، أودع الله سبحانه فيها عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونة والتطور معاً، وهذا من بدائع الإعجاز في هذه الشريعة الربانية، وآية من آياته، عمومها وخلودها، وبقائها وصلاحها لكل زمان ومكان.

ونستطيع أن نحدد مجال الثبات، ومجال المرونة، في شريعة الإسلام ورسالته الشاملة الخالدة، فنقول: إن الثبات يكون على الأهداف والغايات، والمرونة تكون في الوسائل والأساليب، الثبات يكون على الأصول والكليات، والمرونة تكون في الفروع والجزئيات.

الثبات يكون على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة تكون في الشؤون الدنيوية والعلمية.

دلائل الثبات والمرونة في مصادر الإسلام وأحكامه.

إن للثبات والمرونة مظاهر ودلائل شتى، نجدها في مصادر الإسلام، وشريعته وتاريخه، يتجلى هذا الثبات في «المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع» من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فالقرآن الكريم هو المصدر والأصل الأول للشريعة الإسلامية، والسنة هي الشرح النظري، والبيان العملي للقرآن الكريم، وهي المصدر الثاني، وكلاهما مصدر إلهي محفوظ، لا يسع مسلماً الإعراض عنه، قال **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾** [النور: ٥٤]، وقال جل شأنه: **﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** [النور: ٥١] والآيات الكريمة في هذا الصدد كثيرة ومعلومة.

وتتجلى المرونة في «المصادر الاجتهادية» التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها ما بين موسع ومضيق ومقل ومكثر، مثل: الإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وأقوال الصحابة، وشرع من قبلنا، وغير ذلك من مآخذ الاجتهاد، وطرائق الاستنباط.

وفي أحكام الشريعة نجدها تنقسم إلى قسمين بارزين:

أ- قسم يمثل الثبات والخلود.

ب- وقسم يمثل المرونة والتطور.

نجد الثبات يتمثل في عقائد الإيمان الأساسية الخمس، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهي التي ذكرها الله **سُبْحَانَ تَعَالَى** في غير موضع من كتابه المجيد، كقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَمَلَتْكُمْ وَاللَّيْلِ وَالنَّيْتِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله جل في علاه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وفي أركان الإسلام العملية الخمسة من الشهادتين وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، وهي التي صح عن الرسول ﷺ أن الإسلام بُني عليها.

وفي المحرمات اليقينية من السحر، وقتل النفس، والزنى، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، والتولي يوم الزحف والغصب والسرقه والغيبه والنميمة وغيرها مما يثبت بقطعي القرآن والسنة.

وفي أمهات الفضائل من الصدق، والأمانة، والعفة، والصبر، والوفاء بالعهد،

والحياء، وغيرها من مكارم الأخلاق التي اعتبرت في القرآن والسنة من شعب الإيمان.

وفي شرائع الإسلام القطعية في شؤون الزواج، والطلاق، والميراث والحدود، والقصاص، ونحوها من نظم الإسلام التي ثبتت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة فهذه الأمور ثابتة، تزول الجبال ولا تزول.

الثبات والمرونة في هدي القرآن: والذي يتدبر القرآن الكريم، يجد في آياته الكريمة دلائل جمة، على هذه الخصيصة البارزة، من خصائص الأمة المسلمة، وهي: الجمع بين الثبات والمرونة جمعًا متوازنًا عادلاً.

وإذا كان بالمثال يتضح المقال، فلا بأس أن نذكر هنا بعض الأمثلة التي توضح ما قيل: يتمثل الثبات في مثل قوله تعالى في وصف مجتمع المؤمنين: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وفي قوله لرسوله ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فلا يجوز لحاكم، ولا لمجتمع، أن يلغي الشورى من حياته السياسية والاجتماعية، ولا يحل لسلطان أن يقود الناس رغم أنوفهم إلى ما يكرهون، بالتسلط والجبروت.

وتتمثل المرونة، في عدم تحديد شكل معين للشورى، يلتزم به الناس في كل زمان وفي كل مكان فيتضرر المجتمع بهذا التقييد الأبدي، إذا تغيرت الظروف بتغير البيئات أو الأعصار أو الأحوال، فيستطيع المؤمنون في كل عصر أن ينفذوا ما أمر الله به من الشورى بالصورة التي تناسب حالهم وأوضاعهم، وتلائم موقعهم من التطور، دون أي قيد يلزمهم بشكل جامد.

ب- يتمثل الثبات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

[النساء: ٥٨].

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ

يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

فأوجب التقيد بالعدل والالتزام بكل ما أنزل الله، والحد من اتباع الأهواء، وكل هذا مما لا مجال للتساهل فيه، فهو يمثل جانب الثبات قطعاً في مجال الحكم والقضاء.

وتتمثل المرونة في عدم الالتزام بشكل معين للقضاء والتقاضي، وهل يكون من درجة أو أكثر؟ وهل يسير على أسلوب القاضي المفرد أم على أسلوب المحكمة الجماعية؟ وهل يكون هناك محكمة جنائيات وأخرى للمدنيات. إلخ، كل هذا متروك لاجتهاد أولي الأمر، وأهل الحل والعقد في مثل هذه الأمور، وليس للشارع قصد فيه إلا إقامة العدل، ورفع الظلم، وتحقيق المصلحة، ودرء المفسدة.

لقد اهتم الشارع بالنص على المبدأ والهدف، ولكنه لم يعتن بالنص على الوسيلة والأسلوب، وذلك ليدع الفرصة، ويفسح الطريق للإنسان كي يختار لنفسه الأسلوب المناسب، والصورة الملائمة لزمه وبيئته، ووضع وحالته.

الثبات والمرونة في الهدي النبوي.

وإذا تأملنا في السنة المطهرة - قولاً وفعلاً وتقريباً - وجدناها حافلة بشتى

الأمثلة والدلائل التي يتمثل فيها الثبات والمرونة جنباً إلى جنب.

(أ) يتمثل الثبات في رفضه ﷺ التهاون أو التنازل في كل ما يتصل بتبليغ الوحي أو يتعلق بكليات الدين، وقيمه، وأسس العقائدية والأخلاقية.

ومهما حاول المحاولون أن يثنوا عنانه عن شيء من ذلك بالمساومات، أو التهديدات، أو غير ذلك من أنواع التأثير على النفس البشرية، فموقفه هو الرفض الحاسم، الذي علمه إياه ربه وأمره به في مواقف شتى، فحين عرض عليه المشركون أن يلتقوا في منتصف الطريق، فيقبل شيئاً من عبادتهم ويقبلوا شيئاً من عبادته، لو يعبد آلهتهم مدة، ويعبدون إلهه مدة كان الجواب الحاسم يحمله الوحي الصادق في سورة قطعت كل المساومات وحسنت كل المفاوضات،

وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ [الكافرون: ١-٦].

ولما تلا عليهم آيات الله بينات، منكرة عليهم شركهم وعنادهم، ناعية ضلالهم وجحودهم، قالوا له (ﷺ): ﴿أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]، فكان الرد القاطع تلقيناً من الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

وهكذا تعلم ﷺ من وحي الله: أن لا تنازل ولا تساهل في أمور العقيدة وما يتصل بها.

وفي مقابل ذلك، نجد مرونة واسعة في مواقف السياسة ومواجهة الأعداء، بما

يتطلبه الموقف المعين، من حركة ووعي وتقدير لكل الجوانب والملابسات، دون تزمّت أو تشنج أو جمود، نجده ﷺ في يوم الأحزاب مثلاً يأخذ برأي (سلمان) رضي الله عنه في حفر الخندق حول المدينة، ويشاور بعض رؤساء الأنصار في إمكان إعطاء بعض المهاجمين مع قريش جزءاً من ثمار المدينة، ليردهم ويفرقهم عن حلفائهم، كسباً للوقت إلى أن يتغير الموقف، ويقول لنعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه وقد أسلم، وأراد الانضمام إلى صفوف المسلمين: «إنما أنت رجل واحد، فخذلّ عنا ما استطعت»، فيقوم الرجل بدور له شأنه في التفريق بين قريش وغطفان ويهود بني قريظة ^(١)، وفي يوم الحديبية تتجلى المرونة النبوية بأروع صورها.

* تتجلى في قوله ذلك اليوم: «والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها» ^(٢).

* وفي قبوله ﷺ أن يكتب في عقد الصلح: «باسمك اللهم» بدلاً من «بسم الله الرحمن الرحيم» وهي تسمية رفضتها قريش.

* وفي قبوله ﷺ أن يمحو كلمة «رسول الله» بعد اسمه الكريم، على حين رفض (علي) رضي الله عنه أن يمحوها بعد كتابتها ^(٣).

* وفي قبوله من الشروط ما في ظاهره إجحاف بالمسلمين، وإن كان في عاقبته

(١) الألباني، تخريج فقه السيرة (٣٠٥) هذه القصة بدون إسناد، لكن قوله ﷺ: «الحرب

خدعة» صحيح البخاري: كتاب الجهاد (٢٨٦٤).

(٢) البخاري (٢٧٣١).

(٣) البخاري (٢٧٣١).

الخير كل الخير، والسر في هذه المرونة هنا، والتشدد في المواقف السابقة: أن المواقف الأولى تتعلق بالتنازل عن العقيدة والمبدأ، فلم يقبل فيها أي مساومة أو تساهل، ولم يتنازل قيد أنملة عن دعوته.

أما المواقف الأخيرة فهي تتعلق ببيان المرونة في الفقه الإسلامي، ومن هذا وذاك يتبين أن الفقه الإسلامي يجمع بين خاصتي الثبات والتطور.

ولا عجب بعد ما ذكرنا من هدي القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، ومواقف الصحابة رضي الله عنهم، من الثبات والمرونة؛ أن نجد الفقه الإسلامي بمختلف مدارسه ومذاهبه يسير في نفس هذا الاتجاه ثابتاً على الأصول والكليات، مرناً متطوراً في الفروع والجزئيات. إنه لا يعطي المسلم حرية مطلقة في تنظيم حياته ولو على حساب عقائده وقيمه ومفاهيمه، كما أنه لا يقيد في كل شؤونه بتشريعات مفصلة دائمة، لا يستطيع الفكك منها.

فالفقيه المسلم، مقيد حقاً بالنصوص المحكمة الثابتة من القرآن والسنة، وهي المجزوم بثبوتها، القواطع في دلالتها، التي أراد الشارع الحكيم أن تلتقي عندها الأفهام، ويرتفع عندها الخلاف، وينعقد عليها الإجماع، فهي أساس الوحدة الفكرية والسلوكية، للمجتمع المسلم، وهي للأمة كالجبال للأرض تمسكها أن تميد، وتحميها أن تضطرب وتزلزل، وهذا النوع من النصوص قليل جداً بالنسبة إلى سائر النصوص.

ومع هذا التقيد الملزم، يجد الفقيه المسلم نفسه في حرية واسعة أمام منطقتين فسيحتين، من مناطق الاجتهاد وإعمال الرأي والنظر^(١).

(١) مقال من شبكة التربية الإسلامية، الشاملة (٢٠٠٣/٢٠٤، م) إشراف الأستاذ أحمد مدهار.

ولذا فقد تمثلت عظمة الإسلام ومبادئه الخالدة في عنصر الثبات والخلود،
وعنصر المرونة والتطور معاً، مما جعله صالحاً لكل زمان ومكان.
فالثبات على الأهداف والغايات أضفى القدسية والاحترام على مبادئه،
وأدخل الطمأنينة على نفس معتنقيه، والمرونة في الوسائل والأساليب أضفت
الحيوية واستيعاب المستجدات في الشؤون الدنيوية، والعلوم التجريبية.
فمثلاً الشورى والحكم بالعدل من الثوابت، أما الوسيلة فمتروكة للاجتهد
كما تبين آنفاً.

والتطور والثبات ملائمان لسنن الله في الكون وفي الفطرة الإنسانية، فإن فيهما
الثبات الدائم والمتغير المتحول.
وبهذه الخصيصة تستطيع الأمة الإسلامية أن تستمر وترتقي في مدارج التقدم
مع المحافظة على قيمها وعقائدها وأخلاقها^(١).



(١) وينظر هذه الخصائص وغيرها في: معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبدالكريم عثمان
ص (٨٧) وما بعدها (ط ٣) الرياض، مؤسسة الأنوار (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، ولمحات
في الثقافة الإسلامية. لعمر عودة الخطيب (ص ٦٣) وما بعدها، مؤسسة الرسالة،
بيروت، الطبعة: الخامسة عشرة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

المطلب الثالث

روافد التربية الإسلامية

هي المؤسسات التي تتولى عملية التربية مع بيان أثرها في تربية الفرد والمجتمع **ويأتي من أبرز وأهم هذه المؤسسات التربوية في المجتمع:**

الأسرة والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام ونحوها من المؤسسات المختلفة التي تؤثر على تربية الناشئة سواءً كان ذلك التأثير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ومعنى هذا أن تربية الناشئة لا يمكن أن تتم إلا من خلال بعض المؤسسات أو الوسائط الاجتماعية المختلفة^(١).

ويأتي من أبرز هذه المؤسسات التربوية والتعليمية ما يلي:

(١) مقال بعنوان: بعض المؤسسات التربوية وأثرها في تربية الفرد والمجتمع، من كتاب: مقدمة في التربية الإسلامية. للكاتب صالح بن علي أبو عرّاد (١٤٢٤هـ) الرياض: دار الصولتية للتربية الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد (د-ص).

أولاً: الأسرة

دور الأسرة في رعاية الأولاد:

إن وجود الأسرة هو امتداد للحياة البشرية، وسر البقاء الإنساني، فكل إنسان يميل بفطرته إلى أن يظفرَ بيتٍ وزوجةٍ وذريةٍ، ولما كانت الأسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع لكونها رابطة رفيعة المستوى محددة الغاية، فقد رعتها الشرائع السماوية عموماً؛ والإسلام خصوصاً، وإن كان الإسلام تميز بالرعاية الكبرى، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

جاء ضمن معاني الأمانة؛ أمانة الأهل والأولاد، فيلزم الولي أن يأمر أهله وأولاده بالصلاة، ويحفظهم من محارم الله، لأنه مؤتمن ومسؤول عما استرعاه الله^(١)، وإنَّ التأكيد على أهمية دور الأسرة في رعاية الأولاد، لمن أجلِّ الأمور، التي يجب أن تتضافر جهود الآباء والأمهات، وأهل العلم، والدعاة، والتربويين، والإعلاميين وكل من له صلة وعناية بالتربية. للمحافظة على بناء الأسرة الصالحة في المجتمع، فهي أمانة أمام الله-تعالى- نحن مسؤولون عنها، فالمرء يُجزئ على تأدية الحقوق المتعلقة بأسرته، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ،

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١٠/١١٢)، ودرة الناصحين في الوعظ والإرشاد لعثمان الشاكر الخوبري (ص ١٦٩) بتصرف.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

وانطلاقاً من هذه الأهمية الكبرى نتناول الحديث عما يلي:

- ١- تعريف الأسرة.
- ٢- مسؤولية الأسرة التربوية تجاه الأبناء.
- ٣- أهمية المعاملة الحسنة (المعتدلة).
- ٤- التحذير من أهم المخاطر التي تواجه الأسرة.

أولاً - تعريف الأسرة:

قال ابن منظور: «أسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأذنون؛ لأنه يتقوى بهم، والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته»^(١).

وقد جاء في كتاب الله ﷻ ذُكِرَ الأزواج والبنين والحفدة، بمعنى الأسرة، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ؕ أَفِي الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعِمَّتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

يذكر تعالى نعمه على عبده، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة ورحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا وإناثا، وجعل الإناث أزواجاً

(١) لسان العرب. مادة: (أَسْرَ) (١/١٤١)، وينظر: دور الأسرة في رعاية الأولاد. عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، مقال من موقع الإسلام اليوم (د.ت).

للذكور (١).

يقول ابن سعدي رحمته الله: «يُخبر تعالى عن مَنِّهِ العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجًا، ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم، أولادًا تَقَرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات من المأكَل، والمشارب، والنعم الظاهرة، التي لا يقدر العباد أن يحصوها» (٢).

وتعد الأسرة أهم المؤسسات التربوية الاجتماعية التي لها الكثير من الوظائف، وعليها العديد من الواجبات الأساسية حيث تُعتبر بمثابة المحضن الأول الذي يعيش الناشئ فيها أطول فترة من حياته، كما أنه يأخذ عن الأسرة العقيدة، والأخلاق، والأفكار، والعادات، والتقاليد، وغير ذلك من السلوكيات الإيجابية أو السلبية.

وللأسرة وظائف كثيرة ومتنوعة لا سيما أنها تُعنى بتربية ورعاية جميع الجوانب الشخصية للناشئ في مراحل عمره المختلفة.

ويجب أن يعلم الوالدان أن الله تعالى قد استرعاهم رعية، ووجب عليهم أداء الأمانة كما أمرهم الله تعالى بذلك في محكم التنزيل، وجاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا الأمر في كثير من الأحاديث الصحيحة، كما جاءت نصوص الوحي بالوعيد لمن لم يحط رعيته بنصح، ولمن فرط في الأمانة التي اتَّمنه الله عليها.

فعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ الْمُزَنِيِّ رحمته الله قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ

(١) ابن كثير (ص: ٥٨٧).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص: ١٩٢).

عَبْدٌ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةٌ يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، وفي رواية: «فَلَمْ يَحْطُهَا بِنَصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(١)، وعلى الرغم من اشتراك الأسرة المسلمة مع غيرها من الأسر في أداء بعض الوظائف التربوية؛ إلا أن للأسرة المسلمة بعضًا من الوظائف التربوية المميزة، انطلاقًا من دينها ودافعًا من عقيدتها التي تؤمن بها.

ثانياً - مسؤولية الأسرة التربوية تجاه الأبناء:

للأسرة المسلمة مسؤولية ووظائف تربوية مميزة من أبرزها ما يلي:

(١) العمل على تزويد المجتمع المسلم بالذرية الصالحة التي رغب فيها ديننا الحنيف والتي تكون عاملاً قوياً في تحقق واستمرار الحياة الأسرية، وضمان استقرارها.

(٢) تحقيق عوامل السكون النفسي والطمأنينة لجميع أفراد الأسرة حتى تتم عملية تربيتهم في جوٍّ مُفعمٍ بالسعادة والسرور بعيداً عن القلق والتوتر والاضطراب والضياع.

ويأتي ذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

(٣) حُسن تربية الأبناء والقيام بواجب التنشئة الاجتماعية السليمة والتربية الإيمانية الإيجابية السديدة، والعمل على صيانة فطرتهم عن الانحراف

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام: باب من استرعى رعية فلم ينصح (برقم: ٧١٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار برقم (١٤٢).

والضلال، تحقيقاً لقوله ﷺ: «كُلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة فأبواه يهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه كما تُنتج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسُن فيها من جدعاء؟»^(١).

يقول ابن حجر رحمته: «يريد أنها تُولد لا جدع فيها، وإنما يجدعها أهلها»^(٢).

يقول الغزالي^(٣): «فالأولاد قلوبهم الطاهرة جواهر نفيسة خالية من كل نقش وصورة، وهم قابلون لكل ما ينقش عليها، فإن عودُوا الخير والمعروف نشأوا عليه، وسعدوا في الدنيا والآخرة، وشاركوا في ثواب والديهم، وإن عودُوا الشر والباطل، شقوا وهلكوا، وكان الوزرُ في رقبة والديهم، والوالي لهم»^(٤).

(١) البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨)

(٢) فتح الباري (٣/٢٥٠).

(٣) الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) هو: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي بتشديد الزاي. نسبته إلى الغزال (بالتشديد) على طريقة أهل خوارزم وجرجان: ينسبون إلى العطار عطاري، وإلى القصار قصاري، وكان أبوه غزلاً، أو هو بتخفيف الزاي نسبة إلى (غزالة) قرية من قرى طوس. فقيه شافعي أصولي، متكلم، متصوف. رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر، وعاد إلى طوس.

من مصنفاته: «السيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»، و«الخلاصة»، وكلها في الفقه، و«تهافت الفلاسفة»، و«إحياء علوم الدين». طبقات الشافعية (٤/١٠١ - ١٨٠)، والأعلام للزركلي (٧/٢٤٧)، والوافي بالوفيات (١/٢٧٧).

منهجه وعقيدته:

أ) قال الذهبي رحمته: «وأدخله سَيِّلانَ ذهنه في مضايق الكلام، ومزالتق الأقدام». اهـ. سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٣).

ب) وقال أبو بكر بن العربي رحمته: «شيخنا أبو حامد: بلَغَ الفلاسفةَ، وأراد أن يتقيَّاهم فما استطاع». اهـ. السير (١٩/٣٢٧).

(٤) توفير مقومات التربية الإسلامية الصحيحة والعناية بمختلف الجوانب الشخصية للناشئة (عقديًا، وروحيًا، وعقليًا، وجسميًا).
والحرص على توازن وتكامل تلك المقومات لما لتكاملها وتوازنها من الأثر الكبير في تنشئة وتكوين الشخصية المسلمة السوية، والعمل على تفاعلها وتكيفها وتعاملها مع المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته بصورة إيجابية سليمة وسديدة، وبصفة دائمة مستديمة.

(ج) وقال الذهبي أيضًا: «وقد أَلَّفَ الرجل في ذمِّ الفلاسفةِ كتابَ «التهافت»، وكَشَفَ عوارِهم، ووافقهم في مواضعَ ظنًّا منه أن ذلك حقٌّ أو موافقٌ للملَّةِ، ولم يكن له علمٌ بالأثار، ولا خبرةٌ بالسنةِ النبويَّةِ القاضيةِ على العقل، وحَبَّبَ إليه إيمانُ النظرِ في كتابِ «رسائلِ إخوان الصفا»، وهو داءٌ عضالٌ، وجَرَبٌ مرِدٌّ، وسَمٌّ قَتالٌ، ولولا أنَّ أبا حامدٍ من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين لتلف، فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شُبِّه الأوائل وإلا وقعتم في الحيرة...». اهـ. السير (٣٢٨/١٩)، وللإستزادة ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٣/١٩)، ومجموع الفتاوى (١٠/٥٥١-٥٥٢)، والكشف عن حقيقة الصوفية (ص ٨٥٠)، وإحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين. لعلي الحلبي.

قلت: ويقولون: إنَّه حُتِمَ له بخيرٍ، فترك التصوفَ والفلسفةَ، ومات و«صحيح البخاري» على صدره! فكان ماذا؟ وهل كان هذا الإمامُ غافلاً عن «البخاري»، وقد أودع منه أحاديث في كتابه «الإحياء»، بل قد جاء في ترجمة «الحافظ أبي الفتيان عمر الرواسي» أنَّه «قدم «طوس» في آخر عمره، فصَحَّحَ عليه «الغزالي» «الصحيحين»!». قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣١٨/١٩) لكنَّ فضلَ الله على خلقه عظيمٌ، ورحمته وسعت كلَّ شيءٍ فنسأل الله له الرحمة، لكن هذا لا يلزم منه مدحه، والثناء عليه، وتلقيه بـ «حجة الإسلام»!! ويجب ترك ما في كتبه من انحرافٍ وضلالٍ.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٢٠٠).

٥) الحرص على توعية الناشئة بكل نافع ومفيد، والعمل على تصحيح مفاهيمهم المغلوطة والتي أغلبها يلقي عليهم عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل والتقنية الحديثة المختلفة وغيرها، وحمايتهم من كل ما يهدد سلامتهم وسلامة قلوبهم وعقولهم من الغزو العقائدي والفكري والخلقي، وتعليمهم الأخلاق الإسلامية الكريمة والصفات الطيبة الحميدة، والآداب الفاضلة، والعادات والشيم الحسنة، وتربيتهم عليها عملياً، حتى يشبوا عليها ويألفوها، ويتعودوا على مبدأ التحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق، والتخلي عن الرذائل وسفاسف الأمور.

٦) العمل على إكساب الناشئة الخبرات الأساسية والمهارات الأولية اللازمة لتحقيق تكيفهم وتفاعلهم المطلوب مع الحياة ومتطلباتها ومستجداتها، وإكسابهم الثقة بالنفس، والقدرة على التعامل مع الآخرين، وتربيتهم وتدريبهم على تحمل المسؤولية منذ نعومة أظفارهم بحسب إمكاناتهم وبقدر ما يطيقون ويتحملون من الأعمال بلا إفراط ولا تفريط عملاً بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: عدولاً خياراً، وكذلك إزجاء وملء أوقاتهم بكل ما يعود نفعه عليهم وعلى مجتمعاتهم وأمتهم بكل خير، يقول النبي ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، الصُّحة والفراغ»^(١)، وكذلك الحرص على تعويدهم حضور حلق العلم ومجالس الذكر، والحرص على إلحاقهم بحلق تحفيظ القرآن الكريم، وإعانتهم على حفظ ما ييسر لهم من سنة النبي الكريم ﷺ، والاطلاع على سيرته العطرة المباركة ليتعلموا هديه في عبادته

(١) رواه البخاري (٦٤١٢).

ومعاملاته، وكذلك ليتعلموا شمائله الكريمة، وصفاته الطيبة، وأخلاقه الحميدة، وسمته الحسن ﷺ، وكذلك سير أئمة الهدى ومصايح الدجى من أصحابه الكرام وأنصاره على دينه ﷺ وكذلك سير أعلام وأئمة الإسلام وسير الصالحين وسير كل من له قدم صدق في نصره دين الله وإعلاء كلمته في الأرض، وكذلك الاستماع إلى الدروس العلمية والمواعظ النافعة، والحرص كذلك على تعليمهم الأذكار الموظفة وإلى كل ما من شأنه النفع والإعانة على تربيتهم والأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم وثباتهم عليه حتى يلقوا ربهم، ليعذروا بعد ذلك في أداء تلك الأمانة العظيمة والتي سيسألون عنها بين يدي جبار السموات والأرض، يقول ﷺ: «ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم»^(١)، وكذلك من أوجب الواجبات على الوالدين عمومًا وعلى الأب خصوصًا عدم تمكين الأبناء من المحرمات بأنواعها أو التساهل بحجة أنه ما يزال صغيرًا أو غير ذلك من الحجج الواهية.

يقول ابن القيم رحمته: «والصبي وإن لم يكن مكلفًا: فولئيه مكلف، لا يحل له تمكينه من المحرم، فإنه يعتاده، ويعسر فطامه عنه»^(٢).

وذلك تحقيقًا واستجابة لأمر ربنا القائل في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

(١) متفق عليه، البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ١٦٢).

– قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أدّبوهم وعلموهم الخير».

– وقال قتادة ^(١) عليه السلام: «تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيتَ لله معصية؛ زجرتهم عنها» ^(٢).

– قال ابن سعدي -رحمه الله تعالى: «وقاية الأنفس بإلزامها أمر الله امتثالاً ونهيه اجتناباً والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل، والأولاد بتأديبهم وتعليمهم وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه وفيمن تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هم تحت ولايته وتصرفه» ^(٣).

– وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله عز وجل سائل كل ذي رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم أم أضاعه؟ حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته» ^(٤).

(١) قتادة (٦١ - ١١٨ هـ) هو قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي. من أهل البصرة، ولد ضريراً، أحد المفسرين والحفاظ للحديث، قال أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع عمله بالحديث رأساً في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب، والنسب، كان يرئى القدر، وقد يدلّس في الحديث، مات بواسطة الطاعون. (الأعلام للزركلي (٢٧/٦)، وتذكرة الحفاظ (١١٥/١)).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩١/٤).

(٣) تفسير ابن سعدي (ص: ١٠٣٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٦٥٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٦٤) وأعله الألباني بالانقطاع.

قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١٨٠): رواه النسائي في عشرة النساء (٢/٨٩/٢): أخبرني إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي، =

وهذه الرعاية التي فرضها الله على الآباء وسيقالهم عنها يوم القيامة تتمثل في أداء الحقوق والواجبات.

- ويقول ابن القيم رحمته أيضًا: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا»^(١).

- وقال ابن حجر ^(٢) - رحمه الله تعالى: «وهو مسؤول عنهم لأنه أمر أن

= عن قتادة، عن أنس مرفوعًا. وهذا الإسناد عن قتادة عن الحسن مثله. قلت: ورجال الإسنادين ثقات لكن الثاني مرسل، والأول مسند فهو صحيح إن كان قتادة سمعه من أنس فإنه مذكور بشيء من التدليس، والله أعلم. و من الوجه الأول رواه الضياء في المختارة (٢/١٨٥) ثم ذكر الرواية الأخرى المرسلة ثم قال: «قال الدارقطني: والصحيح عن هشام عن قتادة عن الحسن مرسلًا». قلت: وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥٦٢) وابن عدي في «الكامل» (١/١٣) من طريق إسحاق بن إبراهيم وهو ابن راهويه ثم قال: «وهو حديث يتفرد به إسحاق بن راهويه»، قلت: هو إمام ثقة حافظ فلا يضر تفرد. ويشهد للحديث قوله ﷺ: «كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته...» الحديث، وهو مخرج في «غاية المرام في تخريج الحلال والحرام» (٢٦٨). و روى عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٦٥٠) و عنه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٥٥) عن قتادة: أن ابن مسعود قال: «إن الله ﷻ سائل كل ذي رعية فيما استرعاه، أقام أمر الله فيهم أم أضاعه؟ حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته»، وهو موقوف منقطع؛ لأن قتادة لم يسمع من ابن مسعود كما قال الهيثمي في المجمع (٢٠٨/٧).

(١) تحفة المودود بأحكام المولود. تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان بدمشق، ومكتبة المؤيد بالطائف، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ)، صفحة (١٣٩).

(٢) ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) هو: أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين، =

يحرص على وقايتهم من النار، وامثال أوامر الله واجتناب مناهيه»^(١).

= أبو الفضل الكناني العسقلاني، المصري المولد والمنشأ والوفاء، الشهير بابن حجر - نسبة إلى (آل حجر) قوم يسكنون بلاد الجريد وأرضهم قابس في تونس، من كبار الشافعية، كان محدثاً فقيهاً مؤرخاً، انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالي والنازل، وعلل الأحاديث وغير ذلك. تفقه بالبلقيني والبرماوي والعز بن جماعة. ارتحل إلى بلاد الشام وغيرها، تصدق لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وإقراءً وتصنيفاً وإفتاءً، وتفرد بذلك حتى صار إطلاق لفظ المُحدِّث عليه كلمة إجماع، درس في عدة أماكن وولي مشيخة البيبرسية ونظرها والإفتاء بدار العدل، والخطابة بجامع الأزهر، وتولى القضاء، زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفاً، من تصانيفه: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» خمسة عشر مجلداً؛ و«الدراية في منتخب تخريج أحاديث الهداية»، و«تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير». وينظر: الضوء اللامع (٣٦/٢)، والبدر الطالع (٨٧/١)، وشذرات الذهب (٢٧٠/٧)، ومعجم المؤلفين (٢٠/٢).

(١) يقول الباحث: وابن حجر مع جلالة قدره في علم الحديث إلا أنه كثيراً ما يقرر عقيدة الأشاعرة ولا سيما في فتح الباري: وإليك أيها القارئ الكريم غيضاً من فيض من تأويلات ابن حجر لصفات الرب جل في علاه مقررًا عقيدة الأشاعرة متجنباً لمنهج السلف في إثبات الأسماء والصفات على حقيقتها على وجه يليق بذاته سبحانه بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل.

١- نزه الله عن اليد التي هي جارحة. فقال: في الهدى (هدى الساري) (٢١٩): قوله: (أطولهن يداً) أي: أسمحهن.

٢- أول الاستحياء: قال: في الفتح (١٨٩/١): «قوله: (فاستحيا الله منه) أي: رحمه ولم يعاقبه.

٣- أول اليد بالقدرة: قال: في الفتح (٤١٩/١): «والمراد باليد هنا القدرة».

٤- تأويل العجب: قال: في الفتح (١٦٨/٦): «وقد تقدم توجيه العجب في حق الله في أوائل الجهاد وأن معناه الرضا ونحو ذلك...».

٥- تأويله للغضب في موضع آخر: قال: في الفتح (٧/١٧٩): «والمراد بغضب الله إرادة إيصال العقاب...».

٦- نفي الجوارح والأعضاء نفياً مطلقاً درءاً للتجسيم.

قال: (٨/٥٣٢): «لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك، ليس كمثله شيء».

٧- تأويل الفرح قال: (١١/١٠٩): «وقال ابن أبي جمرة: كُنِّي عن إحسان الله للتائب وتجاوزه عنه بالفرح؛ لأن عادة الملك إذا فرح بفعل أحد أن يباليغ في الإحسان إليه...» اهـ.

٨- تأويل النزول قال: (١١/١٣٣): «وقال الكرمانى: ...: النزول محال على الله؛ لأن حقيقته الحركة من جهة العلو إلى السفلى، وقد دلت البراهين القاطعة على تنزيهه عن ذلك، فليتأول ذلك بأن المراد نزول ملك الرحمة ونحوه، أو يفوض مع اعتقاد التنزيه...» اهـ.

٩- تأويل الضحك والأخذ بالمجاز، قال: (١١/٤٥٢): «قال البيضاوي: نسبة الضحك إلى الله تعالى مجاز بمعنى الرضا...» اهـ.

١٠- تأويل الساق: قال: (١١/٤٥٩): «ومعنى كشف الساق زوال الخوف والهول...» اهـ.

١١- تأويل نظر الله، قال الحافظ (١٣/٢١٥): «ومعنى لا ينظر إليهم: يعرض عنهم. ومعنى نظره لعباده: رحمته لهم ولطفه بهم...» اهـ.

موقف علمائنا من الحافظين، ابن حجر، والنووي -رحمهما الله-:

أهل السنّة والجماعة منصفون في الحكم على الآخرين، لا يرفعون الناس فوق ما يستحقون، ولا ينقصون قدرهم، ومن الإنصاف بيان خطأ المخطئ من أهل العلم والفضل، والتأول له، والترحم عليه، كما أن من الإنصاف التحذير من خطئه؛ لئلا يغتر أحد بمكانته فيقلده فيما أخطأ فيه، وأهل السنّة لا يتوانون عن الحكم على المخالف المتعمد للسنّة بأنه مبتدع ضال، وقد وُجد في زماننا هذا من نال من ابن حجر والنووي، فحكم عليهما بأنهما مبتدعان ضالان!، وبلغت السفاهة ببعضهم أن قال بوجوب =

=إحراق كتابيهما «فتح الباري» و «شرح مسلم»!.

وليس معنى هذا أنهما لم يخطئا في مسائل من الشرع، وبخاصة في باب صفات الله تعالى، وقد علق عليها علماؤنا، وبينوها، وردوا عليهما، مع الترحم عليهما، والثناء بما يستحقانه، والدعاء لهما، والوصية بالاستفادة من كتبهما، وهذا هو الإنصاف الذي عُرف به أهل السنّة والجماعة، بخلاف من بدّعهما، وضللّهما، وقال بإحراق كتبهما، وبخلاف من استدلّ بكلامهما كأنه شرع منزل، وجعل ما يعتقدانه هو الحق الذي لا ريب فيه، وسنذكر ما يتيسر من كلام علمائنا ليقف المسلم على الإنصاف، والعلم، والحكم بالعدل على هذين الحافظين.

١- سُئل علماء اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية: ما هو موقفنا من العلماء الذين أوّلوا الصفات، مثل ابن حجر، والنووي، وابن الجوزي، وغيرهم، هل نعتبرهم من أئمة أهل السنّة والجماعة، أم ماذا؟ وهل نقول: إنهم أخطأوا في تأويلاتهم، أم كانوا ضالين في ذلك؟

فأجابوا: «موقفنا من أبي بكر الباقلاني، والبيهقي، وأبي الفرج بن الجوزي، وأبي زكريا النووي، وابن حجر، وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى، أو فوّضوا في أصل معناها: أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنّة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وآله بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنّة رحمهم الله، سواء تأولوا الصفات الذاتية، وصفات الأفعال، أم بعض ذلك، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم» انتهى.

الشيخ عبد العزيز بن باز. الشيخ عبد الرزاق عفيفي. الشيخ عبد الله بن قعود، «فتاوى اللجنة الدائمة» (٣/ ٢٤١).

٢- وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمته: بالنسبة للعلماء الذين وقعوا في بعض الأخطاء في العقيدة، كالأسماء والصفات، وغيرها، تمر علينا أسمائهم في الجامعة حال الدراسة، فما حكم الترحم عليهم؟

=

= الشيخ: مثل من؟.

السائل: مثل: الزمخشري، والزرکشي، وغيرهما.

الشيخ: الزرکشي في ماذا؟.

السائل: في باب الأسماء والصفات.

فأجاب: «على كل حال، هناك أناس ينتسبون لطائفة معينة شعارها البدعة، كالمعتزلة مثلاً، ومنهم الزمخشري، فالزمخشري مُعتزلي، ويصف المشيئين للصفات بأنهم: حشوية، مُجسّمة، ويُصلِّلهم فهو معتزلي، ولهذا يجب على من طالع كتابه «الكشاف» في تفسير القرآن أن يحترز من كلامه في باب الصفات، لكنه من حيث البلاغة، والدلالات البلاغية اللغوية جيد، يُنتفع بكتابه كثيراً، إلا أنه خَطَرٌ على الإنسان الذي لا يعرف في باب الأسماء والصفات شيئاً، لكن هناك علماء مشهودٌ لهم بالخير، لا ينتسبون إلى طائفة معينة من أهل البدع، لكن في كلامهم شيءٌ من كلام أهل البدع؛ مثل: ابن حجر العسقلاني، والنووي -رحمهما الله-، فإن بعض السفهاء من الناس قدحوا فيهما قدحاً تاماً مطلقاً من كل وجه، حتى قيل لي: إن بعض الناس يقول: يجب أن يُحرقَ «فتح الباري»؛ لأن ابن حجر أشعري، وهذا غير صحيح، فهذان الرجلان بالذات ما أعلم اليوم أن أحداً قدّم للإسلام في باب أحاديث الرسول مثل ما قدّماه، ويدلك على أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بحوله وقوته -ولا أتألى على الله- قد قبلها: ما كان لمؤلفاتهما من القبول لدى الناس، لدى طلبة العلم، بل حتى عند العامة، فالآن كتاب «رياض الصالحين» يُقرأ في كل مجلس، ويُقرأ في كل مسجد، وينتفع الناس به انتفاعاً عظيماً، وأتمنى أن يجعل الله لي كتاباً مثل هذا الكتاب، كلُّ من ينتفع به في بيته، وفي مسجده، فكيف يقال عن هذين: إنهما مبتدعانِ ضالان، لا يجوز الترحم عليهما، ولا يجوز القراءة في كتبهما! ويجب إحراق «فتح الباري»، و «شرح صحيح مسلم»؟! سبحان الله! فإني أقول لهؤلاء بلسان الحال، وبلسان المقال: أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ لا أبا لأبيكم من اللوم، أو سدوا المكان الذي سدوا، من كان يستطيع أن يقدم للإسلام والمسلمين مثلما قدّم هذان الرجلان، إلا أن يشاء الله، فأنا أقول: غفر الله للنووي ولابن حجر العسقلاني، ولمن كان على شاكلتهما ممن نفع الله بهم الإسلام والمسلمين، وأمّنوا =

= على ذلك» انتهى. «لقاءات الباب المفتوح» (٤٣/ السؤال رقم ٩).

٣- وسئل معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء - حفظه الله -:
لقد ظهر بين طلاب العلم اختلاف في تعريف المبتدع فقال بعضهم: هو من قال أو فعل
البدعة، ولو لم تقع عليه الحجة، ومنهم من قال لا بد من إقامة الحجة عليه، ومنهم من
فرّق بين العالم المجتهد وغيره من الذين أصلوا أصولهم المخالفة لمنهج أهل السنة
والجماعة، وظهر من بعض هذه الأقوال تبديع ابن حجر والنووي، وعدم الترحم
عليهم؟

فأجاب: «أولاً: لا ينبغي للطلبة المبتدئين وغيرهم من العامة أن يشتغلوا بالتبديع
والتفسيق؛ لأن ذلك أمر خطير وهم ليس عندهم علم ودراية في هذا الموضوع، وأيضاً
هذا يحدث العداوة والبغضاء بينهم، فالواجب عليهم الاشتغال بطلب العلم، وكف
ألسنتهم عما لا فائدة فيه، بل فيه مضرة عليهم، وعلى غيرهم.

ثانياً: البدعة: ما أحدث في الدين مما ليس منه؛ لقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما
ليس منه فهو رد» - رواه البخاري-، وإذا فعل الشيء المخالف جاهلاً؛ فإنه يعذر
بجهله، ولا يحكم عليه بأنه مبتدع، لكن ما عمله يعتبر بدعة.

ثالثاً: من كان عنده أخطاء اجتهادية تأوّل فيها غيره، كابن حجر، والنووي، وما قد يقع
منهما من تأويل بعض الصفات: لا يُحكم عليه بأنه مبتدع، ولكن يُقال: هذا الذي
حصل منهما خطأ، ويرجى لهما المغفرة بما قدماه من خدمة عظيمة لسنة رسول الله
ﷺ، فهما إمامان جليلان، موثوقان عند أهل العلم» انتهى. «المنتقى من فتاوى
الفوزان» (٢/ ٢١١، ٢١٢).

٤- وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر رحمته: «مثل النووي، وابن
حجر العسقلاني، وأمثالهما، من الظلم أن يقال عنهم: إنهم من أهل البدع، أنا أعرف
أنهما من «الأشاعرة»، لكنهما ما قصدا مخالفة الكتاب والسنة، وإنما وهما، وظناً أنما
ورثاه من العقيدة الأشعرية: ظناً شيعين اثنين:

أولاً: أن الإمام الأشعري يقول ذلك، وهو لا يقول ذلك إلاً قديماً؛ لأنه رجع عنه.
وثانياً: توهما صواباً، وليس بصواب. انتهى من (شريط رقم ٦٦٦) «من هو الكافر ومن
هو المبتدع».

وقال: قال مجاهد: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [التحریم: ٦] أو صوا أنفسكم وأهليكم بتقوى الله وأدبوه^(١) فلا أعز على الإنسان من نفسه ولا أقرب له من أهله، ولا سعادة تعدل سعادة نجاة الإنسان وأهله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وفي المقابل فإن خسارتهم يوم القيامة تعد خسارة عظيمة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَخْسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

لذا فمن أولى أولويات الآباء في تربية الأبناء، وأوجب الواجبات في رعايتهم، وأحق الحقوق هو حقهم في البناء الإيماني الذي يؤهلهم لما ينتظرهم في دنياهم وأخرتهم.

ولا شك أن من كان في إيمانه أعمق كان في كل جوانب حياته أنجح، فلا أقل من أن يعرف كيف يستعين بربه في جميع أموره، وهو الأكثر يقيناً حال استعانته، وإن كان يجهل طريق الوصول لما يريد فإنه يعلم كيف يسأل الله أن يعلمه ويهديه إلى سواء السبيل.

= فرحم الله: النووي وابن حجر، وغفر لهما ما أخطأ فيه، والله أعلم.

يقول الباحث: ذكرت ونقلت هذا ديانة وأمانة، وللاستزادة، ينظر: الإسلام سؤال وجواب. للمنجد، ولعل في هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب النكاح) (٩/١١٣). (قول ابن حجر).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب التفسير) (٨/٦٥٩) (أثر مجاهد).

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن وفقه الله لأداء هذا الحق لأبنائه حبًّا لله وخوفًا منه فهو الذي قد أدى حق ربه وحق أبنائه على أكمل وجه، ومثله حري به أن يحسن على ذاك السؤال جوابًا: وأما من أساء وظلم فليعد للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا.

(٧) الأمر باعتناق العقيدة الصحيحة وتعلمها:

تعريف الأبناء بأهمية التوحيد، وعرضه عليهم بأسلوب يسير (سهل). يناسب عقولهم ومداركهم ومراحلهم العمرية مع بث روح المراقبة لله والخوف منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، مع بيان أسمائه وصفاته التي تدل على اطلاعه على خلقه وسعة علمه سبحانه بعباده، كالعليم والسميع والبصير مع بيان مدلولاتها ومعانيها، وأثرها في سلوكهم، وبيان معيته لخلقهم بعلمه وسمعته ورؤيته لعباده (مع علوه جل في علاه).، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** مخاطبًا نبيه وكليمه موسى وأخاه هارون **الصلوات**: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

– قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] أي: لَا تَخَافَا مِنْهُ فَإِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ كَلَامَكُمَا وَكَلَامَهُ وَأَرَىٰ مَكَانَكُمَا وَمَكَانَهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيْءٌ وَأَعْلَمَا أَنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِي فَلَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَتَنَفَّسُ وَلَا يَبْطِشُ إِلَّا بِإِذْنِي وَبَعْدَ أَمْرِي وَأَنَا مَعَكُمَا بِحِفْظِي وَنَصْرِي وَتَأْيِيدِي»^(١).

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦١)

٨) وكذلك حثّ الأبناء على الطهارة وتعلم صفة وضوء النبي ﷺ عملياً، وكذلك صفة صلاته صلوات الله وسلامه عليه، كما رغبتنا ﷺ في ذلك في صحيح سننه: (ف) عَنْ حُمْرَانَ^(١) - مَوْلَى عُمَانَ بْنِ عَفَانَ - **حَدَّثَنَا**، أَنَّهُ رَأَى عُمَانَ دَعَا بِوُضُوءٍ - الْوُضُوءَ بِفَتْحِ الْوَاوِ الْمَاءِ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ، وَبِضْمِهَا غَسَلَ أَعْضَاءَ الْوُضُوءِ -، فَأَقْرَعَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنْأَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوُضُوءِ، ثُمَّ تَمَضَّمَصَّ وَاسْتَنْشَقَّ وَاسْتَنْشَرَّ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ كِلْتَا رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

وكذلك تعليمهم إقامة الصلاة وتعويدهم على أدائها في جماعة على الوجه الصحيح والمطلوب شرعاً، عملاً بقوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(٣). واستجابة لأمره ﷺ، القائل: «علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٤). وهنا تجدر الإشارة إلى أن الدور التربوي للأسرة في عصرنا الحاضر قد

(١) حمران بن أبان الفارسي الفقيه مولى أمير المؤمنين عثمان، كان من سبي عين التمر ابتاعه عثمان من المسيب بن نجبة، حدّث عن عثمان، ومعاوية، وهو قليل الحديث، سير أعلام النبلاء (ص: ١٨٣).

(٢) متفق عليه رواه البخاري (١/٤٨)، ومسلم (١/٢٠٤)، وغيرهما.

(٣) البخاري (٦٠٠٨-٧٢٤٦) من حديث مالك بن الحويرث **حَدَّثَنَا**.

(٤) الألباني، صحيح الجامع (٤٠٢٦) صحيح.

تقلص بعض الشيء ولم يعد بنفس المنزلة التي كان عليها من قبل، والسبب في ذلك أن هناك مؤسسات اجتماعية أخرى تمكنت في العصر الحاضر من مزاحمة الأسرة والسيطرة على معظم الوقت الذي يقضيه الناشئ تحت تأثيرها، ومن هذه المؤسسات وسائل الإعلام التي تُعد بحق في عصرنا أهم وأبرز المؤسسات التربوية الاجتماعية المؤثرة تأثيراً فاعلاً في حياة الإنسان صغيراً كان أم كبيراً، جاهلاً أم مُتعلماً، ذكراً أم أنثى، سلباً وإيجاباً، بخيرها وشرها، بحلوها ومرها^(١).

٩) العدل بين الأولاد وحسن معاملتهم: لقد حثنا ديننا الحنيف وأمرنا بالعدل بين الأبناء في المعاملة وفي كل عطاء معنوياً كان أم مادياً، وأوامر النبي ﷺ في هذا المعنى متوافرة في سنته المطهرة.

فَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحْلَتُهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَارْجِعْهُ»^(٢).

وفي لفظ آخر للشيخين أيضاً، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّي؛ عَمْرَةٌ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضِي حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لِيُشْهَدَهُ عَلَيَّ صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ». فَارْجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ^(٣). وفي لفظٍ لمسلم فقال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بَشِيرُ، أَلَاكَ

(١) صالح بن علي أبو عَرَاد، مقدمة في التربية الإسلامية. الرياض: دار الصولتية للتربية

(١٤٢٤هـ) بتصرف يسير

(٢) رواه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣).

(٣) البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣).

وَلَدٌ سَوِيٌّ هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكْلَهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَا تُشْهِدُنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»^(١).

– ووجه الدلالة على تحريم تفضيل بعض الأولاد على بعض من الحديث

ظاهرة من وجوه:

الأول: أمره بالعدل والأمر يقتضي الوجوب.

الثاني: بيانه أن تفضيل أحدهم أو تخصيصه دون الباقي ظلم وجور، إضافة إلى امتناعه عن الشهادة عليه وأمره برده، وهذا كله يدل على تحريم التفضيل، والاستدلال أيضا بحجج عقلية؛ فمنها: ما ذكره ابن حجر حيث قال **رحمته**: «ومن حجة من أوجب العدل: أن هذا مقدمة الواجب؛ لأن قطع الرحم والعقوق محرمان، فما يؤدي إليهما يكون محرماً.

والتفضيل مما يؤدي إلى ذلك»^(٢).

ويؤيد ذلك ما جاء في لفظ عند مسلم: «قَالَ فَأَشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي»، ثُمَّ قَالَ: «أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَلَا إِذَا»^(٣).

ومنها أن تفضيل بعضهم على بعض يورث العداوة والبغضاء فيما بينهم، وأيضا فيما بينهم وبين أبيهم فمنع منه، وهو في معنى السابق^(٤).

(١) مسلم (١٦٢٣).

(٢) فتح الباري (٥/٢١٤).

(٣) مسلم (١٦٢٣).

(٤) المغني (٥/٦٦٤).

ثالثاً - أهمية المعاملة الحسنة (المعتدلة):
وتتباين معاملة الأسر لأولادهم في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المعاملة القاسية:

وتتسم بالشدة في التعامل كالزجر أو التهديد أو الضرب بدون ضوابط أو حدود مشروعة، أو الإهمال للأبناء بذريعة ظروف العمل، وكثرة الأسفار، أو غير ذلك من الحجج الواهية، فيحرم الأولاد من البرّ بهم والتعامل معهم.

النوع الثاني: المعاملة اللينة:

يُلبّي فيها كل ما يطلبه الأولاد، ويُطلق عليها «التربية المدللة» والإفراط في الدلال يؤدي إلى إيجاد شخصية فوضوية، أو كما قالوا قديماً: «زيادة الدلال تؤدي إلى الانحلال».

النوع الثالث: المعاملة المعتدلة (المعاملة الحسنة):

تعتمد على المزج بين العقل والعواطف، وتوجيه النصح والإرشاد، وبهذا تتكون شخصية سليمة وصحيحة، وإذا لم يستجب الأولاد بالإرشاد والتوجيه يلجأ الأبوان إلى توبيخهم ثم هجرهم ثم حرمانهم من بعض الأشياء والأمور المحببة إليهم أحياناً، وأخيراً إلى ضربهم -إذا لزم الأمر- ضرب تاديب ورحمة- لا ضرب تشفٍّ وانتقام- لإعادتهم إلى الطريق الصحيح، وهذا النوع من المعاملة هو المعاملة الصحيحة التي ينبغي أن تسير عليها الأسرة، «وإن حبّ الطفل لا يعني بالطبع عدم تأديبه وتعليمه آداب السلوك الاجتماعي منذ الصغر، مثل تعويده على التعامل الحسن مع أصدقائه وتعويده على احترام من هو أكبر سنّاً منه، وتعميق الرقابة الذاتية لديه، أي: قدرته على تحديد الضوابط

لسلوكة تجاه الآخرين؛ فإذا لا يُدَّ من التوازن بين التأديب للطفل والتعاطف معه، فكما أنه لا يصلح الخضوع الدائم لطلبات الطفل، فإنه لا يصلح استمرار الضغط عليه وكَبْتِهِ، فالتدليل الزائد لا يُعوِّدُهُ على مواجهة صعوبات الحياة، والضغط الزائد يجعله منطويًا على نفسه مكبوتًا يعاني من الحرمان»^(١).

رابعاً - التحذير من أهم المخاطر التي تواجه الأسرة:

مخاطر تواجه الأسرة:

هناك مخاطر عديدة تواجهها الأسرة، ولا يمكن الإسهاب في تناولها، فنتناول

أبرزها بإيجاز:

أ - التناقض بين أقوال الوالدين وأفعالهما:

إن التناقض بين أقوال الوالدين وأفعالهما يترك أثراً سلبياً في نفوس الأبناء ويجعلهم في حيرة من أمرهم لما يرون من تضارب بين الأقوال والأفعال الصادرة من الوالدين، فلا تحدث القناعة الداخلية بأوامر الوالدين لدى الأبناء ولو تظاهروا بالاستجابة لتلك الأوامر ظاهرياً، كالأب الذي يدخن أمام أبنائه ثم يحدثهم عن ضرر التدخين وأثره على صحتهم وأنه من الخبائث ونحو ذلك، أو كالأُم التي تحذر أبنائها من الكذب ثم يرونها تكذب على أبيهم مثلاً.

والله يقول في مثل هذا الصدد: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَسُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَمْ تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾

[الصف: ٢].

وسياتي معنا مبحث التربية بالقدوة منفرداً لأهميته ومكانته وخطورته.

(١) أكرم ضياء العمري، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام (ص ١٩٢).

ب- الانقسام بين روافد التربية وهي (الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام):

وسياتي بيان أهمية وجوب التواصل بين روافد التربية مجتمعة في ختام هذا المبحث المهم بإذن الله تعالى.

ج- وجود الخادمت والمربيات في البيوت:

أصبح وجود الخادمت والمربيات ظاهرة اجتماعية بارزة في المجتمع الإسلامي العربي.

ولا شك أن وجود هؤلاء الخادمت والمربيات له آثاره السيئة والخطيرة في تنشئة الأبناء الدينية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية، ولا سيما إن كنّ كافرات ومن ذوات الأخلاقيات المنحرفة والسلوكيات الرديئة غير الحميدة، فلا بد أن تعي كل أسرة مسلمة خطورة وجود الخادمت والمربيات الأجنبية وبالأخص الكافرات وأبعاد ذلك -على العقيدة والأخلاق وعلى الثقافة والمفاهيم؛ بل وحتى على إضعاف اللغة العربية (لغة القرآن) سواء على سبيل المحادثة أو الكتابة، وعلى التكوين النفسي والشخصي للأبناء، فعلى الأسرة المسلمة أن تحذر من شرورهن وخطورة وجودهن في البيوت، وأول هذه المخاطر وأهمها المخاطر العقدية المتعلقة بالعقيدة، والانحرافات عن العقيدة الإيمانية الصحيحة، وتلقين مبادئ العقائد والديانات المنحرفة للأطفال بالطريق المباشر أو غير المباشر بأداء شعائر الكفر وطقوسه أمام الأطفال مما يؤدي إلى اختلال العقيدة في نفوس الأبناء، وانحرافهم وتأثرهم بعقائد الخادمت الكافرات واصطبغهم بصبغتها، وأيضاً الحذر الشديد من المخاطر الأخلاقية واستعمال السحر والشعوذة وغيرها من الشرور، وكذلك الاحتفال

بأعياد الميلاد والمناسبات التي تتعلق بديانات الكفار، والتعود على شعائر الكفر وأعياد الكفر لا شك أنه نوع من أنواع انتزاع الولاء والبراء، وتقويض لعقيدة الولاء والبراء في نفوس الأولاد، والتي هي أوثق عرى الإيمان، وقيام الحب والبغض على غير أسس العقيدة، وأقل ما يمكن أن تحدثه الخادمة الكافرة في الإخلال بالعقيدة في نفس الولد أن توقع في نفسه حب الكفار واحترامهم، وموافقتهم على دينهم، من خلال حبه لها، وهذا هدم لمبدأ الولاء والبراء الذي تقوم عليه عقيدة المسلمين.

ولله دَرٌّ من قال:

وَلَيْسَ النَّبْتُ يَنْبُتُ فِي جِنَانٍ كَمَثَلِ النَّبْتِ يَنْبُتُ فِي الْفَلَاةِ
فَكَيْفَ نَظُنُّ بِالْأَبْنَاءِ خَيْرًا إِذَا نَشَأُوا بِحِضْنِ الْجَاهِلَاتِ
وَهَلْ يُرْجَى لِأَطْفَالٍ كَمَالٍ إِذَا ارْتَضَعُوا نُدِيِّ النَّاقِصَاتِ (١).

وفي عهد دولة بني أمية كان استقدام الجواري والغلمان سبباً في الترف الذي أسقط الدولة.

وأخيراً: فإن كانت الحاجة إليهن ماسة وملحة وضرورية ولا بد منها، فلا بأس ولكن لا بد أن يكنَّ مسلمات مؤمنات صالحات مستقيمات طاهرات عفيفات، ومع الضوابط الشرعية.

(١) بتصرف من ديوان معروف الرصافي بعنوان: التربية والأمهات.

الرصافي (١٢٩٢-١٣٦٥ هـ / ١٨٧٥-١٩٤٥ م)، أكاديمي وشاعر عراقي اسمه الكامل: معروف بن عبد الغني بن محمود الجباري، ولد ونشأ في بغداد، عمل في حقل التعليم وله عدة إصدارات شعرية، وللإستزادة، ينظر: الموسوعة الحرة.

د- وسائل الإعلام:

تؤكد نتائج الأبحاث والدراسات بما لا يدع مجالاً للشك أن الطفل العربي المسلم يتعرض لمؤثرات خطيرة، وأن شخصيته وهي في مراحل تكوينها تخضع لضغوط سلبية متنوعة.

يقول أحد رؤوس الكفر المعاصرين:

«لسنا نحن الذين سنغير العالم العربي، ولكنه ذلك الطبقة الصغير الذي يرفعونه على أسطح منازلهم»^(١)، وللأسف: فإن الحق ما شهدت به الأعداء: وأقول ما قاله النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه في قصته مع الشيطان وقد جاء يحثو من صدقة الفطر: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»^(٢).

وأقول ما قاله النبي ﷺ أيضاً لأبي بن كعب رضي الله عنه في خبره مع الشيطان وقد جاءه يسرق من تمره، قال له رضي الله عنه: «صدقك الخبيث»^(٣).

فأقول... صدقنا وهو كذوب... صدقنا... والله... الخبيث... ذاك شيطان... (شيطان.. إنسي).

(١) هو: شمعون بيريز - رئيس وزراء إسرائيل السابق - ينظر: الأطفال ومشاهدة العنف في التلفزيون لعبد الرحمن غالب (ص ٨٨)؛ نقلاً عن: التربية الأسرية بين الضوابط الشرعية والمتطلبات العصرية. د/ محمد السيد علي، مجلة المنهل، شوال/ ذو القعدة (١٤٢٠هـ، يناير/ فبراير ٢٠٠٠م) (ص ٧٦).

(٢) البخاري (٥٠١٠).

(٣) الألباني في كل من: صحيح الترغيب والترهيب (٦٦٢)، والسلسلة الصحيحة (٧/٧٣٨).

وسياتي الكلام عن الإعلام بتوسع أكثر في موضعه من هذا المبحث بإذن الله تعالى.

هـ- الفراغ وعدم الإفادة من الوقت:

الفراغ من أهم أسباب الوقوع في المعاصي والمنكرات، والانحرافات الخلقية والسلوكية، ويرجع سبب وجود هذا الفراغ إلى:

١- عدم معرفة الهدف الصحيح والغاية من الحياة التي بينها الله في آي التنزيل.

فقال في محكم كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢- وعدم وجود التصور الواضح المتكامل لهذه الحياة، والجهل بمهام المسلم ومسؤولياته في هذا الكون، فالنفس إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وشغلها بالحق يكون بتزكيتها، وتهذيبها، وإجماعها عن الباطل؛ وإلا تعودت على السوء، واستمرت بالانحراف فخاب بذلك صاحبها، كما قال باريها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [١] ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [١٠] [الشمس: ٩، ١٠].

وقال الحسن البصري:

«يا بن آدم، إنما أنت أيام إذا ذهب يومك ذهب بعضك».

والوقت أعظم ما عنت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع إن الفراغ في حياة الناشئة أمره خطير، وشره مستطير، لما خص به الناشئة من خصوصيات كثيرة تختلف عن بقية مراحل عمر الإنسان، لأنها مرحلة ينشأ فيها الناشئ على ما عود عليه.

قال المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجا ولكن يعلمه التدين أقربوه (١).

(١) ديوان أبي العلاء المعري عنوان القصيدة: قد اختل الأنام بغير شك.

أبو العلاء المعري (٣٦٣ هـ - ٤٤٩ هـ) (٩٧٣ - ١٠٥٧ م) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري وإليها يُنسب، لُقّب: (رهين المحبسين) أي: محبس العمى، ومحبس البيت؛ وذلك لأنه قد اعتزل الناس بعد عودته من بغداد حتى وفاته.

عقيدته وآراؤه في الدين:

كان المعري من المشككين في معتقداته، وندد بالخرافات في الأديان، وبالتالي فقد وصف بأنه مفكر متشائم، وقد يكون أفضل وصف له هو كونه يؤمن بالربوبية، حيث كان يؤمن بأن الدين «خرافة ابتدعها القدماء» لا قيمة لها إلا لأولئك الذين يستغلون السذج من الجماهير. وقد رفض المعري ادعاءات الإسلام وغيره من الأديان الأخرى مصرحاً:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناتكم مكرٌ من القدماء
فلا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطرّوه
وكان الناس في يمنٍ رغيدٍ فجاءوا بالمحال فكدروه
دين وكفر وأبناء تقص وفر قان يُنصّ وتوراة وإنجيل

وللاستزادة، ينظر: نرجس توحيدى فر: أبو العلاء دراسة في معتقداته الدينية. دار صادر بيروت (٢٠١١م) (ص ٦٦)، عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء في رحلة حياته. دار المعارف (ص ٢٦٤-٢٦٥)، طه حسين: مع أبي العلاء في سجنه. دار المعارف. الطبعة الرابعة عشرة (ص ٤٤-٤٥)، سير أعلام النبلاء، الطبقة الرابعة والعشرون، أبو العلاء، وينظر: الموسوعة الحرة، سير أعلام النبلاء، الطبقة الرابعة والعشرون، أبو العلاء.

وقال أبو العتاهية:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاغَ وَالجِدَّةَ مفسدة للمرء أي مفسدة^(١).

إِذَا فلا بد من أمور:

أولاً - استشعار أن الدنيا مزرعة الآخرة، فكما تزرع اليوم تحصد غداً، فالزرع الطيب ينبت بإذن الله ثمراً طيباً، والذي لا يزرع في وقت البذار، تأوه نادماً يوم الحصاد.

- عن عبد الله بن وليد قال: سمعت عبد الرحمن بن حجيرة يحدث عن أبيه، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول إذا قعد يُذكَّر: «إنكم في ممر من الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فإن أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شراً فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالسهم زيادة»^(٢).

(١) أبو العتاهية هو: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، أبو إسحاق، ولد في عين التمر سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م)، ثم انتقل إلى الكوفة، كان بائعاً للجرار، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه، ثم انتقل إلى بغداد، واتصل بالخلفاء، فمدح الخليفة المهدي والهادي وهارون الرشيد، توفي أبو العتاهية في بغداد، اختلف في سنة وفاته فقيل: سنة (٢١٣هـ)، وقيل غير ذلك.

كتاب «الموجز في الشعر العربي - الشاعر العراقي المعروف فالح الحجية»، وينظر: الموسوعة الحرة.

(٢) صفة الصفة (١/١٥٤).

هذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، الصحابي الجليل والعالم والعايد الزاهد، فما قول المفرطين أمثالنا؟!

ثانياً - مصاحبة الجادين الحريصين على أوقاتهم، فإن القرين بالمقارن يقتدي.

ثالثاً - ملء أوقات الفراغ بالأعمال الصالحة كالصلوات الخمس في المساجد فهي مما ينظم وقت الإنسان، ويكسبه الأجر العظيم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»^(١)، وقد جاء في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل قلبه معلق بالمساجد»^(٢). والمعنى: أنه ما يخرج من المسجد إلا ويفكر في العودة إليه، فهو يقضي وقته بين الجلوس في المسجد وانتظار وقت الصلاة ليعود إلى المسجد.

ومنها: حفظ كتاب الله ومدارسته، فإنه الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد؛ ومنها: حضور المجالس المباركة وحلق العلم، والأنشطة الشبابية في المخيمات والمكتبات والمدارس، فكل ذلك معين بإذن الله على حفظ الأوقات.

(١) مسلم (٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (رقم: ٦٢٩) / ١ وفي (٢٣٤)، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين رقم (١٣٥٧) (١٣٥٧) (٥١٧/٢)، وفي كتاب الزكاة: باب الصدقة باليمين (رقم: ١٣٥٧) (٥١٧/٢)، وفي كتاب الرقاق: باب البكاء من خشية الله (رقم: ٦١١٤) (٢٣٧٧/٥)، وفي كتاب المحاربيين من أهل الكفر والردة: باب فضل من ترك الفواحش (رقم: ٦٤٢١) (٢٤٩٦/٦)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب فضل إخفاء الصدقة (رقم: ١٠٣١) (٧١٥/٢).

رابعاً - إشباع حاجات الناشئة البدنية والاجتماعية والمعرفية:

- ١- فيتعلم ما حبب إليه من أنواع الرياضة المباحة التي تقوي بدنه وتعينه على طاعة ربه، كالسباحة والرماية وركوب الخيل.
- ٢- ويشارك أقرانه من أقاربه وزملائه الأعمال الاجتماعية النافعة، والمتاحة ليتعود على تحمل المسؤولية والبذل لأمتة في الكبر.
- ٣- وكذلك تعلم بعض المهارات كإتقان علوم الحاسب الآلي، وكيفية إعداد البرامج المفيدة، والعروض الشيقة.

فكم من مهارة يجهلها الإنسان لو حرص على تعلمها لفاق إخوانه ويز أقرانه! كل بما يناسب مرحلته العمرية.

٤- وكذلك يتردد على المكتبات العامة ليطلع على النافع والمفيد من الكتب، ليتزود من المعرفة والثقافة وتتكون لديه ملكة القراءة والاطلاع، ويتم كل ذلك بتوجيه ومتابعة من والديه.

٥- الدعاء: ولم نؤخر هذا العلاج النافع قليلاً من شأنه، ولكن كل الجهود إذا لم يصاحبها العون والتوفيق من الله فهي خاسرة ضائعة، فمن صفات عباد الرحمن، الدعاء لذرياتهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده^(١).

(١) يقال: إن البيت لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وينظر: الفرج بعد الشدة. للتوخي، الباب الثاني ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء وما يتوصل به إلى كشف نازل الشدة والبلاء (ص ٦١).

يقول حافظ بن أحمد الحكمي رحمته:

الْعِلْمُ يَا صَاحِبِ اسْتَغْفِرْ لِصَاحِبِهِ
كَذَلِكَ تَسْتَغْفِرُ الْحَيْتَانُ فِي لُجَجِ
وَحَارِجٍ فِي طِلَابِ الْعِلْمِ مُحْتَسِبًا
وَإِنَّ أَجْنَحَةَ الْأَمْلاَكِ تَبْسُطُهَا
وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْعِلْمِ يُسَلِّكُهُمْ
وَالسَّمِيعُ الْعِلْمَ وَالْوَاعِي لِيَحْفَظَهُ
فَيَا نَضَارَتَهُ إِذْ كَانَ مُتَّصِفًا
كَفَّاكَ فِي فَضْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ
أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مِنْ لَمَمٍ
مِنَ الْبِحَارِ لَهُ فِي الضُّوْءِ وَالظُّلَمِ
مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيَّ كَمِي
لِطَالِيهِ رِضًا مِنْهُمْ بِصُنْعِهِمْ
إِلَى الْجَنَانِ طَرِيقًا بَارِئُ النَّسَمِ
مُؤَدِّيًا نَاشِرًا إِيَّاهُ فِي الْأُمَمِ
بِدَا بَدْعُوهُ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
مِنْ أَجْلِهِ دَرَجَاتٍ فَوْقَ غَيْرِهِمْ ^(١).

(١) المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمته

وينظر: شرحها للشيخ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر - دار الفضيلة، المحمدية، الجزائر، الطبعة الثانية (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م) (ص ١٠) وما بعدها.

هو: الشيخ: حافظ بن أحمد الحكمي، أحد علماء أهل السنة والجماعة، وأحد أعلام شبه الجزيرة العربية، ينتسب إلى قبيلة حكم المعروفة والتي تتمركز في المخلاف السليماني، وتعود أصولهم إلى الحكم، أحد أبناء سعد العشيرة، وهو أحد أجداد العرب القحطانية، و«حافظ» هو اسمه، وليس المصطلح الحديثي المعروف (نسبة إلى الحديث النبوي)، توفي بعد أدائه مناسك الحج في مكة يوم (١٨) من ذي الحجة سنة (١٣٧٧هـ)، عن عمر يبلغ (٣٥) عامًا، ودفن بمكة، وخلف أربعة أبناء -هم: أحمد، وعبد الله، ومحمد، وعبد الرحمن، وثلاث بنات.

للاستزادة، ينظر: الشيخ حافظ الحكمي؛ حياته وجهوده العلمية والعملية. لزيد بن محمد بن هادي المدخلي. والتاريخ الأدبي لمنطقة جازان. لمحمد بن أحمد العقيلي. والموسوعة الحرة.

وأخيراً؛ أذكر مجموعة من التوجيهات التربوية الموجزة:

١- تخصيص وقت كافٍ للجلوس مع الأبناء، وتبادل الأحاديث الودية المتنوعة عن: السيرة النبوية والأخبار الاجتماعية والعائلية والدراسية والمسابقات الثقافية والعلمية وغيرها.

٢- التركيز على التربية الأخلاقية والمُثل الطيبة، وأن يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهما.

٣- احترام الأبناء عن طريق الحب والاحترام المتبادل، وتنمية الوعي، والصراحة، والوضوح.

٤- فهم نفسية الأولاد، وإعطاؤهم الثقة في أنفسهم.

٥- إشراك الأولاد في القيام بأدوار اجتماعية وأعمال نافعة تناسب أعمارهم وقدراتهم.

٦- التشجيع الدائم للأولاد والاستحسان والمدح؛ بل وتقديم الهدايا والمكافآت التشجيعية كلما قدّموا أعمالاً نبيلة ونجاحاً في حياتهم.

٧- عدم السخرية والتهديد بالعقاب الدائم للأبناء، متى ما أخفقوا في دراستهم أو وقعوا في أخطاء من غير قصد منهم؛ بل يتم تلمس المشكلة بهدوء، ومحاولة التغلب على الخطأ بالحكمة، والترغيب والترهيب.

٨- عدم إظهار المخالفات والنزاعات التي تحدث بين الوالدين أمام سمع أبنائهم.

٩- الصبر الجميل في تربية الأبناء، وتحمل ما يحدث منهم من عناد أو عصيان، والدعاء بصلاحتهم وتوفيقهم.

ومن هنا أود التأكيد مرة أخرى، على أن دور الأسرة في رعاية الأولاد؛ هو أقوى دعائم المجتمع تأثيراً في تكوين شخصية الأبناء، وتوجيه سلوكهم، وإعدادهم للمستقبل^(١).



(١) دور الأسرة في رعاية الأولاد. د/ عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المصدر: الإسلام اليوم.

ثانياً: المسجد

يُعدُّ المسجد أبرز وأهم المؤسسات الاجتماعية التربوية التي ارتبطت بالتربية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً منذ صدر الإسلام نظراً لعددٍ من العوامل التي أدت في مجموعها إلى ذلك الارتباط والتلازم؛ لا سيما وأن المسجد لم يكن في المجتمع المسلم الأول مجرد مكان لأداء العبادات المختلفة فحسب؛ بل كان أشمل من ذلك، فالمسجد يتميز بأنه بيت من بيوت الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقد أضاف الله **ﷻ** المساجد إليه سبحانه إضافة تشریف وتكريم، وفي ذلك إشارة إلى أهميتها ومكانتها، وأهمية دورها التربوي في ضوء منهج الله، وفي التعرف على الله **ﷻ** وفي الحث على السير إلى رضوانه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وسلوك طريقه **جَلَّ وَعَلَا** فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨].

وللمسجد دور كبير في جميع مجالات الحياة في العبادة، والعلم، والدعوة، والأخلاق، والمعاملات، والفتوى، والسلم، والحرب، واستقبال الوفود، وإعلان السياسة العامة للدولة.

فقد كانت رسالة المسجد مهمة وخالدة، وسامية، لأنها رسالة الإسلام، فقد اقترن بناء الدولة الإسلامية ببناء المسجد، لأنه يتمتع بمكانة رفيعة في نفوس المسلمين، لقد كان مسجد رسول الله في المدينة هو النواة الأولى والمركز الرئيس لإقامة الدولة الإسلامية، فقد جعل رسول الله **ﷺ** بناءه وتأسيسه إيذاناً

بإقامة دولة إسلامية انطلاقاً من أشرف البقاع وأطهرها، فكان المسجد مدرسة وجامعة إسلامية، معلّمه رسول الله ﷺ، وتلامذته أصحابه الكرام رضي الله عنهم، وكان المسلمون الأوائل إذا فتحوا مصرًا من الأمصار أسسوا فيه مسجدًا جامعًا تأسياً برسولهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وإيدانًا وإعلانًا للدنيا بأن هذا البلد أصبح جزءًا من الدولة الإسلامية، وإعلانًا لسيادة دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْأَرْضِ. وذلك بعكس المحتل الحديث والمعاصر الذين يرفع راية أو علمًا فوق عاصمة البلد الذي احتله دليلاً على نصره وسيادته، وسيادة الظالمين المتجبرين على المظلومين المستضعفين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وكانت مواضع الأئمة، ومجامع الأمة، هي المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم»^(١).

والمسجد أحب البقاع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو قلعة الإيمان، وحصن الفضيلة، وهو المدرسة التي يتعلم ويتربى فيها الناشئة، فيخرج منهم العلماء والخلفاء والأمراء والفقهاء والقادة والمصلحون والأعلام في كل ميدان.

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/١٩٦)، وتذكرة الحفاظ، الإمام الذهبي، تحقيق العلامة المعلمي، نشر دائرة المعارف العثمانية (٤/١٤٩٦-١٤٩٨)، وذيل العبر، الإمام الذهبي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - (١٤٠٥ هـ) (ص ٨٤)، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة: الثالثة (١٩٩٠ م) (ص ٢٢).

لقد كان المسجد في عهد رسول الله ﷺ جامعاً لأداء العبادات ومقرّاً للدولة، وجامعةً للتعليم ومعهداً لطلب العلم ونشر الدعوة في المجتمع ومركزاً للتربية ومركزاً للقضاء والفتوى، وداراً للشورى وتبادل الآراء، ومنبراً إعلامياً لإذاعة الأخبار وتبليغها، ومنزلاً للضيافة وإيواء الغرباء، ومكاناً لعقد الألوية وانطلاق الجيوش للجهاد في سبيل الله تعالى، ومنتدى للثقافة ونشر الوعي بين الناس، ومكاناً لاستقبال الوفود التي قصدت المدينة لمبايعة الرسول الكريم ﷺ والدخول في دين الله أفواجاً معلنة الإذعان والانقياد والاستسلام لله تبارك وتعالى.

إلى غير ذلك من الوظائف الاجتماعية المختلفة.

وللمسجد أثر عظيم في بناء المجتمع الإسلامي وتوجيهه إلى ما فيه خير وسعادة أفراده في أمور الدين والدنيا، فقد أدى المسجد في الإسلام دوراً عظيماً في التوجيه والإرشاد والدعوة وإصلاح البشر وتربيتهم، وتقوية الشعور الديني والحفاظ على الوحدة الإسلامية حقيقة ومظهرًا، والأمة المسلمة مؤهلة اليوم وفي كل يوم إذا ما عرفت كيف تعيد إلى هذا المنطلق قوته وتأثيره في قيادة وريادة البشرية قاطبة.

إن الوظيفة الحقيقية للمسجد في الإسلام، هي إعداد المسلم المتكامل البناء في خلقه وسلوكه وعمله وعبادته، في علاقته بربه وبنفسه وبأخيه المسلم وبالناس جميعاً، ووظيفة المسجد في صورتها الاجتماعية الشاملة هي أن يكون مركز إشعاع وتوجيه وتربية للناشئة خاصة ولجماعة المسلمين عامة، فالمسجد يكمل بناء المجتمع ويدعمه ويقوي أركانه ويعمق في نفوس الناشئة الإحساس

بالفضائل التي غرستها الأسرة والمدرسة؛ بل يغذيها وينميها ويتعاون معها في بناء المجتمع الراشد المتجه نحو الصلاح والفلاح بهداية من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وبالتردد على المساجد يتعلم النشء النظام والدقة والنظافة والاستواء، وينمو شعور التآلف بينهم وبين أقرانهم، فتتكون العلاقات الاجتماعية الطيبة ويشبون عليها فتحقق لهم معاني الأخوة الإيمانية المتميزة بالحب المفعم في ذات الله.

هكذا نظر المسلمون الأولون إلى المسجد على أنه مدرسة تحمل كل هذه المعاني، فأقاموا صلتهم به على أساسها، فكان له من الأثر في تكوينهم ما لم يعرف التاريخ له مثيلاً في أي عمل تربوي بناءً، حتى أصبح المسجد بحق المدرسة التي يتعلم فيها المسلم من المهد إلى اللحد كل ما يعوزه من مبادئ الحياة، فمن واجب المسلمين أن يعيدوا إلى المسجد وظيفته ومهافته وحيوته حتى يصبح مصدر إشعاع يرشد فيعلم، ويهدي فيقوم؛ لأن المسجد مؤسسة ذات مركز عظيم، وله دور كبير وفَعَّال في تربية وتوجيه وتعليم الناشئة، فالمسجد يُعدُّ أبرز وأهم المؤسسات الاجتماعية التربوية التي ارتبطت بالتربية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً نظراً لعددٍ من العوامل التي أدت في مجموعها إلى ذلك الارتباط والتلازم؛ لا سيما وأن المسجد لم يكن في المجتمع المسلم الأول مجرد مكان لأداء العبادات المختلفة فحسب؛ بل كان أشمل من ذلك، وبذلك يمكن القول بأن المسجد في الإسلام يُعد جامعاً وجامعةً، ومركزاً لنشر الوعي في المجتمع، ومكاناً لاجتماع المسلمين، ولم شملهم، وتوحيد صفهم، وهو بحق أفضل مكان، وأطهر بقعة، وأقدس محلٍّ يمكن أن تتم فيه تربية الإنسان المسلم وتنشئته، ليكون بإذن الله تعالى فرداً صالحاً في مجتمعٍ صالح.

ولعل من أهم ما يُميز رسالة المسجد التربوية في المجتمع المسلم أنه يُعطي التربية الإسلامية هويةً مميزةً لها عن غيرها، وأنه مكانٌ للتعليم والتوعية الشاملة، التي يُفيد منها جميع أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم، وأعمارهم، وثقافتهم، وأجناسهم؛ إضافةً إلى فضل التعلم في المسجد، وما يترتب على ذلك من عظيم الأجر وجزيل الثواب.

* ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(١).

وللمسجد أثر كبير على النشء وخاصة إذا تعودوا منذ صغرهم على ارتياد المساجد بصحبة آبائهم، فالمسجد محضن تربوي ذو أثر عظيم يحافظ على الفطرة وينمي الموهبة ويربط النشء بربه من أول ظهور الإدراك وعلامات التمييز، ويطلع فيه المثل والقيم والصلاح بتأثير من الصالحين والأخيار ورواد المساجد من خلال المشاهدة والقدوة.

كما يقوم المسجد بتدريب الناشئ على النظام ويعلمه كيف يتعامل مع الآخرين من خلال المشاركة الاجتماعية والاختلاط بفئات المجتمع، فينشأ على الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية والشجاعة، لأنه يختلط بالكبار ولا يهابهم ويتعلم الاطمئنان النفسي ويتربى على النظام من خلال الصفوف المترابطة للصلاة، فيكون انطباعاً في نفسه على حبّ الترتيب والنظام، ويشهد

(١) مسلم (٢٦٩٩)، وابن ماجه (١/٢٢٥)، وينظر: مقدمة في التربية الإسلامية. أبو عرّاد-

طاعة المأموم لإمامه، ويرى احترام الصغير للكبير، فتكبر هذه المفاهيم وتشب معه، وكانت صلة الأطفال الصغار بالمسجد في عهد رسول الله (ﷺ). صلة قوية وثيقة نماها رسول الله (ﷺ). ونماها الخلفاء الراشدون من بعده وأصحابه من خلال أفعالهم وتوجيهاتهم ﷺ أجمعين. وعندما يأخذ المسجد مكانه الملائم الذي بُني من أجله وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في تربية الأطفال والناشئين وتكوينهم، حيث يرون الراشدين مجتمعين على طاعة الله وعبادته، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم والاعتزاز بالجماعة المسلمة، وفيه يسمعون الخطب والدروس العلمية فيبدأون بوعي العقيدة الإسلامية، وفهم هدفهم من الحياة وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة، وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه فيجمعون بين النمو العقلي والفكري بتعلم القرآن الكريم والنمو الروحي والارتباط بخالقهم، وفيه يتعلمون الحديث والفقه وكل ما يحتاجونه من نظم الحياة الاجتماعية، كما أراد الله أن ينظمها للإنسان. فالمسجد يعلم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله وإخلاص العبودية له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وينغرس هذا المعنى في نفوسهم عفواً من غير قصد ولا تكلف، وفي الصلاة تتجسد كثير من مزايا الأخلاق التي تصوغ شخصية المسلم السوية، ومن ذلك قيمة العزة التي تجسد أسمى معاني الأخلاق، وكذلك صفة الرحمة، وهي الصفة التي اختارها الله لعباده دون سائر صفاته في فاتحة الكتاب (الرحمن الرحيم)، فيتعد النشء عن الرياء والسمعة والكذب وتناقض الفعل والقول، وقد بقي تعلم القرآن الكريم في الكتاتيب والمساجد إلى عهد قريب هو الوسيلة لتعلم القراءة والكتابة في كثير من البلاد الإسلامية، فكان الناشئة قبل

انتشار المدارس الحديثة يتقنون قراءة القرآن الكريم، فيتعلمون القراءة من خلال تعرفهم إلى صور الكلمات المكتوبة مقترنة بألفاظها المنطوقة، وكانوا بعد هذه القراءة الأولى، يكتبون القسم الذي قرأوه على ألواح خشبية يحاكون رسمه في المصحف وكلما كتبوا جزءاً يناسب مقدرتهم عادوا فأتقنوا تلاوته وحفظه ثم ينتقلون إلى غيره وهكذا حتى يتموا حفظ جميع القرآن الكريم عن ظهر قلب، فالمسجد يؤدي وظيفتي العبادة والتربية دون تمييز واضح بينهما.

ومما يذكر أنه ضاقت المساجد بالصبيان، حتى اضطرت الضحاك بن مزاحم معلمهم ومؤدبهم أن يطوف عليهم بدابته ليشرف عليهم وقد بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبي وكان لا يأخذ أجراً على عمله.

إن تردد الناشئ على المساجد منذ نعومة أظفاره يجعله ينمو نمواً لا مشاكل فيه ولا تعقيد أمامه ولا اضطراب في نفسه ويثبت قلبه على الإيمان لأن مرحلة التربية في الصغر من أخطر المراحل في حياته، وعند بلوغه يكون قد حُصن فؤاده وثبت يقينه فلا قلق ولا اختلال ولا أوهام لأنه في المسجد يجد المناخ الطيب والجو الديني والمجتمع الطاهر، فتتأصل في نفسه أمور العبادة وآداب التعامل وشدة المراقبة لله فيكون عضواً سليماً في مجتمعه وتصدق فيه بشارة النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة **رضي الله عنه**: عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» فذكر منهم: «شاب

نشأ في عبادة الله»^(١).

إن خير القلوب وأوعاها للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أبناء المؤمنين لكي يرسخ فيها، وقد حرص الإسلام على رعاية الناشئة رعاية منقطعة النظير، إيماناً بأنهم رجال المستقبل وعدة الغد، فلا يجوز تركهم مشردين في الطرقات محرومين من نعمة المسجد الذي هو بيت الله، ومأوى المؤمن ومدرسته العملية، والناشئ إذا شبَّ على شيء شاب عليه، ولقد كان الناشئة يأتون المسجد في عهد رسول الله ﷺ يرفعون صوتهم ويتلطف بهم، ولم يمنعهم من المساجد حتى إنه ﷺ نزل من فوق المنبر في أثناء الخطبة لما رأى الحسن والحسين عليه السلام وقبلهما، ثم عاد إلى خطبته، وحمل أمامة بنت ابنته زينب كذلك في المسجد.

وحديث أبي بكرة^(٢) المشهور عليه السلام الذي جاء فيه: أن رسول الله ﷺ كان

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد رقم (٦٢٩) (١/٢٣٤)، وفي كتاب الزكاة: باب الصدقة باليمين (رقم: ١٣٥٧) (١٣٥٧/٢) (٥١٧/٢)، وفي كتاب الزكاة: باب الصدقة باليمين (رقم: ١٣٥٧) (١٣٥٧/٢)، وفي كتاب الرقاق: باب البكاء من خشية الله (رقم: ٦١١٤) (٥/٢٣٧٧)، وفي كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة: باب فضل من ترك الفواحش (رقم: ٦٤٢١) (٦/٢٤٩٦)، ومسلم في كتاب الزكاة: باب فضل إخفاء الصدقة (رقم: ١٠٣١) (٢/٧١٥).

(٢) هو نَفِيعُ بنُ الحارث، وقيل: نَفِيعُ بنُ مَسْرُوح، أبو بكرة الثقفي الطائفي، مولى النبي ﷺ، تدلَّى في حصار الطائف ببكرة، وفرَّ إلى النبي ﷺ، وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه، وقد كُنِّيَ بأبي بكرة؛ لأنه تدلَّى من الحصن ببكرة فمن يومئذ كني بأبي بكرة.

يصلي ويجيء الحسن بن علي عليه السلام وهو صغير فكلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وثب على ظهره، ويرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه رفعا رفيقا حتى يضعه على الأرض ^(١).

ومن هنا فالواجب أن نستعين بكل وسيلة متاحة ومباحة شرعا من شأنها أن تشوق الناشئ إلى المسجد وتحببه إليه، ونحذر من كل أسلوب من أساليب التنفير من المسجد.

ومما يتأكد شرعا في حق الجهات المعنية في بلاد الإسلام: أن تولي هذا الجانب العظيم العناية والأهمية الكبرى من إعداد الكفاءات العلمية والتربوية التي تقوم علي هذا الجانب العظيم والخطير في حياة المجتمع المسلم والأمة الإسلامية قاطبة، والتي تقوم بإعداد دراسات ودورات تربوية علمية وعملية لتقوم على ربط الناشئة ببيوت الله، وتضع خطط تنفيذية وتطبيقية لهذه الدراسات وتكون شاملة لجميع المراحل العمرية للناشئة من قبل المختصين، وتضع كذلك حلولاً عملية للصعوبات والتحديات والمشكلات والمعضلات

=وفاته: قال ابن سعد: مات أبو بكر في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالبصرة، فقيل: مات سنة إحدى وخمسين، وقيل: مات سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه أبو برزة الأسلمي الصحابي.

السير (٥/٣). وأسد الغابة (٥/٣٨ و١٥١)، والبداية والنهاية (٥٧/٨)، وشذرات الذهب (٥٨/١).

(١) صحيح ابن حبان (٦٩٦٤)، من حديث أبي بكر نفيح بن الحارث الثقفي رضي الله عنه، والألباني، النصيحة، (١٢٥) يرتقي إلى مرتبة الصحة بالشاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والألباني، السلسلة الصحيحة (٣٣٢٥) إسناده حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والوادعي، صحيح دلائل النبوة، (٣٣٤) حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعراقل التي تواجه هذه الرسالة النبيلة السامية والغاية الغالية النفيسة والمهمة الجليلة الجسيمة، وتوضع في خطة كل دولة مسلمة ميزانية مالية ضخمة تليق بهذه المهمة التربوية العظيمة، وتحفز القائمين على هذا العمل الجلل تحفيزاً يليق بمكانة المسجد في الإسلام ومهمته ولا سيما فيما يتعلق بشأن الناشئة، فهم رجال الغد وأمل الأمة المنشود، وكذلك تحفيز الناشئة أنفسهم بالتشجيع المستمر والعطاء الدائم مادياً ومعنوياً.

فالدول مثلاً تحفز الطب والأطباء وكل ما من شأنه يتعلق بالطب، من إنشاء لكليات الطب بجمع فروع وأقسامه، وتوفير له أمهر الأساتذة من الداخل والخارج بأعلى الرواتب والحوافز المادية والمعنوية وتوفير الأجهزة والمعامل والمختبرات وكل الإمكانيات المادية والبشرية، ولا يلتحق بكليات الطب إلا أفضل الطلاب والحاصلين على أعلى الدرجات، وبمجرد تخرجه يحصل على مكانة اجتماعية مرموقة، من أعلى الرواتب والحوافز المادية والمعنوية، علاوة على ما يحصل عليه من لقب طبيب (دكتور)، وهذا كله لا نكاره فيه، وذلك لأن موضوع الطب هو جسم الإنسان وصحته، وهذا لا ينكره عاقل، مدى حاجة البشرية الضرورية لهذا الشأن العظيم، وشريعة الإسلام الغراء لم تغفل هذا الجانب؛ بل أولته عناية كبيرة لا تخفى على ذي لب، فهو يندرج تحت حفظ النفس التي أمرت الشريعة بحفظها، وتعلمه من فروض الكفايات، لكن هذا للأبدان الفانية، فماذا للقلوب والأرواح الغالية؟.

— من هنا يتبين لنا أهمية: ما يجب أن توليه الأمة المسلمة العناية الكبرى والأهمية العظمى من جانب العناية بالمساجد والعناية برأس مالها وأملها

المنشود وهم الناشئة، والعناية بتربيتهم وربطهم بيوت الله فيما يتعلق بجميع الجوانب، من جانب الشعائر التعبدية والتعليمية والتربوية، ومن كل ما من شأنه تعبيد الناشئة لخالقهم جل في علاه والرقى بهم في مدارج التربية الإيمانية العلمية والعملية، الأخلاقية والسلوكية، وتفتح عيونهم وقلوبهم وقد نشأوا وترعرعوا في بيوت الله التي وصفها ربنا بقول سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا نُلْحَمُهُمْ تَحَدَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٨) [النور: ٣٦-٣٨].

وتنطلق تربية الناشئة من بيوت الله كما انطلق المسلمون الأوائل من بيوت الله فسادوا الدنيا وفتحوا البلاد، فذلوا الأكاسرة وخضعت لهم رقاب القياصرة وحرروا الإنسان من رق الدنيا وعبوديتها ونقلوه من عبودية البشر إلى عبودية رب البشر، ومن الذل والقهر لغير الله، إلى عدل الإسلام ورحمته ووسطيته، كما قال ربعي بن عامر ^(١) رحمته لرستم: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا

(١) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو التميمي، كان من أشرف العرب، أدرك النبي ﷺ، شهد الفتوحات الإسلامية وأمد به عمر بن الخطاب المشي بن حارثة، له ذكر في غزوة نهاوند، وولاه الأحنف في بعض الفتوحات، وكانوا لا يؤمرون إلا الصحابة، وللاستزادة ينظر: البداية والنهاية، وتاريخ الطبري، والإصابة في معرفة الصحابة، وتاريخ دمشق.

منه ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله^(١).

(١) نقل هذا الأثر مسنداً عن سيف بن عمر-الإمام ابن جرير الطبري-. فقال في تاريخ الأمم والملوك (٢/٤٠١) -في كلامه عن السنة الرابعة عشرة من الهجرة: كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله، قالوا: وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة، وبسر بن أبي رهم، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن محصن، وربيع بن عامر، وقرفة بن زاهر التيمي ثم الوائلي، ومذعور بن عدي العجلي، والمضارب بن يزيد العجلي، ومعبد بن مرة العجلي وكان من دهاة العرب..... إلى آخر القصة الطويلة مع رستم...

وهنا نحتاج للتنبيه إلى أمرين...

الأمر الأول... قول الطبري: كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف...

فهذا السند هو سند الطبري لمصنفات سيف بن عمر بالمكاتبه ويكرره كثيراً في كتابه هذا.

والسري صدوق وشعيب هو الراوي لكتب سيف بن عمر وفيه جهالة...

لكن على كل حال هذا السند ما هو إلا زينة لرواية ابن جرير لمصنفات سيف بن عمر.. أي: أنه سند لكتاب فلا يضر

الأمر الثاني: سيف بن عمر - وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إطلاق القول بعموم كذبه! ففيه مبالغة وتعنت، هو ضعيف الحديث فقط.

ولم يتهمه بالوضع إلا ابن حبان، وأخذه عنه السيوطي.

ورد عليه الحافظ ابن حجر فقال: أفحش ابن حبان القول فيه.

وابن حبان التعنت ثابت عنه، وقد قال الذهبي عنه: أما ابن حبان فإنه خساف قصاب،

فأقصى ما يكون حاله هو أنه متروك كما قال أبو حاتم الرازي، والدارقطني...

المطلب الثاني: أنه متروك الحديث وإمام في الأخبار...

- فإذا روى حديثاً بسنده عن النبي ﷺ لا يحتج به.

- أما إذا روى أي شيء من باب الأخبار فهو عمدة في هذا الشأن.

وإن لم يقيم بهذا الواجب العظيم الجهات المعنية لأي سببٍ من الأسباب فلا يترك هذا الجانب العظيم بالكلية أبداً؛ بل يقوم به أهل الحسبة من جماعة المسجد وأهل الحي بالتعاون مع إمام المسجد وخطيبه ومؤذنه، وذلك عملاً بقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** [التغابن: ١٦]، وعملاً بقوله **ﷺ: «وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**^(١)، والعمل بالإمكانات المتاحة والمباحة.

– وحتى تتحقق مصلحة تربية الناشئة وتكوينهم من خلال المساجد، لا بد من اتخاذ بعض الإجراءات من القائمين على المساجد، ومنها:

١- أن يقوم إمام المسجد وخطيب الجامع ومؤذنه ومعهم جماعة المسجد وأهل الحي بالتعاون على هذا الأمر العظيم كما أسلفنا.

ويقال ذلك سداً للذرائع وبيان من كل ما من شأنه أن يلامس الواقع، فلا تكون معالجة هذا الأمر العظيم بعيدة عن الواقع، فتكون معالجة شكلية نظرية غير عملية، وأقول ذلك تحدثاً بفضل الله عن تجارب عملية واقعية وملموسة وكثيرة (موفقة ومسددة) رأيناها وعاشناها في كثير من بلدان المسلمين، وعملاً بقاعدة: «ما لا يدرك كله لا يترك كله»، والفقهاء يعبرون عنها بقولهم: «الميسور لا يسقط بالمعسور»، وقد ذكرها بهذه الصيغة العز بن عبد السلام في قواعد

=فقد قال الحافظ ابن حجر عنه في التقريب: «عمدة في التاريخ». اهـ.

وهذه العبارة لا تصدر إلا في حق كل من له شأن عظيم في هذا الباب، وقال الذهبي في الميزان: «كان أخبارياً عارفاً». اهـ.

فأقول: لا بأس بقبول أخباره إن لم يكن بها نكارة أما الأحاديث فلا، والله الموفق.

ذلك ليعود للأمة مجدها التليد وعزها المجيد، وتعود لها قيادتها للأمة وسيادتها للبشر.

(١) البخاري من حديث أبي هريرة **رحمته** (٧٢٨٨).

الأحكام، وابن السبكي في الأشباه والنظائر، والسيوطي في الأشباه والنظائر، والزركشي في المنثور، وصاغها الزركشي بلفظ آخر وهو: «البعض المقدور عليه هل يجب؟»، وصاغها القرافي بلفظ: «المتعذر يسقط اعتباره والممكن يستصحب فيه التكليف»، وصاغها الجويني في الغياثي بلفظ: «المقدور عليه لا يسقط بسقوط المعجوز عنه»، وصاغها ابن رجب بقوله: «من قدر على بعض العبادة وعجز عن باقيها هل يلزمه الإتيان بما قدر عليه منها أم لا؟»^(١).

٢ - أن يشجعوا الآباء لاصطحاب أبنائهم إلى المساجد وتعليمهم الطهارة والنظافة والنظام وأن يراقبهم ويوجههم لما فيه صلاحهم.

٣ - أن يجد الناشئة والصغار من يرشدهم وينظم جلوسهم ويقيم لهم المناشط العلمية والدعوية والتربوية والتي تنفق وأعمارهم من تعلم القرآن الكريم والسنة المطهرة وحفظ المتون العلمية والمسابقات الثقافية، وتعلم الوضوء والصلاة وأحكامهما وغير ذلك مما هم في أمس الحاجة إليه من مبادئ العقيدة والعبادات ومكارم الأخلاق.

٤ - أن يتحجب الكبار إلى الصغار وأبناء المسلمين المصلين بالتبسم والبشاشة ورحابة الصدر وأن يجذبوهم للمساجد ولا ينفروهم منها.

وإن الهدف من تربية الناشئة التربوية الإسلامية الصحيحة ليس تزويدهم بالمعلومات والآداب الإسلامية فحسب؛ بل إطلاعهم على المعنى الأعمق للحياة والعالم من حولهم، والأخذ بأيديهم إلى الطريق الذي يؤدي إلى تنمية

(١) وهذه القاعدة كتب فيها رسالة ماجستير كتبها الباحثة إيمان عبد الله الهادي، وهي من منشورات دار الكيان (د-ت) لمن أراد الاستزادة.

متكاملة لكافة جوانب الشخصية الإسلامية علمًا، ومساعدتهم على التصدي لمشكلات الحياة الشخصية والاجتماعية ليتأهلوا لحمل رسالة الإسلام الخالدة وتحمل تكاليف إبلاغ الحق للخلق ليقولوا للدنيا مقالة النبي ﷺ: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»^(١).



(١) أخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه (١/٥٢٠): هذا حديث صحيح، وصححه مقبل ابن هادي الوادعي - الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٦٢٧٤)، الناشر: مكتبة دار القدس - صنعاء - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: (١٤١١هـ)، ورواه الإمام أحمد في مسند المكيين، حديث ربيعة بن عباد الديلمي رضي الله عنه (برقم: ١٥٥٩٣) بلفظ: «يا أيها الناس...»، وابن حبان ١٤/٦٥٦٢. أثر المسجد في تربية الأطفال وتكوينهم، الثلاثاء، (٠٣ أغسطس ٢٠١٠م)، (١:٣٣) إذاعة القرآن الكريم بنابلس فلسطين - بتصرف.

ثالثاً : المدرسة

المدرسة من أهم المؤسسات التربوية والاجتماعية التي أنشأها المجتمع للعناية بالتنشئة الاجتماعية لأبنائه، وتربيتهم، وتهيئتهم، وإعدادهم للحياة، وهي مؤسسة منظمة لها قواعد ومنطلقات تربوية وتكمل تربية النشء إلى جانب التربية في المنزل، وهذه المدارس تختلف في قوتها وضعفها باختلاف أنظمتها والطاقت التربوي الذي يتولى إدارة دفة العمل، وتؤثر في المدرسة البيئة المحيطة بها. من الطلاب الذين يشكلون تلك البيئة.

والواجب على المربي داخل الأسرة أن يختار لأبنائه المدرسة الطيبة ذات السمعة الطيبة الحسنة والتي تُعنى بالتربية الرشيدة، وتعنى باختيار المعلم القوي الأمين الصالح في نفسه المصلح لغيره، وتختار الثقات من المرين والإداريين ومن يقومون على أداء هذه الرسالة السامية، فإن انتقاء المدرسة والمدرس والمتابعة للولد في المدارس هي أمور في غاية الأهمية لما يترتب عليها من مصالح عظيمة ومنافع جلييلة تعود على الأبناء وعلى أسرهم ومجتمعاتهم وأمتهم نفعها وثمارها. والمسلمون الأوائل كانوا يوصون مؤدبي أبنائهم بالعناية بهم، ويذلون في ذلك كل غالٍ ونفيس لأجل تأديب أبنائهم، وكانت سنة المؤدبين في المجتمع الإسلامي الماضي سنة قائمة، وخصوصاً عند ذوي اليسار، يتخذون المؤدبين لأبنائهم.

ولعل من أبرز وأهم وظائف المدرسة ما يلي:

* أنها تعمل على تبسيط ونقل التراث المعرفي والثقافي ونحو ذلك من جيل الكبار إلى جيل الصغار، أو من المعلمين إلى الطلاب تبعاً لما يتناسب واستعداداتهم وقدراتهم المختلفة؛ فينتج عن ذلك جيل متعلم ومُثقف.

* أنها تعمل على استكمال ما كان قد بدئ فيه من تربية منزلية للفرد، ثم تتولى تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتعديل السلوك الخاطيء، إضافة إلى قيامها بمهمة التنسيق والتنظيم بين مختلف المؤسسات الاجتماعية ذات الأثر التربوي في حياة الفرد فلا يحدث نوع من التضارب أو التصادم أو العشوائية.

* أنها تقوم بدور كبير في عصرنا الحاضر حينما تكون في معظم الأحيان بديلاً للأسرة، إذ يتشرب الصغار فيها عادات مجتمعهم الذي يعيشون فيه وقيمه وأخلاقه وسلوكياته.

* أنها بمثابة مركز الإشعاع المعرفي في البيئة التي توجد فيها؛ إذ إنها تقدم للمجتمع كله خدمات كثيرة ومنافع عديدة من خلال نشر الوعي الصحيح بمختلف القضايا، وكيفية التعامل السليم مع من حول الإنسان وما حوله.

* أنها تعمل على إشاعة الوعي الإيجابي عند أبناء المجتمع تجاه مختلف القضايا الفردية أو الجماعية سواء كان ذلك بطريقٍ مباشرٍ أم غير مباشرٍ.

وتعتبر المدرسة أداة مكتملة للأسرة، لذلك لا بد من إقامة تعاون بين الأسرة والمدرسة، ومعرفة ما يمكن معرفته من الظروف التي يربى فيها الناشئة في منازلهم، وأساليب تربيتهم لتصحيح الخاطيء منها، وإكمال الصالح، والتعاون مع أولياء الأمور على إصلاح الناشئة وحسن تربيتهم ليكمل كل من المنزل والمدرسة ما

بدأ به الآخر، ومن أجل أن لا يحدث تعارض وتناقض بين أسلوب الأسرة التربوي، وأسلوب المدرسة، فيصبح الأطفال والناشئة ضحية هذا التعارض.

– فالمطلوب من المدرسة إذن: أن تكون أداة تأهيل وتكييف اجتماعي، لا أداة اضطراب وإخلال بالتوازن بين الفرد والجماعة، على أن تصاغ جميع العلوم على أسس إسلامية، ويصاغ منهج تربوي إسلامي متكامل لتربية الأجيال على أساسه.

وكذلك إعادة تصنيف وتأليف مناهج وكتب لسائر المعارف والعلوم من منطلق إسلامي، والقيام بدورات تربوية إسلامية تدرّب المعلمين والمربين على تحقيق هذا المنطلق من جميع جوانب التربية والتعليم.

والمدرسة عندما تقدم العقيدة الصحيحة والعلم النافع إلى الناشئين، تَعْمِد إلى تصفية الحقائق، وتنقيتها من كل الشوائب والأخطاء، والمبالغات والأكاذيب؛ لتبقى عقيدة الناشئة سليمةً، وعقولهم قويمة، ومعارفهم صحيحة^(١).

ولكي تصبح عملية التربية والتعليم في المدرسة عملية متكاملة مستمرة، تنصهر في برامج روافد التربية (الأسرة والمسجد والإعلام)، فتؤدي دورها التربوي والتعليمي بحيث تصبح وحدة مترابطة مع تلك الروافد مجتمعة، فلا بد أن نعي أن المدرسة مجتمع مصغر يجب أن تتوفر فيه جميع عناصر الاتصال البشري والعلاقات الإنسانية، وهي صورة مصغرة للحياة الاجتماعية الراقية.

ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار الحقائق التالية:

١- أنه ينبغي أن تكون المدرسة بحق مجتمعاً إسلامياً مشبعاً بالعواطف

(١) أبو عراد - مرجع سابق - بتصرف (د-ص).

والتراحم والتعاون على البر والتقوى والتلاحم والتفاهم بين الرئيس والمرؤوسين، في ظل العلاقات الأخوية والاحترام المتبادل والتواصي بالحق والصبر، لأن المردود الإيجابي لهذا العمل مردوده يعود على الجميع ولا سيما الطلاب الذين هم أهم محور من محاور العملية التربوية والتعليمية.

٢- وأن يجد الطالب في المدرسة المثل الأخلاقية الراقية، والمثل الإيمانية العليا، في كل ما يقع عليه سمعه وبصره وفي كل من يتلقى منهم ويتعامل معهم.

٣- وأن تكون المدرسة مجتمعاً إسلامياً قوياً متماسكاً متحد الهدف والفكر، أساسه الحق والعدل والتراحم.

٤- وأن تضع المدرسة أهدافها بغية السعي في الوصول إليها، لإعداد جيل مسلم صالح في نفسه مصلح لغيره وقوي وفعال.

٥- وأن تربي المدرسة الناشئة تربية إسلامية صحيحة، وعقلية ناضجة، وتنمية بدنية قوية، واجتماعية منسجمة مع روح المجتمع المسلم ومتطلباته وتطلعاته.

٦- وأن تربي المدرسة تلاميذها تربية إسلامية استقلالية فيها روح الاعتماد على النفس، حتى لا يصبحوا عالة على مجتمعاتهم في كل ما يعوزهم من حاجات، ويعملوا لخير إخوانهم كما يعملون لخير أنفسهم، ويقبلوا من تلقاء أنفسهم على البذل والعطاء حتى تتأصل فيهم روح التكافل والعمل الاجتماعي بروح الجسد الواحد، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).

(١) البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، والترمذي (٢٥١٥)، والطبراني في الأوسط (١٦٧/٨)،

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٧- وأن تحدد المدرسة أهداف التربية والتعليم للمعلم قبل المتعلم، وتعليم الطلاب الحياة الاجتماعية السليمة، بحيث يخرجون إلى المجتمع وهم مزودون ومدعمون بكافة المؤهلات التي تجعل الطالب فردًا مسلمًا صالحًا قادرًا على مواجهة الصعاب بثقة كبيرة، وتصيح شخصيته شخصية مسلمة متكاملة الأركان، تامة البنیان، قوية الإيمان، متزنة الوجدان، بعيدة كل البعد عن الجنوح والخور والضعف، مصونة عن الانحراف بكل صورته وأشكاله وأنماطه.

التعاون بين الأسرة والمدرسة :

وهناك العديد من المسوغات (الحوافز) لضرورة التعاون بين الأسرة والمدرسة في مجال تربية الناشئة نذكر منها ما يلي :

أولاً- أن التعاون بينهما يحقق الفهم المتبادل لدور كل منهما في مجال تربية الناشئة، مما يؤدي إلى زيادة التنسيق وعدم التعارض بينهما، إذ كثيرًا ما يؤدي التعارض والتناقض في أدوارهما إلى تكوين صراع نفسي لدى التلميذ.

ثانيًا- أن التعاون بينهما يؤدي إلى التخلص من غالبية المشكلات التي قد يواجهها الطلاب الناشئة وإلى التكيف مع المجتمع والمدرسة.

ثالثًا- أن التعاون بينهما يؤدي إلى الراحة النفسية للناشئة وزيادة تحصيلهم الدراسي، وإقبالهم على العلم، وإلى زيادة حبهم للمدرسة وانتمائهم إليها.

رابعًا- أن التعاون بينهما يجعل خطة العمل التربوي مشتركة بينهما في ضوء اعتماد أهداف مشتركة توجه العملية التربوية فيهما.

رابعاً: الإعلام

وسائل الإعلام: وهي مؤسسات اجتماعية تربوية إعلامية تكون في العادة مرئية، أو مسموعة، أو مقروءة، وتعد هذه الوسائل على اختلاف أنواعها من أهم الوسائط التربوية وأبرزها في عصرنا الحاضر، وأكثرها تأثيراً على تربية وثقافة ووعي الإنسان؛ حيث تُقدم برامج مختلفة وثقافات متنوعة من خلال وسائلها الجماهيرية المختلفة التي تُخاطب جميع الفئات، ومختلف الأعمار، وتدخل كل بيت، وتصل إلى كل مكان.

وتتميز وسائل الإعلام بقدرتها الفائقة على جذب اهتمام الناس من مختلف الأعمار؛ والثقافات؛ والبيئات، كما تتميز بأن لها تأثيراً قوياً على الرأي العام في مختلف الظروف، وأن تأثيرها يصل إلى قطاعاتٍ عريضةٍ من فئات المجتمع؛ وهذا يعني أنه من المهم جداً استثمارها، والإفادة منها، وتعييدها لله تعالى، والعمل على تسخيرها بشتى الطرق والكيفيات لخدمة أهداف وأغراض التربية الإسلامية؛ عن طريق التنسيق المستمر بين هذه الوسائل وغيرها من المؤسسات التربوية الأخرى في المجتمع، وعن طريق إسناد مهمة الإشراف عليها لمن تتوافر فيه الكفاءة الدينية والخُلقية والعلمية والمهارية^(١).

ولا ريب أن الإعلام يؤدي دوراً كبيراً وبارزاً في تشكيل خلق الإنسان

(١) أبو عرّاد، مرجع سابق.

وتوجيهه عموماً والناشئة خصوصاً، ويختلف تأثيره باختلاف وسائله وطرائقه، ولا سيما في الزمن الحاضر حيث ازداد تأثيره بصورة لم يسبق لها مثيل، وذلك لتعدد وسائله وسبله وطرائقه، وللإعلام دور فعال في تربية الأفراد بوجه عام والصغار بوجه خاص. والعلاقة بين الإعلام والتربية علاقة قوية متبادلة؛ لذا يجب حسن استغلال وسائل الإعلام في غرس العقيدة الصحيحة والسلوك القويم والأخلاق الحميدة في نفوس الناشئة، ويزداد تأثير وسائل الإعلام على النشء بصفة خاصة؛ لأنها حين تركز على أحد الجوانب ينطبع ويترسخ هذا الجانب في عقول الصغار بحيث يصعب انتزاعه من أذهانهم في المستقبل.

وللإعلام بمختلف مؤسساته ومصادره دور في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع كافة من خلال هدفه العام المتلخص في: (توجيه الأفراد عن طريق تزويدهم بالمعلومات والحقائق والأخبار لمساعدتهم في تكوين رأي محدد في واقعة معينة أو مشكلة محددة).

وللإعلام دور كبير في تعزيز مكانة الناشئة في المجتمع.

فعليّ وسائل الإعلام أن تعمل عليّ:

أولاً- غرس القيم والمبادئ والمفاهيم الإسلامية والتربوية في نفوس النشء.

ثانياً- نشر وتعميق الانتماء للدين بين أفراد المجتمع عموماً والناشئة خصوصاً.

ثالثاً- غرس الثقة الكاملة بمقومات الأمة الإسلامية وأنها خير أمة أخرجت للناس والإيمان بوحدها عليّ اختلاف أجناسها وألوانها وتباين ديارها، لترد بذلك الهجمة الشرسة من أعداء الملة عليّ ثوابت الدين ومقوماته العقدية والأخلاقية.

رابعاً- تجسيد قيم الدين ومبادئه وإيضاحها والعمل على تثبيتها والمحافظة عليها.

خامساً- المساهمة في التوعية العامة التي تمهد لتحقيق الأهداف والسياسات العامة في الأمور التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والعمل على إيصالها بصورة تليق بمستوى الناشئة عقلياً وفكرياً.

سادساً- محاولة ملء أوقات الفراغ ببرامج هادفة تعزز الانتماء للدين لدى الناشئة وتخطب اهتماماتهم، وتهتم بإيقاظ هممهم للعمل الصالح.

سابعاً- توثيق العلاقة بين مؤسسات المجتمع فكرياً وثقافياً حتى تصب روافد التربية كلها في مصب واحد، ولا يصبح بينها تنافر وتضاد.

ثامناً- طرح القضايا والمشاكل التي تواجه الناشئة ومناقشتها وتقديم الحلول المناسبة، فهي بمثابة حلقة الوصل المكتملة والمتممة لدور وأهداف روابط التربية مجتمعة.

تاسعاً- التغطية الإعلامية المتوازنة لجميع القضايا والأحداث التي تخص الناشئة والمجتمع وفق أسس إسلامية وتربوية.

عاشراً- إبراز نماذج وقدوات صالحة للناشئة من خلال برامج إعلامية متنوعة تقص عليهم قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وحياة الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وسير علماء وأبطال الإسلام.



خامساً : دور روافد التربية مجتمعة

الترباط والتعاقد بين دور الأسرة في الرعاية والتوجيه والتربية والتنشئة الحسنة للأبناء، ودور المسجد في متابعة وإتمام ما تقوم به الأسرة من دور بناء وفعال تجاه رعاية وتربية الأبناء وإتمام ما تعجز عنه الأسرة، ودور المدرسة في التربية والتعليم على نحو ما تقوم به الأسرة والمسجد له آثار حميدة، وكذلك وسائل الإعلام التي يتابعها الأبناء في المنزل أو في محيط المدرسة يجب تعبيدها لله ووضع برامج هادفة ونافعة ومتابعة بدقة تامة من جميع الجهات المعنية، ولذا يجب مد جسور التعاون بين هذه الروافد مجتمعة، وإيجاد جَوٍّ من الثقة والتفاهم والتعاون وتبادل التناصح ووجهات النظر، وذلك كله في سبيل تحقيق غاية حميدة ألا وهي تعبيد الناشئة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، واستقامتهم على دينه، كما بين الله سبحانه في محكم التنزيل فقال جل في علاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والرقي بالأولاد قدماً نحو مدارج العبودية للخالق العظيم جل في علاه، وبذلك يصبح الأبناء في ظل إطار منظومة تربية متكاملة قادرين على البناء والعطاء لأمتهم الإسلامية ولمجتمعاتهم ولأسرهم. وتحمل مؤسسات المجتمع على كاهلها مسؤولية بناء الناشئة وتشكيلهم لأنَّ

التربية بمفهومها الشامل هي العملية التي يشترك في إحداثها وتفاعلاتها مؤسسات المجتمع ومنظماته المختلفة، والتي من بينها وأهمها (الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام).

قال تعالى: ﴿فَوَرِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر:

٩٢، ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّي أَنَسْأَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصفات: ٢٤].

فكل عمل أنت مكلف به شرعاً أو التزمت بالقيام به وكان فيه مصلحة لك أو لغيرك فهو مسؤولية ينبغي عليك القيام بها على أحسن حال؛ فالمسؤولية فردية؛ لأن التكليف فردي والحساب كذلك يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

وأخيراً ليتم التوثيق والارتباط بين روافد التربية يجب مراعاة ما يلي:

أولاً- وجوب اهتمام الأسرة بأبنائها ورعايتهم من جميع النواحي لأن البيت هو الأساس في عملية التربية، وأنه هو المصدر الأساسي لإمداد الطفل بالقيم وتزويده بالصفات الحميدة والأخلاق الصالحة الرشيدة، فعلى الوالدين الاهتمام بأبنائهم ومتابعتهم في البيت والمدرسة وربطهم بالمسجد منذ نعومة أظفارهم وتشجيعهم على أداء الصلاة فيه جماعة، وكذلك تحفيزهم على حفظ كتاب الله تعالى، وارتباطهم بالأنشطة المقامة فيه، كما أن المدرسة ذات دور مؤثر وفعال في التربية، حيث إن الناشئة يعايشون معلمهم وأقرانهم فترة طويلة، فيجب على الأسرة اختيار المدارس الطيبة والمحاضن الصالحة الآمنة لأبنائهم

مع متابعتهم بصفة مستديمة، وعلى القائمين على التعليم إصلاح المناهج الدراسية ومراجعتها بين الفينة والفينة، وإصلاح الأنشطة المدرسية وتوجيهها بالقدر الذي يحقق الهدف من التربية الإسلامية، وكذلك الاهتمام بتوجيه الوسائل الإعلامية المقدمة لهم وصبغها بالصبغة الشرعية لتصبح روافد التربية منظومة متكاملة تأخذ جميعها بيد الناشئة نحو الهدف المنشود، ألا وهو تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة التي تعود على المجتمع بالخير والصلاح.

ثانيًا - أن تكون المدرسة مؤسسة رائدة في تعميم التربية والمعرفة، وتؤدي رسالتها السامية في إيجاد المسلم الصالح، وذلك بأن يكون هناك تفاعل إيجابي بين المدرسة والمجتمع، وأن تستقي المدرسة مناهجها ومقرراتها ونشاطها من صميم عقيدة الأمة وتاريخها وأهدافها وآمالها وآمالها...

ثالثًا - من واجب المسلمين أن يعيدوا إحياء رسالة المسجد ومهاتبه ورسالته كي يبقى مصدر نور وإرشاد وإشعاع علمي وتربوي وثقافي واجتماعي، لأن المسجد مؤسسة ذات شأن عظيم، وله دور كبير وهام وفعال في إصلاح الناشئة وتوجيههم.

رابعًا - ترشيد أجهزة الإعلام ووسائله، لتكون سبيلًا إلى غرس القيم الإسلامية السامية والفاضلة، ووضع برامج للتوعية الاجتماعية والنفسية والتعليمية والأخلاقية، في ضوء خطط علمية وتربوية وثقافية واجتماعية مدروسة من قبل لجان مختصة وموثوقة ومؤتمنة على هذا الأمر الجليل، وذلك وفق منهج الشريعة الإسلامية السمحة.

وكذلك الحذر والتحذير من الاستسلام لكل ما يقدمه الإعلام الغربي الكافر

الحاقد للناشئة من نشر العقائد الباطلة والسحر والشعوذة ونشر الرذيلة والفواحش والفساد والانحراف والجريمة بكل صورها وأشكالها في صور برامج تعليمية أو ترفيهية أو ألعاب أطفال أو برامج ثقافية أو غير ذلك من المسميات.

خامساً - بناء الناشئة في المجتمع الإسلامي بناءً صالحاً من النواحي العلمية والاجتماعية والخلقية والروحية، والإكثار من الحديث عن ذلك في وسائل الإعلام المختلفة: ليصبح للإعلام دور قويٌّ وفَعَّالٌ في نشر الوعي بين طبقات المجتمع كافة على جميع مستويات ثقافتهم وإدراكهم، مساهماً بذلك في حل قضايا المجتمع بتقديم النصح والإرشادات والتوجيهات لكل طبقات المجتمع بما فيهم الناشئة.

وعلى الرغم من تعدد أنواع هذه المؤسسات الاجتماعية وتعدد وظائفها وواجباتها إلا أن علاقة الناشئ المسلم بالمؤسسات التربوية في المجتمع تنطلق من كون التربية الإسلامية عمليةً متمازةً بخاصية الشمول والاستمرارية والتجدد؛ إذ إنه لا حدَّ نهائياً لتربية الناشئ المسلم.

والخلاصة: أن للمؤسسات التربوية المختلفة في المجتمع المسلم أهميةً بالغةً؛ وأثراً بارزاً في العملية التربوية بعامة والتعليمية بخاصة؛ الأمر الذي يفرض على المهتمين في الميدان التربوي والتعليمي مزيداً من العناية والاهتمام بها، والحرص على أن تكون مُتميزة في المجتمع المسلم، ومُختلفة عن مثيلاتها في المجتمعات الكافرة؛ نظراً لكون المجتمع المسلم ينفرد عن غيره من المجتمعات الكافرة بمصادره، وأهدافه وغاياته، وخصائصه التي تفرض على

مؤسساته التربوية المختلفة في المجتمع المسلم أن تكون فريدةً هي الأخرى، ومُتميزةً، وقادرةً على تحقيق ما هو مرجوٌّ منها؛ لأنها هي المسؤولة عن تربية الناشئ المسلم، وإعداده لممارسة أدواره ووظائفه الاجتماعية المختلفة في الحياة، لذا فإنه من الواجب الحتمي التنسيق والترابط والتكامل بين هذه المؤسسات لتؤدي دورها التربوي الرائد في إعداد جيل مؤهل للاستخلاف في الأرض وحمل مشعل النور والهداية للعالمين.

والحمد لله رب العالمين ^(١).



المطلب الرابع

أهمية تربية الأبناء

أهمية التربية عموماً:

إن التربية من أفضل الأعمال وأقرب القربات، فهي دعوةٌ، وتعليمٌ، ونصحٌ، وإرشادٌ، وعملٌ، وقدوةٌ، ونفعٌ للفرد والمجتمع والأمة بأسرها، وكيف لا تكون من أعظم الأعمال وأجلّها وهي مهمة الأنبياء والرسل، وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ نَبِيًّا رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢] (١).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فأمرنا ربنا ﷻ أن نقي أهلنا -أزواجاً وذرية- من نار الآخرة وأن نجعل بينهم وبينها حاجزاً واقياً، وإنما تكون هذه الوقاية بالتربية على العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة.

قال مجاهد في تفسير الآية: «اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله».

وقال قتادة: «تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر

(١) مقال بعنوان تربية الأولاد كما وردت في القرآن. فضل الرحمن: جلال الدين- موقع

الألوكة- بتاريخ ١/٦/١٤٣٣هـ بتصرف.

الله وتأمروهم به وتساعدوهم عليه فإذا رأيت الله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها»^(١).

وقال ابن القيم **رحمته**: «فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بأبائهم... فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم يتفعلوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت، إنك عقتني صغيراً فعقتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً»^(٢).

وإن المربي مستأمن على عقيدة ولده وعلى أخلاقه قبل أي شيء آخر، وقد نهانا الله تعالى عن تضييع الأمانة، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وتبرز أهمية تربية الأبناء خصوصاً من جانبين عظيمين:

الجانب الأول: تحقيق العبودية الصحيحة لله تعالى، وهي الغاية من وجود الخلق.

وإن للتربية الإسلامية أهدافاً تسعى إلى تحقيقها، ولا شك أن الهدف الأسمى من تلك الأهداف هو تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، ولا بد أن يكون جانب تحقيق العبودية مقروناً بالتنشئة العقديّة الصحيحة لأبناء المجتمع المسلم؛ وذلك لإعداد جيل مسلم صالح يعبد الله **تعالى** على نور وبصيرة، ليصبح جيلاً مسلماً صالحاً راشداً مهياً للاستخلاف في الأرض، وذلك هو غاية التربية

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٢).

(٢) تحفة المودود، لابن القيم - المرجع السابق (٢٢٩).

الإسلامية، تلك الغاية التي من أجلها خُلِقَ الإنسان، فليس لله غرض من الخلق إلا تحقيق العبودية له وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وترسيخ العقيدة وتحقيق العبودية في كل أمر من أمور الحياة، يُعدُّ أهم أهداف التربية الإسلامية كما أسلفنا، وإذا تحققت العبودية تحققت أهداف التربية جميعاً تبعاً لها، ذلك لأن كل الأهداف تنبثق منها، إذ إن مفهوم العبادة في التربية الإسلامية شامل كامل، يشمل العبادات الظاهرة والباطنة، والمعاملات كلها، معاملة المخلوق لخالقه، وحسن معاملة الخلق للخلق، وقد جبل الله ﷻ النفوس على التوحيد الخالص من شوائب الشرك، ولكنها تحتاج أن تتعلم أصول الإيمان وجزئياته، ولا شك أن أصلح أوقات غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأبناء هي السنوات الأولى من حياتهم؛ لأنهم يصغون إلى الآباء والمربين بكل جوارحهم وحواسهم، ويقبلون ما يتلقونه منهم دون أدنى تردد أو جدال، ولا شك أن عامل الفطرة معين للمربي على تقوية وتنمية هذا الجانب الفطري، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وترسيخ العقيدة يكون عن طريق التدبر: بأن يلفت نظر الصغير إلى مظاهر الكون وارتباطها بالتوحيد، وهذا الربط يشعره بالتوازن النفسي، ويحس بأنه جزء من أجزاء الكون المتناسقة، ويبين له أن هذا الكون بكل ما فيه يسبِّح لله، ويرشده إلى التسبيح ليكون مع الركب المسبِّح، كما أن المربي يستطيع تعليم الصغير أسماء الله ﷻ وصفاته عن طريق التدبر في جمال الكون وعظمة المخلوقات ونظامها.

وينبغي أن يقدم المربي للصغير محفوظات في العقيدة في أول نشوئه ليحفظها حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له معناها في كبره شيئاً فشيئاً، فابتدأه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان قال ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١).

قال الغزالي: «الصَّبِيُّ أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرَةٌ نفيسةٌ خاليةٌ عن كل نقشٍ وصورة، وهو قابلٌ لكل نقش، ومائلٌ إلى كل ما يُمالُ إليه، فإن عُوِدَ الخيرَ نشأ عليه، وسَعِدَ في الدنيا والآخرة أبواه، وإن عُوِدَ الشرَّ وأُهْمِلَ إهمال البهائم، شَقِيَ وهَلَكَ، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً، وإنما يكمل ويقوى بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم»^(٢).

والعبودية لله -تعالى- لا تقتصر على مجرد أداء شعائر ومناسك معينة: كالصلاة، والصيام، والحج -مثلاً- وإنما كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته بقوله: هي «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٢٧٠)، ومسلم (٤٨٠٣).

(٢) معالم التنزيل: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ). تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة (١٤١٧هـ).

(٣) العبودية. أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي -بيروت- ط ٧ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م). (ص ٤٤).

فالإنسان الذي يريد أن يتحقق فيه معنى العبودية، هو الذي يُخضع أموره كلها لما يحبه الله -تعالى- ويرضاه، سواء في ذلك ما يتمي إلى مجال الاعتقادات، أو الأقوال، أو الأفعال؛ فهو كيف حياته وسلوكه جميعاً لهداية الله وشرعه؛ فلا يفتقده الله حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه، وإنما يلتزم أوامر الله فيأتي منها ما استطاع، وينزجر عن نواهيه سبحانه فلا يقربها؛ استجابة لأمره ﷺ: «إِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(١).

فالمسلم دائماً إذا أمره الله -تعالى- أو نهاه، أو أحل له، أو حرم عليه - كان موقفه في ذلك كله: أن يقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عَفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ أَلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فهذا الذي ينبغي أن يَعْلَمَهُ الآباء والمربون أولاً، ثم يسعوا لغرسه في نفوس أبنائهم ثانياً، فيعلمونهم العقيدة الصحيحة ويغرسون في قلوبهم التعلق بالله تعالى والتوكل عليه والالتجاء إليه، والاستسلام والانقياد والإذعان لأمره جل في علاه، وعبادته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** خوفاً وطمعاً ورغباً ورهباً ورجاءً ومحبةً، وذلك لأن توحيد الله تعالى سبيل الفوز برضوانه وجناته، والنجاة من سخطه ونيرانه، وتوحيد العبادة والقصد والطلب هو توحيد الألوهية أصل الدين ومرتكزه الأول الذي عليه وبه تقوم مبانيه العظام من عبادات ومعاملات وأخلاق.

وإن الولد جوهره نفيسة عند والديه، فهو نواة الأسرة والمجتمع، وأمل الغد والمستقبل، وموئل الإسلام بعد الله تعالى، فترتيبه على عقيدة التوحيد أساس تربوي وطيد؛ بل لا تصح التربية ولا تستقيم بغير عقيدة التوحيد الذي هو

(١) رواه البخاري (٧٢٨٨) من حديث أبي هريرة **رحمته**.

أساس الإسلام وأصله الأصيل (١).

قال ابن القيم **رحمته**: «وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، وهو بذلك يزعم أنه يكرمه وقد أهانه، ويرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده وفوت على ولده حظه في الدنيا والآخرة»، ثم قال **رحمته**: «وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء» (٢).

ويكفي عظمًا لشأن التوحيد قول النبي **ﷺ**: «لا يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله؛ إلا حرم الله عليه النار» (٣).

ومن لوازم تحقيق التوحيد التحذير من الشرك؛ فهذا أول ما بدأ به لقمان في وصيته لابنه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَئْ لَكَ شِرْكَ بِاللَّهِ إِنَّ شِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، فينبغي للأب أن يربي أولاده على التوحيد والتحذير من الشرك.

قال ابن عاشور (٤) في تفسير هذه الآية:

- (١) نواب الدين - مرجع سابق - بتصرف (ص ٤).
- (٢) تحفة المودود بأحكام المولود (١/ ٢٤٢).
- (٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٤٢٢)، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٣) من حديث عتبان بن مالك الأنصاري **رحمته**.
- (٤) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد في مدينة تونس سنة (١٢٩٦هـ)، الموافق (١٨٧٩ م)، وهو من أسرة علمية عريقة، أحد أهم العلماء الذين عرفتهم تونس في القرن العشرين. وفاته: وقد توفي الطاهر بن عاشور في (١٣ رجب ١٣٩٣ هـ = ١٢ أغسطس ١٩٧٣ م).

«ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل. وكان أصل فساد الاعتقاد أحد أمرين هما الدهرية والإشراك، فكان قوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣] يفيد إثبات وجود إله وإبطال أن يكون له شريك في إلهيته»^(١).

الجانب الثاني: أهمية تربية الأبناء في ضوء حفظ الأمن العام في المجتمع:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية من لدن عزيز حكيم، جاءت لإسعاد البشرية

= أما عقيدته، فالطاهر ابن عاشور كان في مسائل الاعتقاد وعلم الكلام: على مذهب الأشاعرة من حيث الأصل، ويظهر اعتقاد العلامة ابن عاشور واضحاً في موقفه من نصوص الصفات، فهو إما أن يؤولها، وإما أن يفوضها، وهذان طريقتان معروفان للأشاعرة، وكلاهما مخالف لمذهب السلف في باب الصفات: حيث يشبونها على ما يعرف من معناها في لغة العرب، من غير تأويل لها، أو تشبيه لصفات الله تعالى بصفات خلقه، أو تمثيل لها، جل الله تعالى عن كل عيب ونقصان، وينظر في ذلك تفسيره للإتيان (٢/ ٢٨٤) والاستواء (١٦/ ١٨٧)، واليدين (٢٣/ ٣٠٢).

وللاستزادة والوقوف على تفاصيل حياته والتعرف على منهجه ومؤلفاته، ينظر:
* كتاب: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور. تأليف: بلقاسم الغالي.
* كتاب: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه. تأليف: خالد الطباع.

* مقدمة كتاب: مقاصد الشريعة لابن عاشور. تحقيق: محمد الطاهر الميساوي.

* كتاب: التقريب لتفسير التحرير والتنوير. تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

* كتاب: تراجم لتسعة من الأعلام. تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

(١) التحرير والتنوير (٢١/ ١٠١)، وينظر: تربية الأولاد كما يراها القرآن. فضل الرحمن جلال الدين، الألوكة (٢/ ٦/ ١٤٣٣هـ - ٢٢/ ٤/ ٢٠١٢م).

في الدنيا والآخرة تدلهم على طريق الخير والهدى وتحذرهم من طريق الغواية والضلال وخطوات الشياطين وتأمّرهم بالمعروف وتنهّاهم عن المنكر وتحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبائث، ومن مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الضرورات الخمس أو الكليات الخمس للإنسان وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال فمن اعتدى على إحدى هذه الخمس أقيمت عليه الحدود والعقوبات التي تردعه وتزجر غيره من أن يعتدي على حرّامات الله ﷻ وحقوق البشر، ولذا فإن الشريعة الإسلامية جاءت بما يحفظ الأمن ويحقق السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة.

والأمن يشمل كل نشاطات الإنسان في حياته، كما يعتبر الأمن في الإسلام ركيزة من ركائز المجتمع المسلم المهمة التي يستمد منها المجتمع استقراره وتقدمه وهو المحور الأساسي في التنمية الشاملة والاستقرار وهو المناخ المناسب للنمو والتقدم.

والأمن نعمة عظيمة من نعم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** التي لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُفُّ مِنْ نِعْمَةِ فَمَنْ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ولقد امتن الله بهذه النعمة على عباده حيث قال سبحانه: ﴿لَا يَلْفُ فَرِيشٍ ۝١ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ١-٤].

وقد بيّن المصطفى ﷺ أهمية الأمن بقوله: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(١).

(١) الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (٨٣٣) حسن لغيره.

ويبين الباحث أهمية حفظ الضروريات الخمس في الشريعة الإسلامية:
وذلك في ضوء التعريف بأمرين عظيمين:

الأمر الأول: المقاصد الشرعية:

التعريف بالمقاصد الشرعية.

• تعريف المقاصد في اللغة:

المقاصد في اللغة: جمع مقصد، وهو مشتق من الفعل (قصد يقصد قصدًا).

وللقصد في اللغة عدة معانٍ، أهمها ما يأتي:

١ - استقامة الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]، أي: تبيين الطريق الصحيح؛ يقول ابن جرير الطبري: «القصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه»^(١).

٢ - الأُمُّ والتوجه، تقول العرب: قصد إلى فلان أي: أمَّه وتوجه إليه^(٢). وهذا المعنى أقرب إلى المعنى الاصطلاحي للمقاصد، وهو المتداول في استعمال الفقهاء وعلماء أصول الفقه كقولهم: «المقاصد معتبرة في التصرفات»، وقولهم: «المقاصد تغير أحكام التصرفات»، ويعنون به: الإرادة الباطنة للمكلف^(٣).

• تعريف المقاصد الشرعية اصطلاحاً.

رغم ورود مصطلح (المقاصد) في كلام أهل العلم المتقدمين إلا أنه لم

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/ ٢٥).

(٢) يُنظر: لسان العرب (٣/ ٩٦)، ومختار الصحاح (٢/ ٥٢٤)، والمصباح المنير

(ص ٢٦٠)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٣٨) مادة: (قصد).

(٣) يُنظر: المدخل إلى علم مقاصد الشريعة (ص ١٤).

يوجد من صرح بتعريفه كمصطلح، ولعل ذلك بسبب وضوحه^(١).

فقد استعمله العلماء بالمعنى اللغوي أو قريباً منه، وهو الغاية التي يُسار إليها كما في قاعدة: «الأمر بمقاصدها»^(٢).

وممن كان له اهتمام بالمقاصد الغزالي الذي يستعمل مصطلح المقاصد بهذا المعنى فيقول: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة»^(٣).

وبمعنى آخر مماثل: هي المعاني والحكم التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد^(٤).

وهذا التعريف يشمل المقاصد العامة للتشريع والتي يجمعها حفظ مصالح العباد في الدنيا والآخرة، كما يشمل المقاصد الخاصة وهي الحكم والغايات المترتبة على كل حكم من أحكام الشريعة بذاته، وهذه المقاصد الخاصة راجعة

(١) يُنظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص ٥).

(٢) يُنظر: أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية (ص ٢٨)، وقواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص ٥).

(٣) المستصفى (١/٤١١)، وينظر: جهود هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ الضرورات الخمس، عبد العزيز بن عبد الله، النملة، الطبعة: الأولى (١٤٣٢هـ)، سلسلة إصدارات مركز المحتسب (ص ٧)، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ندوة الحسبة وعناية المملكة بها، المنعقدة خلال الفترة من (١١ - ١٢ / ٤ / ١٤٣١هـ) (ص ٧).

(٤) كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية (ص ٣٨).

إلى المقاصد العامة ومنتهاية إليها؛ لذلك سيكون حديثنا مقصوراً على هذه المقاصد العامة.

الأمر الثاني: التعريف بالضرورات الخمس:

أقسام المقاصد الشرعية.

تنقسم المقاصد الشرعية من حيث ضرورتها وشدة الحاجة إليها إلى ثلاثة أقسام:

– يقول الشاطبي^(١) رحمته الله: تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في

الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون ضرورية.

والثاني: أن تكون حاجة.

والثالث: أن تكون تحسينية^(٢).

(١) الشاطبي (٧٩٠ هـ)، هو إبراهيم بن موسى بن محمد، أبو إسحاق، اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية، كان إماماً محققاً أصولياً مفسراً فقيهاً محدثاً نظراً ثبتاً بارعاً في العلوم، أخذ عن أئمة؛ منهم: ابن الفخار، وأبو عبد البلنسي، وأبو القاسم الشريف السبتي، وأخذ عنه أبو بكر بن عاصم وآخرون، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة واجتناب البدع، وبالجملة فقدرة في العلوم فوق ما يذكر وتحليلته في التحقيق فوق ما يشهر. من تصانيفه: الموافقات في أصول الفقه. أربع مجلدات؛ و الاعتصام؛ و المجالس. شرح به كتاب البيوع في صحيح البخاري. وينظر: نيل الابتهاج بهامش الديباج (ص ٤٦)؛ وشجرة النور الزكية (ص ٢٣١)؛ والأعلام للزركلي (١/٧١).

(٢) ينظر: الموافقات (٨/٢).

القسم الأول: المقاصد الضرورية.

وهي المقاصد التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛ وسميت بذلك لأن الخلق مضطرون إليها اضطراراً شديداً، ولا غنى لهم عنها، وتُعرف هذه المقاصد بالضرورات الخمس^(١).

القسم الثاني: المقاصد الحاجية.

وهي التي يفتقر الناس إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة، وقد عرفها الأمدي بقوله: «هي تكون من قبيل ما تدعو حاجة الناس إليها»^(٢).

ومن ذلك أجاز الشارع الإجارة لسد الحاجة اللازمة للسكن، والانتفاع بملك الآخرين^(٣).

القسم الثالث: المقاصد التحسينية.

وهي المقاصد التي تكون على سبيل التكميل والتجميل، وسميت بذلك لأنها تحسن حال الإنسان، وهي مكملة للمقاصد الضرورية والحاجية، ومن ذلك شرع أخذ الزينة عند المساجد، والترغيب بالتحلي بالآداب الإسلامية، وتجنب التبذير والإسراف^(٤).

(١) يُنظر: التقرير والتحجير (٣/١٤٣)، والمقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي (ص ١٦٣)، وأهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية (ص ١٩٧).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (٣/٢٧٣).

(٣) يُنظر: البرهان في أصول الفقه (٢/٩٢٤).

(٤) النملة - مرجع سابق - (ص ١٣).

التعريف بالضرورات الخمس (المقاصد الضرورية).

(وهي المعنية بالبحث).

أولاً: حفظ الضروريات:

فأما الضرورية: فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة؛ بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين.. ومجموع الضروريات خمس وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل»^(١).

حفظ الشرائع للضروريات:

إنَّ حفظ هذه الضروريات الخمس هو مقصد جميع الشرائع الإلهية والمحور الذي تدور أحكامها حوله؛ لأن استقرار حياة النَّاس دينياً ودنيوياً متوقف عليها، ومرهون بحفظها، فإذا ما فُقدت اختلَّت الحياة في الدنيا، وانعدم النظام في المجتمع، ووجب العقاب بحق كلِّ مفرط ومتهاون.

— قال الشاطبي: «قد اتفقت الأمة؛ بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري»^(٢).

— وقال الغزالي: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه

(١) الموافقات (٢/ ١٧-١٨)، وينظر: محاسن الإسلام من خلال حفظه للضروريات الخمس - مقال من موقع المنبر.

(٢) الموافقات (١/ ٨٣)، وينظر: بالتفصيل: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية. للدكتور: محمد سعد اليوبي (ص ١٨٣) وما بعدها.

الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ورفعها مصلحة. وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح»^(١).

ولم يثبت لدى الباحث شيء قاطع معين يحدد ترتيب الضرورات الخمس.

الأدلة على مراعاة الضروريات الخمس:

استقراء أدلة الشرع:

قال الشاطبي: «فقد اتفقت الأمة؛ بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه؛ بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد»^(٢).

ولقد توافرت دلالات الكتاب والسنة على وجوب حفظ هذه الضروريات الخمس، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي ۗ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۗ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ ۗ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۗ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا

(١) المستصفى (٢/٤٨٢). وينظر: محاسن الإسلام من خلال حفظه للضروريات

الخمس. مقال من موقع المنبر.

(٢) الموافقات (١/٣١).

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

ففي هذه الآيات الكريمات السابقات تظهر العناية بحفظ هذه الضرورات ظهوراً جلياً واضحاً.

* فقد جاء حفظ الدين في النهي عن الشرك في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُمُ الْأَشْرَافِ بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

* وجاء حفظ النفس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقِي﴾ [الأنعام: ١٥١].

* وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

* وجاء حفظ النسل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ﴾ [الأنعام: ١٥١].

* وجاء حفظ المال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

* وأما حفظ العقل: فإنه يؤخذ من مجموع التكليف بحفظ الضرورات الأخرى؛ لأن الذي يفسد عقله لا يمكن أن يقوم بحفظ تلك الضرورات كما أمر الله، ولعل في ختام الآية الأولى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] ما يدل على ذلك^(١).

(١) الإسلام وضرورات الحياة (ص ١٦-١٧)، وينظر: محاسن الإسلام من خلال حفظه للضروريات الخمس. مقال من موقع المنبر.

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ

الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
 وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا
 فِي نَفْسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَعَاتِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ
 وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ بَدْرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ
 الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا
 ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنْ
 رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
 إِمَّا يَكُنْ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قُلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ
 فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ
 جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا
 كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ
 السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٣٦].

* وقد جاء ما يدل على حفظ الدين في مطلع هذه الآيات المباركات في قوله

سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

* وجاء حفظ المال في قوله تعالى: ﴿وَعَاتِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ

وَلَا تُبْدِرْ بَدْرًا ﴿٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾

[الإسراء: ٣٥].

* وجاء حفظ النفس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

* وجاء حفظ النسل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ

سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

والزنا من أعظم الفواحش ويكفي وصف الله له بأنه فاحشة.

* وأما حفظ العقل: فقد سبق بيانه إثر الدليل السابق، فهذه الآيات نصوص

محكمة تدل على عناية الشريعة بهذه الضروريات، وأن حفظها هو مقصد الشارع الحكيم من شريعته.

وقد كان رسول الله ﷺ يأخذ البيعة على الرجال والنساء على حفظ هذه

الضروريات، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿بِتَأْيِيدِ النَّبِيِّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ

يُبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفَّنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ

يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المتحنة: ١٢]، فهذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ

كان يأخذ البيعة من النساء على المحافظة على تلك الضروريات، كما أخذها

من الرجال أيضًا، كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله

ﷺ في مجلس فقال: «تُبَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا

تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا

تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا

فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَيَّ

الله، إِنَّ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» قال: فبايعناه على ذلك (١).

والضرورات التي في هذا الحديث هي:

* حفظ الدين في قوله: «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

* وحفظ النفس في قوله: «ولا تقتلوا أولادكم».

* وحفظ النسل في قوله: «ولا تزنوا»، وقوله: «ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين

أيديكم وأرجلكم».

* وحفظ المال في قوله: «ولا تسرقوا».

* وأما حفظ العقل: فقد سبق بيانه.

— وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا:

يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله

إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف

المحصنات المؤمنات الغافلات» (٢).

ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالمحافظة على تلك الضرورات بقوله: «اجتنبوا

السبع الموبقات» ولم يعدها من الموبقات المهلكات إلا لأن غشيانها واقترافها

فيه هتك لحرمت وضرورات ملحة أمر الشرع بحفظها ولا تستقيم حياة الناس

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب الإيمان: باب علامة الإيمان حب الأنصار (١٨)،

٣٨٩٢، ٦٨٠١، ٧٢١٣، ٧٤٦٨، واللفظ له، ومسلم: كتاب الحدود: باب الحدود

كفارات لأهلها (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنِ

طُلُمًا﴾. [النساء: ١٠] (٢٦١٥)، ومسلم في الإيمان (٨٩).

إلا بها، وصانها بسياج منيع من الحدود والعقوبات الرادعة لمن اقترفها وانتهك حرمتها، والزاجرة لغيره عن غشيانها، حفظاً وصيانة لها.

وقد حفظت الشريعة هذه الضروريات من جانب الوجود، وذلك بشرع التكاليف التي تقيم أركانها وتثبت قواعدها، كما حفظتها من جانب العدم؛ وذلك بشرع ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها^(١).

وفيما يلي تفصيل ذلك:

(١) حفظ الدين:

الشريعة هي الدين، وقد اعتنت تكاليفها بحفظه من جانب الوجود ومن جانب العدم؛ فمن جانب الوجود أوجب الله على كل مسلم العمل بأركان هذا الدين واتباع الرسول ﷺ، وذلك كي يبقى الدين حياً في النفوس؛ لأن دينا لا شرائع فيه تضمحل حياته في النفوس مع تقادم العهد وطول الأمد؛ وقد بين الله تعالى أهمية الشرائع في إحياء الدين في النفوس بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وكذلك جاءت التكاليف بحفظ الدين من جانب العدم؛ كالنهي عن كل ما يخل بجناب التوحيد ويوقع في الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية [الأنعام: ١٥١].

وشَرَع العقوبات الزواجر لمن ترك ركنًا من أركان الإسلام؛ والحكم بقتل المرتد.

(١) ينظر: الموافقات (٨/٢).

عن مَسْرُوقٍ، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ» (١).

والأمر بجهاد الكافرين وفق الضوابط التي استنبطها العلماء من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، ومن الشرائع ما قصد به حفظ الدين من الجانبين؛ بل وحفظ باقي الضروريات؛ كإيجاب اجتماع المسلمين على أمير، كما جاء عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادّة، فقال: إني لم آتِك لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقْيِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (٢).

وأمر المسلمين بطاعة الأُمراء في غير معصية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كما في قول الباري جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب الديات: باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ...﴾ [المائدة: ٤٥] [٦٨٧٨]، ومسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات: باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦)، واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود **رحمته**.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٥١) من حديث عبد الله بن عمر **رحمتهما**.

[النساء: ٥٩]، وذلك لما في إقامة الأمراء وطاعتهم من حفظ الدين بإقامة شعائره وحفظه بتحقيق الأمن الذي لا يستقيم أداء الشعائر إلا به، وغير ذلك مما لا يحصيه إلا الله من المنافع.

(٢) حفظ النفس:

وكذلك النفس يكون حفظها من جانب الوجود ومن جانب العدم.

أما من جانب الوجود:

فمثل ما جاء في الشريعة من الأمر بالمحافظة على النفس بالأكل والشرب

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢]، وعدم الإلقاء بها في التهلكة كما قال تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

وأما من جانب العدم.

فكتحريم الاعتداء عليها، وسد الذرائع المؤدية إلى القتل، وشرع القصاص

لما فيه من الزجر عن انتهاك الأنفس وإشاعة القتل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي

أَلْفِصَاصٍ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي أَلْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩].

ولعل ما جاء من استحباب العفو عن القاتل يسير في سياق حفظ الشريعة

للفوس أيضاً، وذلك لأن النفس وإن كانت جانية إلا أن في استحباب العفو عنها

إشارة إلى أن الأصل في الشريعة حفظ النفوس واستبقاؤها؛ وعدم تشوف

الشارع إلى إزهاقها، وقد بين المولى هذا المعنى بوصفه تخفيفاً ورحمةً، قال

تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ أَلْفِصَاصٌ فِي أَلْقَتَلَى الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى

بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءً بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءً إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿البقرة: ١٧٨﴾.

ومما ورد في حفظ النفس قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿
[الإسراء: ٣٣].

ووجه الاستدلال من ناحيتين:

الأولى: صريح النص في النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

الثانية: ما يفهم من شرع قتل النفس التي حرم الله بالحق، فإن في قتل النفس بالحق حفظاً للنفس في باب القصاص، وحفظاً للدين في باب الردة، وحفظاً للنسل في باب الرجم، وهذا هو المقصود من حفظ النفس، ويشمل حفظ جميع الأنفس المعصومة بالإسلام أو الذمة أو الأمان^(١).

ومن النصوص الواردة في تحريم الاعتداء على النفس: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ
وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾ [النساء: ٩٣].

* وعن مسروق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُّسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِذِيهِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٢).

(١) روضة الطالبين (٩/١٤٨).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب الديات: باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ

وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ... ﴿المائدة: ٤٥﴾ [٦٨٧٨]، =

* وقوله ﷺ في أكبر اجتماع للناس يوم عرفة في حجة الوداع: «فإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فَلْيَلِغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ. لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (١).

* وقوله ﷺ: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بغيرِ حَقٍّ» (٢).

* وقوله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا» (٣).

* وقوله ﷺ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَلَبٌ دَمِ امْرِيٍّ بغيرِ حَقٍّ لِيَهْرِيَقَ دَمَهُ» (٤).

=ومسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات: باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦)، واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب الفتن: باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» (٧٠٧٨) واللفظ له، ومسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات: باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الديات: باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا (٢٦١٩)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال ابن الملقن في البدر المنير (٨/٣٤٧): «صحيح»، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: «إسناده صحيح ورجاله موثقون»، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب. صحيح لغيره (٢٤٣٨)، وصحيح الجامع، (٥٠٧٨)، وصحيح ابن ماجه (٢١٣٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾. [النساء: ٩٣] (٦٨٦٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق (٦٨٨٢)، من

حديث ابن عباس رضي الله عنهما

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»^(١).

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٢).

* وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنْ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْعَى نَفْسَهُ فِيهَا؛ سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ بِغَيْرِ حِلِّهِ»^(٣).

ومن ذلك تحريم قتل المعاهدين:

فقد بلغ من محافظة الشريعة الإسلامية على النفوس والوفاء بالعهود أن حرمت قتل المعاهد، وهو الذي له عهد مع المسلمين بعقد جزية، أو هدنة من سلطان، أو أمان من مسلم، إلا أن ينقض العهد فيكون حلال الدم، فيحل للسلطان قتله، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوَجِّدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(٤).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾.

[المائدة: ٣٢] [٦٨٧٤، ٧٠٧٠، ٧٠٧١]، ومسلم: كتاب الإيمان، باب: قول النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«من حمل علينا السلاح فليس منا» (٩٨)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله

وهو لا يشعر (٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (٦٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا

فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ﴾. [النساء: ٩٣] [٦٨٦٣] موقوفًا.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم (٣١٦٦) من

حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) حفظ النسل:

ومما ورد في حفظ النسل: قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَالُوا أُنل مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١]، ومن أعظم الفواحش الزنا الذي وصفه الله تعالى بأنه فاحشة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

ولو لم يرد في ذلك إلا هذه الآية لكان كافيًا.

كيف وقد قرنه الله بالشرك وقتل النفس المعصومة في كتابه كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

وأوجب الله فيه الحد: من الجلد إن كان الزاني بكرًا، أو الرجم إن كان الزاني محصنًا، وغاية ذلك الموت، وما فدي بالضروري - وهو النفس - أولى أن يكون ضروريًا، ولهذا حفظ الشارع النسل من جانبيين:

من جانب الوجود:

لقد حفظ الشارع هذه الضرورة من جانب الوجود فأمر بالنكاح وحض عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وقال ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر،

وَأَحْصَنُ لِلْفَرْحِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١).

ومن جانب العدم:

ولقد حفظ الشارع هذه الضرورة من جانب العدم بتحريم كل ما يؤدي إلى ضياع النسل وانتهاك الأعراض، وفرض العقوبات الصارمة عليها، فكانت عقوبة الزنا من أشد العقوبات في الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ

الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

[النور: ١٩].

وقال ﷺ: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهَنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدٌ مِائَةً وَنَفْيٌ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدٌ مِائَةً وَالرَّجْمُ»^(٢).

وكثيراً ما يقرن في القرآن والسنة بين النهي عن قتل النفس والزنا والشرك بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ [الفرقان: ٦٨].

وكما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنوب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ» قلت: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج...» (٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه...

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحدود، باب حد الزنا (١٦٩٠)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

خَشِيَّةٌ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قلت: ثم أي؟ قال: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»^(١).

عن مَسْرُوقٍ، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمٌ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الشَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٢).

قال ابن القيم **رحمته**: «ولمَّا كانت مفسدة الزنا من أعظم المفسدات، وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات، وتوقي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، وبنته، وأخته، وأمّه، وفي ذلك خراب العالم: كانت تلي مفسدة القتل في الكبر، ولهذا قرنها الله سبحانه بها في كتابه، ورسوله ﷺ في سنته، قال الإمام أحمد **رحمته**: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنا. وقد أكد سبحانه حرمة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ^{٦٨} وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا^{٦٩} يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا^{٧٠} إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ^{٧١} وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^{٧٢}﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، فقرن الزنا بالشرك وقتل النفس،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] [٤٤٧٧، ٤٧٦١، ٦٠٠١، ٦٨١١، ٧٥٢٠]، ومسلم: كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (٨٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ...﴾ [المائدة: ٤٥] [٦٨٧٨]، ومسلم: كتاب القسامة والمحاربيين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦)، واللفظ له، من حديث عبد الله بن مسعود **رحمته**.

وجعل جزاء ذلك: الخلود في النار في العذاب المضاعف المهين، ما لم يرفع العبد موجب ذلك بالتوبة، والإيمان، والعمل الصالح، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فأخبر عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول، حتى عند كثير من الحيوانات^(١).

ومن أجل حفظ الأعراض والنسل حرم الإسلام كل الممارسات التي تنحرف بالفطرة السوية؛ لما في هذه الانحرافات من خطر على وجود النوع الإنساني.

(٤) حفظ المال:

ومما ورد في حفظ المال: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يَبْنَیْ عَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الِّسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ومن وسائل حفظ المال: الحث على التكسب؛ وهو حفظ له من جانب الوجود.

(١) الجواب الكافي (ص: ٥٠١).

أما حفظه من جانب العدم فقد جاء فيه تحريم الاعتداء عليه؛ وتحريم إضاعة الأموال؛ وتحريم السرقة والحرابة؛ وتحريم الغصب وأخذ المال بالحيلة، وشرع الإسلام ما يزجر عن هذه الأفعال من حدود وتعزيرات، وأعطت الشريعة الإنسان الحق في الدفاع عن ماله.

ومن براهين اهتمام الشريعة بالأموال وعظيم عنايتها بحفظها ورعايتها ما يلي:

١- تحريم الاعتداء عليها، إذ لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه، وبذلك جاءت النصوص من الكتاب والسنة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨) [البقرة: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا نَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وقال ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ» (١).

٢- تحريم إضاعة المال وتبذيره، قال تعالى: ﴿وَأَنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

٣- إقامة الحدود: فقرر قطع اليد في السرقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة **رحمته**.

فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ [المائدة: ٣٨].

ومن العقوبات الزاجرة التي بها تحفظ الأموال عقوبة المحاربين، وهم الذين يعرضون للناس بالسلاح في الصحراء أو في غيرها فيغصبونهم المال مجاهرة، فمن قتل منهم وأخذ المال قُتِلَ وَصُلِبَ حتى يشتهر - ولو عفا صاحب المال - ومن قتل منهم ولم يأخذ المال قُتِلَ ولم يُصَلَبْ، ومن أخذ المال ولم يقتل قُطِعَتْ يده اليمنى ورجله اليسرى في مقام واحد، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

(٥) حفظ العقل:

وحفظ العقل مقصود أيضًا؛ لأن الشريعة جاءت بحفظ العقول وصيانتها من جانب الوجود ومن جانب العدم:

أما المحافظة على ضرورة العقل من جانب الوجود:

فمنه ما ورد في نصوص الشريعة من الأمر بالتفكير والتدبر وإعمال العقول.

* قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَلَّتْ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: ٢٤].

* وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ يُغِشِي أَيْلَ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الرعد: ٣].

* وقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَدَّبُرُواْ بآيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

[ص: ٢٩].

وأما المحافظة على ضرورة العقل من جانب العدم.

فمن وجوه حفظ ضرورة العقل من جانب العدم ما يأتي:

أولاً: بيان الحكمة من تحريم مفسدات العقل:

لقد أنعم الله تبارك وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة، من أجلها وأعظمها نعمة العقل التي ميزه بها عن سائر المخلوقات، ولما كانت الخمر وسائر المسكرات من شأنها أنها:

* تُفقد الإنسان نعمة العقل.

* وتثير الشحناء وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين.

* وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

حرمها الشارع الحكيم، فالخمر خطرهما عظيم، وشرها جسيم، فهي مطية الشيطان التي يركبها للإضرار بالعباد.

ثانياً: تحريم الخمر ووجوب الحد على شاربه.

ولقد حرم الشرع ما يضر بالعقل ويضيع ثمرته كالخمر وسائر المسكرات

* قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

* وقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»^(١).

ولم يقف الأمر على تحريم الخمر فحسب؛ بل حرّم الله الطريق الموصل إليه:

فحرّم تذوق القليل من الخمر لأنه سبيل إلى شرب الكثير منه، قال النبي ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(٢)، وقال ﷺ: «مَا أَسْكَرَ مِنْهُ الْفَرْقُ؛ فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ»^(٣).

وحرّم الجلوس على مائدة أو مجلس يُشرب فيه الخمر: قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُشرب عليها الخمر»^(٤).
وغلظ اللعن في كل متعامل مع الخمر: فلُعِنَ في الخمر عشرة، كما صحّ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومُعْتَصِرَها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومُبتاعها، وساقها، ومُسْقَاهَا»^(٥).

وأمر الشارع بجلد شارب الخمر، ومقداره: أربعون جلدة، ويجوز أن يبلغ ثمانين جلدة، وذلك راجع لاجتهاد الإمام، يفعل الزيادة عند الحاجة إلى ذلك، خاصة إذا أدمن الناس الخمر ولم يرتدعوا بالأربعين؛ لحديث علي بن أبي

(١) مسلم (٢٠٠٣٠)

(٢) الألباني، صحيح ابن ماجه (٢٧٥٤) حسن صحيح، وفي صحيح الجامع (٥٥٣٠).

(٣) أحمد في المسند (٢٤٤٣٢)، والألباني في صحيح الترمذي (١٨٦٦)، وصحيح أبي داوود (٣٦٨٧)، وصحيح الجامع (٤٥٥٢).

(٤) الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (١٧٢).

(٥) الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

طالب رحمته الله في قصة الوليد بن عقبة: «جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلُّ سنَّةٍ، وهذا أحبُّ إليَّ» (١).

وعن السائب بن يزيد (٢) رحمته الله قال: «كنا نؤتى بالشارب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إمرة أبي بكر وصدراً من إمرة عمر فنقوم إليه نضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتى كان صدراً من إمرة عمر فجلد فيها أربعين، حتى إذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين» (٣)، ولحديث أنس رحمته الله: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضرب في الخمر بالنعال والجريد أربعين» (٤).

والأدلة في ذلك أكثر من أن تحصى. هذا ولقد أجمعت الأمة على تحريم شرب الخمر، وعلى وجوب الحد على شاربها سواء شرب قليلاً أم كثيراً وسواء أسكر أم لم يسكر. وقد أوجب الشارع الحد على شارب الخمر حال كونه عالماً عامداً مختاراً غير مكره ولا مضطر، وهو الجلد، وذلك تأكيداً لضرورة حفظ العقل وبياناً لأهميته ومكانته.

(١) مسلم (١٧٠٧)، والألباني، صحيح أبي داوود (٤٤٨١).

(٢) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، أبو عبد الله، وأبو يزيد الكندي المدني، ابن أخت نمر، وذلك شيء عرفوا به. وكان جده سعيد بن ثمامة حليف بني عبد شمس. قال السائب: «حج بي أبي مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن سبع سنين». قلت: له نصيب من صحبة ورواية. وقال الواقدي، وأبو مسهر، وجماعة توفي سنة إحدى وتسعين. ينظر: سير أعلام النبلاء (ج٣) (ص: ٤٣٧، ٤٣٩).

(٣) البخاري (٦٧٧٩).

(٤) الألباني، صحيح الجامع (٤٩٧٤)، وصحيح ابن ماجه (٢٠٩٩).

ثالثاً: تحريم المفسدات المعنوية للعقل.

فإذا كان السكر يُزيل العقل، فإن عددًا من المحرمات كسماع الغناء والمعازف والنظر المحرم يؤدي بصاحبه إلى ترك الواجبات وفعل المحرمات، ولهما تأثير في ضعف العقل والطمس والتغطية عليه، وهذا مشاهد في واقع الناس ولا سيما من يتعاطون هذه الموبقات تراهم ذهبت عقولهم وقد أنساهم الشيطان ربهم وخالقهم، وأنساهم العمل لآخرتهم، ولقد حذر الله أهل الإيمان من التشبه بهؤلاء الفسقة الفجرة وسلوك مسالكهم، فقال لهم سبحانه: ﴿وَلَا

تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] (١).

ولعل في هذا كفاية.

والحمد لله رب العالمين.



(١) النملة - مرجع سابق - (ص ٣٨-٣٩) بتصرف.

المطلب الخامس

مظاهر عناية الإسلام بتربية الأبناء

لقد اعتنى الإسلام بتربية الأبناء عناية عظيمة وجليلة وظهرت تلك العناية واضحة جليلة في الكتاب والسنة.

ومن أهم تلك المظاهر ما بينه الباحث في هذا المبحث إجمالاً ثم يفصله شرحاً وبيانا وذلك في ضوء أربعة مظاهر.

المظهر الأول: اختيار الزوجين.

المظهر الثاني: المعاشرة بالمعروف.

المظهر الثالث: التربية بالقدوة.

المظهر الرابع: التبكير في عملية التربية.

المظهر الأول

اختيار الزوجين

إن الأسرة هي الرابطة بين الرجل والمرأة والأولاد وهي أساس بناء المجتمع المسلم.

ولتكوين هذه الأسرة لا بد من زواج مبني على أساس متين ودعائم إيمانية صحيحة لإنشاء جيلٍ واعٍ راشدٍ مستخلف في الأرض. ويبدأ هذا الزواج باختيار الزوجة الصالحة.

والزواج آية من آيات الله تعالى: يقول الله تعالى مبيِّناً أن حقيقة الرجل والمرأة إنما هي من نفس واحدة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وإذا كان كلاهما من نفس واحدة فلا بد أن يبحث الرجل عمن يكمله من النساء، وكذلك المرأة تفعل حتى ترتبط بمن يكملها من الرجال، إذ لا يكتمل أيهما إلا بوجود صاحبه، وهذا الارتباط الفطري بين الرجل والمرأة هو من آيات الله في الخلق الدالة على قدرته وعظمته، فبهذا الرباط تستمر الحياة ويجد الإنسان سكينته وطمأنينته في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

المظهر الأول: أسس اختيار الزوجين:

أ- أسس اختيار الزوجة.

أولاً: أن تكون ذات دين:

يجب أن يقوم اختيار الزوجة على أساس الدين أولاً؛ لقول النبي ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١).

ففي هذا الحديث، بيّن ﷺ الخصال الرئيسة التي يقصدها عموم الناس في النكاح مع التأكيد على ضرورة اعتبار عنصر الدين في اختيار الزوجة، حيث يغفل عنه الناس عادة لانشغال النفس بمراعاة الدواعي الأخرى، فمن كان عنده نزعة لحب المال كانت نظرتة مادية، فيبحث عن ذات المال طمعاً في مالها فحسب؛ ومن كان راغباً في الجمال فحسب، أعمته رغبته عن ذات الدين، ومن كان ممن يبحث عن الحسب فحسب؛ وقلد الجهال الذين يقسمون المجتمع إلى طبقات ويبحثون عن الحسب والنسب ولا يولون جانب الدين أي عناية واهتمام؛ بحث عن ذات حسب ونسب ولم يلتفت إلى ذات الدين، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»^(٢).

قال الله تعالى في وصف المرأة الصالحة: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظَتُّ

(١) البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٤٦٦).

(٢) مسلم (١٤٦٧).

لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿[النساء: ٣٤]، ففي الآية إشارة إلى عنصر الصلاح عند المرأة وما يؤديه ذلك من محافظتها على حق زوجها وماله وعرضه الذي هو عرضها. ومن أسباب استقامة الفتاة وتدينها: استقامة أهلها، فإذا كانت من بيئة طيبة كريمة وأسرة صالحة معروفة بالتدين والاستقامة والصلاح والبعد عن الانحراف، فغالبًا ما تكون الفتاة صالحة كذلك؛ لأن الأصل يتفرع عنه الفرع، وبما أنها ترعرعت ونشأت في كنف ورعاية أسرة صالحة كريمة تعظم الله وتعظم شرعه ودينه، فهي فرع منها والفرع يحن إلى الأصل دومًا.

قال الله تعالى: **﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَادِّنُ رَبِّهٖ ۖ وَالَّذِي خَبَثَ لَإِيْخْرَاجِ إِلَّا نَكِدًا﴾** [الأعراف: ٥٨]، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة، يقول **ﷺ**: «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»^(١).

وإن كانت الأسرة غير صالحة نبتت الفتاة منبت سوء غالبًا والعياذ بالله. فالمال والجمال والحسب خصال يرغب فيها الكثير من الناس، إلا أنه لا يصلح أن تكون هذه الخصال هي الأساس لهذه العلاقة المتينة فحسب؛ إذ لا بد من شيء أقوى من شهوة حب المال والجمال والحسب، يقودها ويوجهها ويهيمن عليها، ألا وهو (الدين)، وإلا انهارت هذه الصلة وأصبحت تلك الخصال بلا دين وبالأ ونكدًا وغمًا وهمًا على أربابها.

أما المال:

فامرأة ذات مال وبلا دين، قد يطغيها مالها ويحملها على التعالي على زوجها وأهله فتغص حياته وتهدم كيانه، وإذا تزوجها لمالها فحسب قد يورثه الله

(١) مسلم (٢٦٣٨).

فقرها، فالمال عرض متداول بين الناس لا يدوم لأحد ولو دام لغيرنا ما وصل إلينا.

وأما الجمال:

إذا تعارض الجمال بأن كانت المرأة ذات جمال ولكن ليست ذات خلق ودين فلا اعتداد بهذا الجمال لأن المرأة إذا كانت ذات جمال لا يصحبه خلق ودين، فإنها تغدو امرأة مغرورة قد يحملها جمال لا يوجهه دين على الغرور والطغيان والتردي.

وأما الحسب:

فذات الجاه والحسب من غير دين؛ امرأة قد يحملها حسبها على ازدراء زوجها واحتقاره فيتهدم بنيان الأسرة المرصوص.

وأما الدين:

أما ذات الدين فقد هذبا دينها، وإن كان معها شيء من تلك الخصال فهي تعلم أن المتفضل عليها بتلك الخصال هو ربها وخالقها، فيحملها دينها على الحمد والشكر، لا على التعالي والتمرد والغرور.

فالدين قاعدة متينة وأساس راسخ يُبنى عليه غيره، لا تنازل عنه في اختيار الزوجة الصالحة، فالمال والجمال والحسب خصال تحمد إن كانت تحت مظلة الدين، يهذبها ويوجهها ويكون هو الحاكم والمهيمن عليها.

ثانياً: تفضيل الزوجة الودود:

فأساس السعادة في الأسرة هي: المرأة؛ حيث أنها تجعل من بيتها جنة على الأرض، وذلك إذا كانت متصفة بالود والوفاء والحنان والرحمة والتحبب إلى

زوجها، أما إذا اتصفت بالمزاج النكد والنفسية المعقدة المتعكرة المتبرمة من أدنى شيء، والوجه العبوس الذي لا يعرف التبسم، والشخصية المنطوية التي لا تألف ولا تؤلف، فإن ذلك كله من شأنه أن تعيش الأسرة في حياة ملؤها الهم والغم والنكد والشحناء والبغضاء؛ لذا قال ﷺ لجابر (١) **«هلاً جارية؛ تلاعبها وتلاعبك، وتضحكها وتضححك»** (٢)، فجعل الملاعبة والمضاحكة بين الزوجين جميعاً.

وقد جعل ﷺ جزء المرأة الودود: الجنة، حيث قال ﷺ: **«.. ونساؤكم من أهل الجنة: الودود.. الولود»** «الودود» أي: المتحبة إلى زوجها. «الولود» أي: كثيرة الولادة (٣).

وقال ﷺ: **«ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة تراها فتعجبك.. ومن الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك..»** (٤).

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، صحابي جليل من الأنصار، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، والأول أصح، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقد كان أصغر من شهد العقبة الثانية، وشهد مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، وكان من المكثرين في الحديث، وقد روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ، وكان مفتي المدينة في زمانه، توفي في سنة (٧٨هـ) وهو ابن أربع وتسعين سنة، وكان قد ذهب بصره، وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة يومئذ، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

وللاستزادة، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، وسير أعلام النبلاء، والموسوعة الحرة.

(٢) البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (٧١٥).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨٧).

(٤) حسنة الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٥٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول صلى الله عليه وسلم أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا في ماله بما يكره»^(١).

وفي رواية أخرى: عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك»^(٢)، والإعجاب والسرور في تلك الأحاديث يشمل كل ما يسر النفس المؤمنة من الأخلاق الحسنة الكريمة والطباعة الطيبة السليمة.

ثالثاً: تفضيل الزوجة الولود:

عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنما لا تلد أفأتزوجها؟ قال: «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»^(٣).

ومعنى «الولود»: كثيرة الولادة، ويعرف ذلك: بسلامة بدنها وبالنظر إلى نسل أمها وأخواتها وخالاتها وقرباتها... وفي ذلك تكثير لسواد الأمة المسلمة، وسبب في عزتها ومضاعفة قوتها ومنعتها. وليس كما يتصور بعض الجهلة أن كثرة الأمة سبب لفقرها وجوعها ونقص وضعف وقلة مواردها، ومؤد إلى ما يسمونه بـ«التفجير السكاني»! والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].

(١) رواه النسائي (٣٢٣١) وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٢٩٨)، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٣٨).

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٢٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم، قال عنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح (٢٠٥٠).

رابعاً: تقديم ذوات الأ Bakar:

ويقدم اختيار البكر على الثيب؛ استجابة لتوجيه النبي الكريم ﷺ أولاً، ولما لها من خصال ليست للثيب ثانياً، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «عليكم بالأ Bakar فإنهن أعذب أفواهاً، وأنتق أرحاماً، وأرضى باليسير»^(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتزوجت؟» قلت: نعم، قال: «بكرًا أم ثيبًا؟» فقلت: ثيبًا، قال: «أفلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟»^(٢).

ب- أسس اختيار الزوج:**الخلق والدين أولاً:**

وإذا كان اختيار الزوجة الصالحة من أهم عناصر بناء الأسرة المسلمة، فإن اختيار الرجل الصالح أكثر أهمية؛ لما يترتب على سوء اختيار الرجل من معاناة للمرأة الضعيفة وهضم لحقوقها، وضياع للأولاد الذين يصبغون بصبغة آبائهم غالباً، ويفهم هذا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ففي هذه الآية الكريمة بيان أن التفاضل يكون في الإسلام أولاً، وفي الآية التالية في سورة الحجرات بيان أن التفاضل بين المسلمين يكون بالقرب من الله والتقوى، يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (١٨٦١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٦٢٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٢)، ومسلم (٧١٥).

وقد حثَّ النبي ﷺ المرأة المسلمة ووليها إذا خطبها الرجل الصالح أن يزوجه، استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، فقال ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ عريض»^(١)، وإنَّ رفض الرجل مع كونه صالحًا يدلُّ على تغيير الموازين والقيم التي أراد الإسلام إرساءها في المجتمع المسلم، وهو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: «إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». إن صلاح الرجل هو سياج للمرأة في كل حالها، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها، وهو في كلا الحالتين لا تجنح نفسه إلى حرام فيقيها كالمعلقة، استجابة لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].



(١) الألباني، في كل من: صحيح الجامع (٢٧٠) حسن، صحيح ابن ماجه (١٦١٤) حسن، السلسلة الصحيحة (١٠٢٢)، حسن لغيره (٦٢٤٢).

المظهر الثاني المعاشرة بالمعروف

بيان معناها ومدلولاتها :

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ آوَيْنِيهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

إن الأسرة المسلمة تتكون أصولها من الأبوين المسلمين الصالحين ثم تأتي الذرية الصالحة لتصبح نواة لمجتمع مسلم، وهذا لا يتم إلا إذا تحققت المعاشرة بالمعروف بين الزوجين؛ وذلك بأن يؤدي كل واحد منهما واجبه تجاه صاحبه.

فللزوج على زوجته طاعته بالمعروف وتمكينه مما أباح الله له من الاستمتاع والقرار في البيت وعدم الخروج منه إلا بإذنه، والقيام على شؤون بيتها وتربية أبنائها، ولها عليها من الحقوق مثل الذي له عليه، إلا ما خصَّ الله به الأزواج دون الزوجات.

قال تعالى: ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الْمَثَلِ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فلها على زوجها السكنى والنفقة والكسوة بالمعروف، ولها عليه معاشرتها بالمعروف، ويشمل ذلك البيوتة عندها وإعفافها وتوجيهها لكل خير وإعانتها عليه.

هذا الإجمال وسيأتي التفصيل بإذن الله تعالى.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

فالمعاشرة بالمعروف قاعدة قرآنية محكمة جاءت ضمن سياق توجيه رباني عظيم، يقول الله تعالى فيه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مُنِيَنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

ومما يعين على فهم هذه القاعدة، أن نُذَكِّرَ بسبب نزول هذه الآية الكريمة، فقد روى البخاري في «صحيحه»، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوّجوها، وإن شاؤوا لم يزوّجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك ^(١). إن من تأمل وتدبر دلالات هذه القاعدة العظيمة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] أدرك أن الله تعالى ردّ أمر المعاشرة إلى العرف، لم يحدده بشيء معين؛ لاختلاف الأعراف والعادات بين البلدان كما هو معروف وظاهر، ولاختلاف مكانة الأزواج من الناحية المالية والاجتماعية، إلى غير ذلك من صور التفاوت التي هي من سنن الله في خلقه، ولعظيم موقع هذه المعاني التي دلت عليها هذه القاعدة القرآنية: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. أكد النبي صلوات الله وسلامته عليه هذه الحقوق في أعظم مجمع عرفته الدنيا في ذلك الوقت. حين خطب الناس في يوم عرفة في حجة الوداع، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال صلوات الله وسلامته عليه:

(١) البخاري (٤٣٠٣).

«فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه؛ فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»^(١).

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، والمقصود التنبيه على عظيم موقع هذه القاعدة الشرعية، والتي يتألم المؤمن من كثرة ما يرى من هتك لحرمتها، وعدم مراعاة لحدودها! فترى بعض الرجال لا يحسن إلا حفظ وترديد الآيات والحقوق التي تخصه، ولا يتحدث عن النصوص التي تؤكد حقوق زوجته، ف ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٢) [المطففين: ١].

ومن هنا يتأكد: وجوب بيان حقي الزوجين أحدهما على الآخر، وذلك إعداراً إلى الله في وجوب البيان من جهة، ومن جهة أخرى ليصبح كل من الزوجين على بينة من أمره.

حقوق الزوجين وواجباتهما:

أولاً: حقوق الزوج على زوجته:

وحقوق الزوج على زوجته من أجل الحقوق وأعظمها؛ بل إن حقه عليها أعظم من حقها عليه، لذا فبه نبدأ.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) قواعد قرآنية، القاعدة (٣٢)، المقبل - عمر بن عبد الله، الطبعة: الثانية، صدر عن مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية بالتعاون مع دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الرياض - ط (١٤٣٢هـ) بتصرف.

ومن أخص تلك الحقوق:

أولاً - وجوب الطاعة:

لأن الله جعل الرجال قوامين على النساء، وقيامهم على شؤونهن ورعايتهن يكون بالتعليم والتوجيه للخير والإعانة عليه، كما يقوم الوالي على رعيته، وبما خص الله به الرجل من خصائص عقلية وبدنية، وبما أوجب عليه لها من النفقات، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] قال ابن كثير رحمته الله: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رحمته الله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] يعني: أمراء عليهن، أي: طيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله. وكذا قال مقاتل والسدي والضحاك ^(١).

ثانياً - تسليم نفسها لزوجها وتمكينه من حق الاستمتاع بها:

ويتم ذلك بمجرد العقد والدخول بها وعدم الامتناع عنه إلا لعذر شرعي، لأن امتناعها عنه دون عذر شرعي كبيرة توجب سخط الله وعقابه.

عن أبي هريرة رحمته الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» ^(٢)، والملائكة لا تلعن إلا على كبيرة.

ثالثاً - ألا تدخل أحداً بيته إلا بإذنه:

فعن أبي هريرة رحمته الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٩٢).

(٢) البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (١٤٣٦).

وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه..»^(١).

وقال عليه السلام: «ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه»^(٢)، وقد سبق الحديث معنا بطوله وتمامه.

رابعاً - عدم الخروج من بيتها إلا بإذنه :

من حق الزوج على زوجته ألا تخرج من بيتها إلا بإذنه؛ لأنه سيدها ووليها وقيمها.

خامساً - تعليمها أمر دينها، وتأديبها إذا دعت الحاجة :

من واجبات الزوج تجاه زوجته المحافظ على أمر دينها، ويعلمها ما جهلت من شرع ربها سواء بنفسه إذا كان ذا علم، أو ييسر لها سبل التعلم، وبهذا تستطيع أن تعبد الله على بصيرة، كما أن تعليمها هو أساس تعليم أفراد الأسرة، لأنها إذا تعلمت، علمت أبناءها بالقول والقدوة الحسنة، وبذلك يقي الزوج أهله شقاء الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦].

فليس من الأمانة تجاهل الدين والحلال والحرام، فإن في ذلك شقاء الدارين. وكذلك يجب عليه تأديبها بالمعروف، إذا تعالت وتمردت عليه؛ لأن الله تعالى أمر بتأديب النساء وذلك عند النشوز والعصيان والتمرد وعدم الطاعة.

(١) البخاري (٤٨٩٩)، ومسلم (١٠٢٦).

(٢) مسلم (١٢١٨).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ ذُنُوبَهُمْ فَاعْظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِبِ

وَأَصْرِبُوهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٤].

وإنما يكون التأديب بالتدرج بالوعظ، وتكراره بالأسلوب الحسن والكلمة الطيبة أولاً، فإن لم يُجَدِّ معها، فبالهجر في الفراش ثانياً، فإن لم يؤثر، فالضرب تأديباً - لا تشفيًا - ثالثاً، مع مراعاة الضوابط الشرعية، بأن لا يكون الضرب وقت الغضب الشديد، وأن يكون مقصده منه تأديبها وردعها وزجرها وأطرها على الحق أطراً، وألا يكون ضرباً شديداً مبرحاً بأن يكسر عظاماً، أو أن يترك أثراً، وأن يتجنب الوجه والرأس والحواس، وألا يلجأ إليه إلا بعد بذل كل سبيل مشروع في إصلاحها وردها إلى رشدها، فإن لم تستجب فقد أعذر إلى الله، ويستخدم التأديب بالضرب في أضيق الحدود مع ضوابطه الشرعية كما أسلفنا.

سادساً - خدمة زوجها بالمعروف:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وتجب خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة»^(١).

سابعاً - معاشرتها لزوجها بالمعروف:

تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

- قال القرطبي: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أي: لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن. وقال ابن زيد: تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل»

(١) الفتاوى الكبرى (٤/ ٥٦١).

فيكم، والمعنى متقارب والآية تعم جميع ذلك من حقوق الزوجية»^(١).

والبشرى للزوجة الصالحة:

فإن على الزوجة أن تتقي الله ﷻ في زوجها، وأن تقوم بحقوقه قدر الطاقة، وأن لا يحملها تقصير زوجها في حقها على مقابلة ذلك بالتقصير في حقه، وعليها أن تصبر وتحتسب، فالأجر عند الله عظيم فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ حَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالصَّادِقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي نَاحِيَةِ الْمِصْرِ لَا يَزُورُهُ إِلَّا لِلَّهِ فِي الْجَنَّةِ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَدُودٌ وَلُودٌ إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ، لَا أَكْتَحِلُ بِغَمَضٍ حَتَّى تَرْضَى»^(٣).

ثانياً: حقوق الزوجة على زوجها:

للزوجة على زوجها حقوق عظيمة وجميلة، منها حقوق مادية، وهي: المهر،

(١) تفسير القرطبي (٣/١٢٣، ١٢٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/١٩١) وقال محققو المسند: حسن لغيره، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٩٣٢).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/٢٠٦) وقد جاء عن جماعة من الصحابة آخرين، لذلك حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٨٠) وفي صحيح الترغيب (١٩٤٢).

والسكنى، والنفقة، وحقوق حسية ومعنوية، من أجلها: المعاشرة بالمعروف والعدل في القسمة بين الزوجات وعدم الإضرار بالزوجة.

١- الحقوق المالية:

أ- الصداق:

هو المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول بها، وهو حق واجب للمرأة على الرجل، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، أي: عطية واجبة والأمر بإيتاء المرأة صداقها، فيه إكرام لها، وبيان لمكانتها في الإسلام، وفيه إظهار لعظم شأن هذا العقد ومكانته في شريعتنا الغراء.

والمهر ليس شرطاً في عقد النكاح ولا ركناً عند جمهور الفقهاء، وإنما هو أثر من آثاره المترتبة عليه، فإذا تم العقد عليها ولم يسم لها مهراً صح العقد باتفاق الجمهور، ووجب عليه مهر مثلها، لقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٦]، فإباحة الطلاق قبل المسيس وقبل فرض صداق يدل على جواز عدم تسمية المهر في العقد باتفاق.

ب- النفقة:

وقد أجمع علماء الإسلام على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن بشرط تمكين المرأة نفسها لزوجها، فإن امتنعت منه أو نشزت لم تستحق النفقة لأن الناشز لا نفقة لها.

والحكمة في وجوب النفقة لها: أن المرأة محبوسة على الزوج بمقتضى عقد الزواج، ممنوعة من الخروج من بيت الزوجية إلا بإذن منه للاكتساب، فكان

عليه أن ينفق عليها، وعليه كفايتها، وكذا هي مقابل الاستمتاع وتمكينه من نفسها. وفي السُّنَّة: عن عائشة قالت: دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيَّ إلا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل عليَّ في ذلك من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك»^(١).

ولقوله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»^(٢)، وقد سبق الحديث معنا بطوله وتمامه.

ج- السكنى:

وهو من حقوق الزوجة، وهو أن يهيئ لها زوجها مسكناً على قدر سعته وقدرته، قال الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦].

٢- الحقوق الحسية والمعنوية:

أ- العدل بين الزوجات:

إن من حق الزوجة على زوجها العدل بالتسوية بينها وبين غيرها من زوجاته، إن كان له زوجات، في المبيت والنفقة والكسوة.

ب- حسن العشرة:

ويجب على الزوج معاشرته زوجته بالمعروف بأن يحسن إليها بكل وجوه الإحسان ولا يؤذيها ولا يوقع بها الضرر؛ بل يصبر عليها ويتحمل منها الأذى،

(١) البخاري (٥٠٤٩)، ومسلم (١٧١٤).

(٢) مسلم (١٢١٨).

بل يلاطفها لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ١٩]، وقوله سبحانه:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

— قال ابن كثير - رحمه الله تعالى: «﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ١٩] أي: طَيَّبُوا أَقْوَالَكُمْ لَهُنَّ، وَحَسَّنُوا أفعالكم وهَيِّئَاتِكُمْ بحسب قُدْرَتِكُمْ، كما تحبُّ ذلك منها، فافعل أنت مثله»^(١).

* وفي السُّنَّة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء»^(٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهِم»^(٣).

ففي هذا الحديث يُبيِّن النبي ﷺ أن مَنْ كَمَّلَ إيمانه هو من حَسَنَ خُلُقَهُ مع جميع الناس، ثم بيَّن أن خير الناس من كان خيرُهُ لزوجته خاصَّة، وذلك بأن يُعامِلَهَا بالحسنى، ويصبر على أخلاقها، ويكفُّ الأذى عنها، قال الحسنُ البصري رضي الله عنه: «حقيقةُ حَسَنِ الخلق: بذلُّ المعروف، وكفُّ الأذى، وطلاقة الوجه»، وقد كان النبي ﷺ خيرَ الناس؛ ولهذا كان ﷺ أحسنَ الناس معاشرَةً لأزواجه، فإنه قد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «خيرُكم خيرُكم لأهلِهِ، وأنا خيرُكم

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٢).

(٢) البخاري (٣١٥٣)، ومسلم (١٤٦٨)، وينظر: موقع الإسلام سؤال وجواب - للشيخ محمد صالح المنجد (د-ت) بتصرف.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب: الرضاع، باب حق المرأة على زوجها، (رقم: ١١٦٢)، وقال: «حسن صحيح»، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم: ٢٨٤).

لأهلي»^(١).

البشارة للزوج الصالح:

أما البشارة التي جاءت للزوج الذي يحسن صحبة زوجته، فهي أن النبي ﷺ شهد له بكمال الإيمان الموجب لدخول الجنة، وبالأفضلية على سائر الناس. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرُكُ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر - أو قال: غيره»^(٢).

ومعنى «يَفْرُكُ»: ييغض. ومعنى ذلك أن يتغاضى عما لا يمس الدين أو الخلق مما لا يوافق رغبته نظير الكثير من الأخلاق المرضية فيها. إذ إنه لا تتم السعادة الزوجية إلا بأن يؤدي كل من الزوجين ما يجب عليه نحو الآخر، لكن بعض الأزواج قد يتعسف في استعماله حقه على زوجته فلا يراعي كرامتها وإنسانيتها، فضلاً عن حقها في الإسلام فتجده يهينها ويظلمها ويماطل في أداء حقوقها. وحتى لو كره الرجل من زوجته بعض الطباع التي لا تنتقص من دينها ولا تخدش من عرضها فعليه أن يصبر عليها ويتحملها لما في ذلك من العواقب الحميدة.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

- (١) صحيح: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ (رقم: ٣٨٩٥)، وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان: كتاب النكاح، باب معاشره الزَّوجين، (رقم: ٤١٧٧): كلاهما من طُرق عن: محمد بن يوسف: حدَّثنا سفيان الثوري، عن هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها به، وقال الترمذي: «حسن غريب صحيح»، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم: ٢٨٥).
- (٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (رقم: ١٤٦٩).

كَثِيرًا ﴿١٩﴾ [النساء: ١٩]، وفي المقابل فإن بعض النساء قد تترفع وتعالى على زوجها وتمنع من أداء حقه عليها ولا تخضع لقوامته عليها فينشأ الخلاف ويتصدع بنیان الأسرة المرصوص، وهذا خلق لا يرضيه الإسلام ولا تتحقق معه المصالح الزوجية ولا تنشأ عنه في الغالب أسر صالحة مستقرة، فالواجب التوبة والأوبة والتزام العشرة بالمعروف بين الزوجين، حتى ينعم جميعاً بحياة هنيئة طيبة مطمئنة ترفرف فيها السعادة بجناحيها في جنبتي البيت.

يقول العلامة ابن العربي المالكي ^(١) **رحمته**: «و«حقيقة «عشر» في اللغة العربية الكمال والتمام، ومنه: العشرة، فإنه بذلك كمل أمرهم، وصح استبدادهم عن غيرهم، وعشرة تمام العقد في العدد، فأمر الله سبحانه الأزواج إذا عقدوا على النساء أن يكون أدمّة ما بينهم وصحبتهم على التمام والكمال، فإنه أهدأ للنفس، وأقر للعين، وأهنأ للعيش، وهذا واجب على الزوج، ومن سقوط العشرة تنشأ المخالعة، وبها يقع الشقاق، فيصير الزوج في شق، وهو سبب الخلع» ^(٢).

(١) ابن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر، المعروف بابن العربي. حافظ متبحر، وفقه، من أئمة المالكية، بلغ رتبة الاجتهاد. رحل إلى الشرق، وأخذ عنه الطرطوشي وأبو حامد الغزالي، ثم عاد إلى مراكش، وأخذ عنه القاضي عياض وغيره. أكثر من التأليف. وكتبه تدل على غزارة علم وبصر بالسنة. توفي بفاس (٥٤٣ هـ)، وهو غير محيي الدين بن عربي الملحد.

من تصانيفه: عارضة الأحوذى شرح الترمذي، وأحكام القرآن، والمحصول في علم الأصول، ومشكل الكتاب والسنة، وشجرة النور الزكية (ص ١٣٦)، والأعلام للزركلي (١٠٦/٧)، والديباج (ص ٢٨١).

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي المالكي (٣٦٣/٢) بتصرف يسير.

ويقول العلامة الجصاص ^(١) الحنفي: معلقاً على هذه القاعدة ﴿وَعَاشِرُهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] «هو أمر للأزواج بعشرة نسائهم، ومن المعروف:

أن يوفى حقها من المهر، والنفقة، والقَسَم، وترك أذاها بالكلام الغليظ، والإعراض عنها والميل إلى غيرها، وترك العبوس والقطوب في وجهها بغير ذنب» ^(٢).

- وقال الغزالي في الإحياء: «والمعاشرة بالمعروف تكون بِحُسْنِ الخُلُقِ معها، وكف الأذى عنها؛ بل احتمال الأذى منها، والحلم عن طيشها وغضبها؛ اقتداءً برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام؛ بل أن يزيد على احتمال الأذى منها بالمداعبة، والمزاح والملاعبة، فهي التي تُطَيِّب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن» ^(٣).

وليتدبر كل من الزوجين ما قصه الله تعالى في سورة الطلاق من أحكام وتوجيهات عظيمة، فإن الله تعالى -لما ذكر أحكاماً متنوعة في تلك السورة-

(١) أبو بكر الجصاص (٣٠٥ - ٣٧٠ هـ، ٩١٧ - ٩٨٠ م): الجصاص الحنفي هو: أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص، ولد في مدينة الري سنة (٣٠٥ هـ)، ونشأ فيها، ثم رحل إلى بغداد سنة (٣٢٥ هـ)، كان إمام الحنفية في وقته، واستقر التدريس له ببغداد، وانتهت الرحلة إليه، واشتهر بالورع والزهد، وله تصانيف كثيرة، وتوفي في السابع من ذي الحجة سنة (٣٧٠ هـ).

ينظر: ترجمته في: مقدمة كتابه: أحكام القرآن (ص ٤، ٥)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي (ص ٢٧، ٢٨).

(٢) أحكام القرآن، للجصاص (٣/ ٤٧).

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٢/ ٤٣)

عَقَّبَ عَلَىٰ كُلِّ حَكْمٍ بِذِكْرِ فَوَائِدِ التَّقْوَىٰ الَّتِي هِيَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وقال **عَلَّك**: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

وقال تقدس اسمه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق: ٥]؛ ولعل السر في تتابع هذه التعقيبات: أن أحوال الطلاق عقب الفراق - مع وجود الحمل والإرضاع أو بقاء العدة - قد تحمل أحد الطرفين على التقصير والبغي، ونحو ذلك من التجاوزات، فجاءت هذه التعقيبات الإلهية لتبشر المتقين، ولتحذير المجانين للتقوى، بأن أضرار هذه الوعود الإلهية ستحصل إن أنتم فرطتم في تطبيق شرع الله، ويوضح هذا المعنى ختم السورة بهذه الآية المخوفة، قال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۚ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيْدًا وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ۝٨﴾ فذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠﴾ [الطلاق: ٨-١٠].

ولقد كان سلف هذه الأمة يفقهون حقًا معاني هذه النصوص العظيمة، ومن ذلك هذه القاعدة القرآنية المحكمة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۝١٩﴾ [النساء: ١٩].

فهذا حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: كما رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: «إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي المرأة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۝٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وما أحب أن أستنطف - أي: (أستوفي) - جميع حقي عليها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَالرِّجَالُ

عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴿البقرة: ٢٢٨﴾^(١).

وبعد فهذه هي نظرة الإسلام العميقة للعلاقة الزوجية، اختصرتها هذه القاعدة القرآنية المحكمة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، وكذلك: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فهي علاقة قائمة على المعاشرة بالمعروف، وعلى الصبر على ما قد يبدر من الطرفين من تقصير، فإن كانت العلاقة غير قابلة للاستمرار فيأتي الأمر بالتسريح بالمعروف والإحسان - أيضًا - الذي يحفظ حق الكرامة لكلا الطرفين؛ كلُّ هذا يجعل المؤمن يفخر ويحمد الله على هدايته وانتماؤه لهذه الشريعة العظيمة الكاملة من كل وجه، وينظر بعين المقت لتلك الأفلام الهابطة، والدعوات السيئة التي تجرى المرأة إذا رأت من زوجها ما تكره - أو توحى للرجل إذا رأى من زوجته ما يكره - أن ينحرف قلبه قليلاً عن مساره الشرعي^(٢).

وفي نهاية هذا المبحث المهم يجدر بيان أهم آثار المعاشرة بين الزوجين على الأبناء:

- إن الانسجام والتآلف والتطواع والتلاحم بين الأبوين له آثار عظيمة بعد مشيئة الله لدوام العشرة بينهما وحسن رعايتهما لأولادهما، ومن ثمَّ تربية الأبناء

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٢١٠) رقم (١٩٦٠٨).

(٢) وللإستزادة ينظر: القواعد القرآنية لعمر المقبل، فقد أفدت منه في هذه القاعدة بتصريف القاعدة (٣٢).

المقبل: عمر بن عبد الله، الطبعة: الثانية، صدر عن مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية بالتعاون مع دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية - الرياض - ط (١٤٣٢هـ).

تربية سوية، وأن الخلاف بينهما، يمزق كيان الأسرة ويشتهاها، كما أنه إذا ظهر الخلاف أمام الأولاد فإنه يدفعهم إلى التمرد والعصيان وعدم القناعة بتوجيهات الوالدين، وأن عدم المعاشرة بين الزوجين بالمعروف قد يصيب الأولاد ببعض العقد والأزمات النفسية، ولذلك جعل الشرع الهجر لتأديب الزوجة في المضجع فقط، حتى لا يطلع عليه الأبناء، فقال **رَبِّكَ: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِن أَطَعْنَاكُمْ فَلَا نَبِّغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾** [النساء: ٣٤]، فسبحانه من مشرع حكيم عليم.

وفي «السنن» و«المسند» عن معاوية بن حيدة القشيري^(١) أنه قال: يا رسول الله، ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»^(٢).

وختاماً:

فإذا تحققت المعاشرة بالمعروف بين الزوجين أضحت الأسرة بيئة خصبة

(١) معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري، جد بهز بن حكيم.

قال البغوي: نزل البصرة. وقال ابن الكلبي: أخبرني أبي أنه أدرك بخراسان ومات بها. وقال ابن سعد: له وفادة وصحبة. وقال البخاري: سمع النبي **ﷺ**. الإصابة في معرفة الصحابة (٣/ ١٠٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٤٤٤)، وأسد الغابة (٣/ ٢٦).

(٢) صححه الألباني في كل من: صحيح الترغيب والترهيب (١٩٢٩)، وغاية المرام (٢٤٤)، وصحيح أبي داوود (٢١٤٢)، وآداب الزفاف (٢٠٨).

وأرضاً طيبةً مؤهلةً لتربية جيل صالح مؤهل للاستخلاف في الأرض، وإذا نشأ الأبناء في مثل هذه البيئة الطيبة وتفتحت أعينهم على أبوين كريمين متحابين متآلفين متفاهمين متعاونين على البرِّ والتقوى، وفي أسرة يسود فيها الحب والود والعطف والحنان، والرحمة، ورأى الأبناء بأم أعينهم السعادة ترفرف بجناحيها في هذا البيت، وأحسوا بالسكينة تنزل بين جنبتي البيت، ترعرعوا وتربوا تربية سوية ونشأوا نشأةً صالحةً وتأثروا نفسياً ووجدانياً بهذه البيئة الطيبة الصالحة وبهذا المحضن التربوي الآمن، وخرجوا للمجتمع متكاملين الأخلاق حسني الطباع وقد تهيأوا لأن يكونوا عباداً صالحين مهيين للإصلاح وللقيادة والريادة. اللهم كما هديتنا لهذه الشريعة الغراء دون أن نسألك فارزقنا العمل بها، والثبات عليها حتى نلقاك ونحن نسألك، والحمد لله رب العالمين.



المظهر الثالث

التربية بالقدوة

مفهوم القدوة في اللغة والاصطلاح:

مفهوم القدوة لغة: القدوة: هي الأسوة، وتأتي في اللغة بالكسر والضم ويراد بها الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به^(١).

— قال ابن منظور: «يقال: قدوة وقدوة لما يقتدى به، والقدوة الأسوة»^(٢).

— وقال الجوهري: «القدوة: الأسوة يقال: فلان قدوة يقتدى به، وقد تضم فيقال: قدوة وقدوة»^(٣).

مفهوم القدوة في الاصطلاح:

— قال المناوي: «القدوة: هي الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به»^(٤).

(١) التوفيق على مهمات التعريف، تأليف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) - تحقيق محمد رضوان الداية - ط١ - دار المفكر المعاصر بيروت - دار الفكر دمشق - (١٤١٠هـ - ١ - ٥٧٧) باب القاف - فصل الدال - مادة: القدوة.

(٢) ابن منظور - لسان العرب - مصدر سابق (١٥ - ١٧١) - باب فصل القاف - مادة: (قدا).

(٣) الجوهري: الصحاح - مصدر سابق (٦ / ٢٤٥٩) - باب الباء فصل القاف - مادة: (قدا).

(٤) ينظر: التوقيف، للمناوي (٢٦٩).

والقدوة إن كانت حسنة كان الاقتداء حسنًا، وإن كانت فاسدة كان الاقتداء فاسدًا.

إذاً فالقدوة على ضربين: حسنة، وسيئة:

أولاً القدوة الحسنة:

والقدوة الحسنة هي المثل العملي للأخلاق والفضائل المثلى، وهذا المثل العملي قد يكون مثلاً حياً مشاهدًا ملموسًا يعيش بين الخلق فيتأسى به، وقد يكون مثلاً ماثلاً في النفس البشرية، بسيرته الحميدة وأفعاله السديدة وما أشيع ونقل عنه من محامد وشيم كريمة وسيرة حسنة وصفات صالحة وأخلاق فاضلة، وما نقل عنه من الأنباء والأقوال والأعمال المرضية.

ثانياً القدوة السيئة:

والقدوة السيئة هي: الاقتداء بأهل الباطل ومتابعتهم والتأسي بهم في فعل السيئات وترك الحسنات^(١).

قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾

[الزخرف: ٢٣].

الحاجة إلى القدوة الحسنة في التربية:

أولاً- القدوة الحسنة تشجع على بلوغ الفضائل وتجعل ذلك ممكنًا، فهي تعتبر من أكثر أساليب التربية تأثيرًا في سلوك ونفوس الناشئة، فهي المثل الحي للسلوك التربوي السوي، وهي تولد في نفوس الناشئة القناعة بأن ما يتصف به القدوة من أخلاق وشيم حسنة وصفات طيبة كريمة، أمر ليس بمعجز؛ بل هو

(١) ينظر: شجرة المعارف والأحوال، للعز بن عبد السلام (ص ٣٤٤).

أمر واقع مائل أمام أعينهم، يمكنهم التأسي به ومحاكاته.

– قال الإمام الشاطبي رحمته الله: «إذا وقع القول بياناً بالفعل شاهد له ومصداق، وبيانه وتفصيله أن العالم إذا أخبر عن إيجاب عبادة من العبادات أو لزوم فعل من الأفعال ثم فعله هو لم يخل به في مقتضى ما قاله فيه، عند ذلك يقوى اعتقاد إيجابه وينتهض العمل به عند كل من سمعه وأخبر عنه ورآه يفعله»^(١).

ثانياً- مهما وضع القائمون على مناهج التربية من برامج ومناهج تربوية متكاملة، محكمة، ومهما وضعوا من أسس تربوية مؤصلة لتربية الناشئة، ومهما يكن من ذلك كله، فإنه لا يغني أبداً عن وجود أخلاق عملية وصفات حية تتمثل في (القدوة) ليغرس في نفوس الناشئة بصفاته وأخلاقه العملية-وبفعله قبل قوله- كل ما يرمون إليه من مبادئ ومفاهيم وأهداف تربوية سامية.

ثالثاً- القدوة الحسنة تثير في نفوس العقلاء والنبلاء الاستحسان والتقدير والإجلال. ومن هنا تحرك في نفوسهم محاولة التقليد، والبشر قد فطروا على افتقاد القدوة الحسنة لتكون لهم مشعل هداية، ومثلاً حياً يهديهم سبيل الرشاد، لذا كان من حكمته جل في علاه إرسال الرسل ليكون واسطة بين الخالق والمخلوق في إبلاغ الحق للخلق، بلسان المقال بالبلاغ، وبلسان الحال بالافتداء والتأسي بهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ

كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴿٤٤﴾ [النحل: ٤٣-٤٤].

(١) الموافقات (٣١٧) للإمام الشاطبي- بتصرف.

رابعاً: إن مستوى الإدراك والاستيعاب يتفاوت بين الناس، ولكن أمام رؤية العين المجردة المثل العملي الحي وهو (القدوة) يتساوى فيه كل البشر، لذا كانت الحاجة ضرورية وملحة لوجود القدوة الحسنة لتستوعب عموم طبقات البشر، فيؤلّد لديهم الحوافز القوية والفعالة لأن يتمثلوا بأخلاقه وأفعاله.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

– قال ابن كثير **رحمته** في تفسير هذه الآية: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسّي برسول الله **ﷺ** في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسّي بالنبي **ﷺ** يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه **ﷻ**، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].»

ففي هذا الآية إرشاد عظيم من الله تبارك وتعالى لعموم المؤمنين أن يتخذوا من رسول الله **ﷺ** قدوة وأسوة حسنة لهم، يقتدون به، في أعماله، وأقواله، وأخلاقه، وكل أمره فهو خير أسوة وقدوة يقتدي بها.

يقول ابن حزم^(١):

(١) أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (٣٠ رمضان ٣٨٤ هـ / ٧ نوفمبر ٩٩٤ م) قرطبة - (٢٨ شعبان ٤٥٦ هـ / ١٥ أغسطس ١٠٦٤ م) هو: الإمام الأوحّد، البحر، ذو الفنون =

= والمعارف، الفقيه الحافظ، المتكلم الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي؛ مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي رحمته المعروف بيزيد الخير، نائب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رحمته على دمشق. فكان جده يزيد؛ مولى للأمير يزيد أخي معاوية، وكان جده خلف بن معدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل، وفاته: قال صاعد: ونقلت من خط ابنه أبي رافع؛ أن أباه توفي رحمته عشية يوم الأحد، ليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مئة. فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرًا، رحمه الله تعالى. زيادة من: «تذكرة الحفاظ».

وللاستزادة ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٤ - ٢١٢): (٩٩)، وتاريخ الإسلام، (الطبعة: ٤٦/٤ الترجمة: ١٦٨)؛ كلاهما للإمام شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، وسياق الكلام فيها له رحمته من: السير، غير أنني عمدت إلى النص؛ فاختصرته، وهدبته، ورتبته. عقيدة ابن حزم ومنهجه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «وَإِنْ كَانَ «أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ» فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْقَدَرِ أَقْوَمَ مِنْ غَيْرِهِ وَأَعْلَمَ بِالْحَدِيثِ وَأَكْثَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَلِأَهْلِهِ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنْ قَدْ خَالَطَ مِنْ أَقْوَالِ الْفَلَسِيفَةِ وَالْمُعْتَرِلَةِ فِي مَسَائِلِ الصِّفَاتِ مَا صَرَفَهُ عَنْ مَوْافَقَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي مَعَانِي مَذْهَبِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَوَافَقَ هَؤُلَاءِ فِي اللَّفْظِ وَهَؤُلَاءِ فِي الْمَعْنَى. وَبِمِثْلِ هَذَا صَارَ يَذُمُّهُ مَنْ يَذُمُّهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ بِاتِّبَاعِهِ لِظَاهِرِ لَا بَاطِنِ لَهُ. كَمَا نَفَى الْمَعَانِي فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالِاشْتِقَاقِ، وَكَمَا نَفَى خَرَقَ الْعَادَاتِ وَنَحْوَهُ مِنْ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ. مَضْمُومًا إِلَى مَا فِي كَلَامِهِ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي الْأَكَابِرِ وَالِإِسْرَافِ فِي نَفْيِ الْمَعَانِي، وَدَعْوَى مُتَابَعَةِ الظَّوَاهِرِ. وَإِنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالِدِّينِ وَالْعُلُومِ الْوَاسِعَةِ الْكَثِيرَةِ مَا لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ وَيُوجَدُ فِي كُتُبِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْأَقْوَالِ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَحْوَالِ، وَالتَّعْظِيمِ لِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ، وَلِجَانِبِ الرِّسَالَةِ: مَا لَا يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِ، فَالْمَسْأَلَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا حَدِيثٌ، يَكُونُ جَانِبُهُ فِيهَا ظَاهِرٌ التَّرْجِيحِ. وَلَهُ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الصَّحِيحِ =

= وَالضَّعِيفِ وَالْمَعْرِفَةِ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ مَا لَا يَكَادُ يَفْعُ مِثْلَهُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ» انتهى.
مجموع الفتاوى (٤/ ١٩-٢٠).

وقال شيخ الإسلام رحمته الله أيضًا: «وكذلك أبو محمد بن حزم مع معرفته بالحديث وانتصاره لطريقة داود وأمثاله من نفاة القياس أصحاب الظاهر قد بالغ في نفي الصفات وردها إلى العلم، مع أنه لا يثبت علمًا هو صفة ويزعم أن أسماء الله كالعليم والقدير ونحوهما لا تدل على العلم والقدرة، وينتسب إلى الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة، ويدعي أن قوله هو قول أهل السنة والحديث، ويذم الأشعري وأصحابه ذمًا عظيمًا، ويدعي أنهم خرجوا عن مذهب السنة والحديث في الصفات، ومن المعلوم الذي لا يمكن مدافعتة أن مذهب الأشعري وأصحابه في مسائل الصفات أقرب إلى مذهب أهل السنة والحديث من مذهب ابن حزم وأمثاله في ذلك» انتهى.
درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢٤).

وقال شيخ الإسلام أيضًا: «وزعم ابن حزم أن أسماء الله تعالى الحسنى لا تدل على المعاني، وهذا يشبه قول من يقول بأنها تقال بالاشتراك اللفظي، وأصل غلط هؤلاء شيئان: إما نفي الصفات والغلو في نفي التشبيه، وإما ظن ثبوت الكليات المشتركة في الخارج، فالأول هو مأخذ الجهمية ومن وافقهم على نفي الصفات، قالوا: إذا قلنا: عليم يدل على علم، وقدير يدل على قدرة؛ لزم من إثبات الأسماء إثبات الصفات. وهذا مأخذ ابن حزم؛ فإنه من نفاة الصفات مع تعظيمه للحديث والسنة والإمام أحمد، ودعواه أن الذي يقوله في ذلك هو مذهب أحمد وغيره، وغلطه في ذلك بسبب أنه أخذ أشياء من أقوال الفلاسفة والمعتزلة عن بعض شيوخه، ولم يتفق له من يبين له خطأهم، وَنَقَلَ المنطق بالإسناد عن متي الترجمان» انتهى.
منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٥٣).

وقال ابن كثير رحمته الله: «كان كثير الوقوعة في العلماء بلسانه وقلمه، فأورثه ذلك حقدًا في قلوب أهل زمانه، وما زالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم، فطردوه عن بلاده، حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة، وقد جاوز السبعين، والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهرًا حائرًا في الفروع، لا يقول بشيء من القياس لا الجلي ولا غيره، وهذا =

«فمن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد ﷺ وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكنه»^(١).

والله سبحانه يوجه رسوله ﷺ ومعه أمته إلى الاقتداء بالمرسلين الذين اختارهم لنبوته ورسالته وأنزل عليهم كلامه؛ فقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَنْفُسِهِمْ فَسَاءَ لِمَنْ كَفَرَ بِهَا حَقِيرًا ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفَتِدَةٌ ۗ قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٩ - ٩٠].

— يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره: (أولئك) هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق،

=الذي وضعه عند العلماء، وأدخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرفه، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول، وآيات الصفات وأحاديث الصفات؛ لأنه كان أولاً قد تزلزل من علم المنطق، أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكنائي القرطبي، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان، ففسد بذلك حاله في باب الصفات» انتهى.

البداية والنهاية (١٢/١١٣). وينظر: طبقات علماء الحديث. لابن عبد الهادي (٣/٣٤٩).

وقال أعضاء اللجنة الدائمة: «من العلماء المبرزين في الأصول، والفروع، وفي علم الكتاب والسنة، إلا أنه خالف جمهور أهل العلم في مسائل كثيرة أخطأ فيها الصواب؛ لجموده على الظاهر، وعدم قوله بالقياس الجلي المستوفي للشروط المعتمدة، وخطؤه في العقيدة بتأويل نصوص الأسماء والصفات أشد وأعظم» انتهى.

فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/٢٢٣).

(١) ابن حزم، الأخلاق والسير (ص ٢٤).

وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاز عما نهى فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك ﴿فِيهِدَهُمْ آقَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم اقتده يا محمد، أي: فاعمل وخذ به واسلكه فإنه عمل لله فيه رضا ومنهاج من سلكه اهتدى^(١).

– يقول ابن سعدي رحمته: «أيها الرسول، اتبع ملة هؤلاء الأنبياء الأخيار، وقد امثل فاهتدى بهدي الرسل من قبله وجمع كل كمال فيهم فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين»^(٢).

ولقد اقتدى عليه السلام بالقرآن فكان خلقه القرآن، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد صحبة طويلة لما سُئِلَتْ عن خُلُقِهِ صلى الله عليه وسلم قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(٣). واقتدى الصحابة رضي الله عنهم برسولهم صلى الله عليه وسلم في عبادته، وحلمه، وتواضعه، وزهده، وجوده، وكرمه، ورحمته، وشجاعته، وقوته، وحسن سياسته، وتدييره، وثباته على المبدأ، والتابعون اقتدوا وتأسوا بالصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه للتابعين: «اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُمْ»^(٤).

(١) الطبري: محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن. دار الهجرة، ط ١، الجزء: ٩، (ص ٣٩١).

(٢) تفسير السعدي (٤٩/٢).

(٣) الألباني في كل من: صحيح الجامع (٤٨١١) صحيح، وصحيح الأدب المفرد (٢٣٤)، صحيح لغيره.

(٤) الاعتصام للشاطبي (٧٩/١).

ولئن انتقل الرسول صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى، فإن سيرته التي تحتوي على جزئيات سلوكه ماثلة لنا، وفيما بلغنا من تراجم أصحابه رضوان الله عليهم ما يكفي لتجسيد القدوة الحسنة للمجتمع المسلم.

ثم إن كل عصر من العصور من بعدهم لا يخلو من وجود طائفة من أمة محمد ﷺ تصلح لأن تكون قدوة حسنة، قلت هذه الطائفة، أو كثرت فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(١).

وقد قيل قديماً: «لا يخلو زمان ليس فيه قائم لله بحجة».

وفي محض وصف عباد الرحمن، يقول الحق جل في علاه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٧٤) [الفرقان].

يقول ابن سعدي رحمته الله: «أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم، يقتدى بأفعالهم، ويطمأن لأقوالهم، ويسير أهل الخير خلفهم، فيهدون ويهتدون؛ ولهذا لما كانت همهم ومطالبهم عالية، كان الجزاء من جنس العمل»^(٢).

أهم سمات ومقومات المربي القدوة:

إن المربي القدوة يجب أن يتحلى بأجل الصفات وأعظمها قدرًا عند الله،

(١) البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١).

(٢) السعدي: عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١ (١٤٢٠)، (ص ٦٨٨-٦٨٩).

حتى يصبح أهلاً لهذه المكانة السامية، وليصبح محل تأثير أبلغ في نفوس المتأسين والمقتدين به وينال الرفعة والمكانة العالية.

ومن أهم تلك الصفات ما يلي:

أولاً- الصلاح والتقوى:

– تعريف التقوى: قال الحافظ ابن رجب الحنبلي ^(١) **رحمته**: «أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه» ^(٢).

قال ابن القيم **رحمته** في التقوى: «حقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً أمراً ونهياً، فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالناهي وخوفاً من وعيده» ^(٣).

والتقوى من أجل وأعظم الصفات التي أمر الله تعالى بها أهل الإيمان على أن يتحلوا ويتصفوا بها، لما لها من عظيم الأثر في تطهير قلوبهم واستقامة نفوسهم

(١) ابن رجب (٧٣٦ - ٨٩٥ هـ) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، أبو الفرج، زين الدين، وجمال الدين أيضاً، ولد ببغداد، وتوفي بدمشق من علماء الحنابلة؛ كان محدثاً حافظاً فقيهاً أصولياً ومؤرخاً، أتقن فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل، وتتبع الطرق، تخرج به غالب أصحابه الحنابلة. من تصانيفه: تقرير القواعد وتحريير الفوائد. المشهور بقواعد ابن رجب في الفقه، وجامع العلوم والحكم. وهو شرح الأربعين النووية، وشرح سنن الترمذي، ومعه شرح العلل آخر أبوابه، وذيل طبقات الحنابلة.

الدرر الكامنة (٢/ ٢٢١)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٣٩)، ومعجم المؤلفين (٥/ ١١٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٥٨).

(٣) زاد المهاجر (١/ ١٠).

وصلاح أحوالهم، وهي من أهم وأسمى وأعظم وأجل مقاصد الشريعة الإسلامية، وعليها يدور مدار جميع التكاليف الشرعية في دين رب البرية. والتقوى رتبة من مراتب الإيمان العالية والغالية، ولأهلها عند الله درجة رفيعة ومكانة سامية، لا ينالها المؤمن إلا بالصبر والمصابرة ومجاهدة النفس على طاعة الله ومراقبته وخشيته، وأطرها على لزوم الأمر واجتناب النهي والتقرب إلى الله بما يحب ويرضى من جميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

— قال الإمام ابن كثير **رحمته الله**: «يقول تعالى أمرًا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا (قَوْلًا سَدِيدًا). أي: مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية. وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] وذلك أنه يجاز من نار الجحيم ويصير إلى النعيم المقيم»^(١).

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

ويبين ربنا تبارك وتعالى أن خير الزاد الذي ينفع العبد في الآخرة هو التقوى

(١) تفسير ابن كثير (ج ٣) (ص ٦٢٩).

فقال سبحانه: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَاتَّقُونَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١٧﴾
[البقرة: ١٩٧].

والتقوى في القرآن الكريم هي وصية الله ﷻ للأولين والآخرين، قال جلَّ وَعَلَا:
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ
أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

— قال الإمام الطبري رحمته الله في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، يقول: «ولقد أمرنا أهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل
«وإياكم»، يقول: وأمرناكم وقلنا لكم ولهم: «اتقوا الله»، يقول: احذروا الله أن
تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه»^(١).

ويبين ربنا تبارك وتعالى أن خير الزاد الذي ينفع العبد في الآخرة هو التقوى
فقال سبحانه: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَاتَّقُونَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١٧﴾
[البقرة: ١٩٧].

ولقد أمر الله تعالى عباده بالتقوى في مواضع شتى من كتابه المجيد، فقال
جلَّ وَعَلَا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ [آل
عمران: ١٠٢].

— قال ابن مسعود رحمته الله في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾: «أن يطاع فلا
يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسَى، وأن يُشكر فلا يُكفر».

— وعن ابن عباس رحمته الله في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال: «لم

تنسخ، ولكن ﴿حَقَّ تَقَاتِيهِ﴾ أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم».

وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «لا يتقي الله العبدُ حق تقاته حتى يخزن لسانه»^(١).

وقال الإمام الطبري رحمته الله: «يعني بذلك جل ثناؤه: يا معشر من صدق الله ورسوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه ﴿حَقَّ تَقَاتِيهِ﴾، حق خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويُشكر فلا يكفر، ويُذكر فلا ينسى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾، أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لربكم، مدعون له بالطاعة. مخلصون له الألوهية والعبادة»^(٢).

والتقوى وصية الله تعالى لا تقوى الخلق صلوات الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِغِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

ولعظم شأن التقوى: كان صلوات الله يسأل ربه ويتزلف إليه بأن يرزقه التقوى فيقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(٣).

فالله أمره بالتقوى فسألها، ولزمها، ودعا أمته لزومها، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلوات الله قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،

(١) تفسير ابن كثير (ج١) (ص ٤٧٦).

(٢) تفسير الطبري (ج٧) (ص ٦٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٢١).

وخالق الناس بخلق حسن»^(١)، ويقول ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس»^(٢).

وختامًا فإن التقوى من أجل وصايا الأنبياء ﷺ لأقوامهم:

* فهذا نوح ﷺ ينادي قومه: ﴿أَلَا نُنْفُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦].

* وهذا هود ﷺ يأمر قومه: ﴿أَلَا نُنْفُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٤].

* وهذا صالح ﷺ يوصي قومه: ﴿أَلَا نُنْفُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٢].

* وهذا لوط ﷺ يخوف قومه: ﴿أَلَا نُنْفُونَ﴾ [الشعراء: ١٦١].

* وهذا شعيب ﷺ يحذر قومه: ﴿أَلَا نُنْفُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٧].

* وهكذا كان شأن جميع الرسل في دعوتهم لأممهم، وعلى هذا سار الأمراء والمصلحون في كل زمان مع أتباعهم، جعلنا الله وإياكم من عباده المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والتقوى قاعدة من أهم قواعد هذا الدين وأساسه المتين الذي تقوم عليه شرائعه العظام وتوجيهاته وأخلاقه وآدابه الكبار، فيجب أن يكون المربي القدوة صالحًا في نفسه تقيًا لربه، فالتقوى تؤهله للقيادة والريادة، وأن يصبح قدوة حسنة يصلح أن يتأسى به العباد، ويكون قدوةصالحة يأتهم به الحاضر والباد.

كما هو شأن عباد الرحمن في دعائهم: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

— قال قتادة: «أي: قادة في الخير، ودعاة هدى يؤتم بنا في الخير»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث (رقم: ٩٣).

(٣) فتح الباري (٢٥١ / ١٣).

ولذا يقول الحق جل في علاه: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ثمار التقوى:

وللتقوى ثمار عظيمة، من أهمها وأجلّها:

- ١- حصول الهدى، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢].
- ٢- معية الله ونصرته للمتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨].
- ٣- تحقيق الولاية للمتقين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٩].
- ٤- نيل المغفرة والمراتب العالية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].
- ٥- المخرج من كل ضيق، وسعة الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].
- ٦- تيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٤].
- ٧- عظم الأجور، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق: ٥].
- ٨- قبول جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].
- ٩- نيل الفلاح، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

١٠- نيل البشري، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) لَهُمْ

الْبُشْرَى ﴿ [يونس: ٦٣-٦٤].

١١- الفوز بجنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (٣٤)

[القلم: ٣٤].

١٢- النجاة من النار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [مريم: ٧٢].

١٣- نيل العلم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

١٤- نيل الكرامة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي هذا كفاية لمن أراد الانطلاق والبداية.

ثانياً - الإخلاص لله في القول والعمل:

تعريف الإخلاص:

- قال ابن القيم رحمته: «فإن الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود»^(١).

- قال الشنقيطي: «إفراد المعبود بالقصد في كل ما أمر بالتقرب به إليه»^(٢).

يا مبتغي الحمد والثواب في عملٍ تبغني محالاً

قد خيب الله ذارياً وأبطل السعي والكلالاً

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم (٢/ ١٨٢)، دار النشر: دار الجيل، بيروت.

(٢) تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

(٢) أضواء البيان (٦/ ٣٥٢).

من كان يرجو لقاء ربه أخلص من أجله الفعالاً
الخلد والنار في يديه فرائه يعطك النوالاً^(١).

يقول أبو محمد سهل بن عبد الله التستري^(٢): «نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركاته وسكناته في سره وعلانيته لله تعالى وحده، لا يمازجه شيء لا هوى ولا نفس، ولا دنيا»^(٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ

وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «مخلصين له الدين، أي: مخلصين له العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾» [الزمر: ١١]، وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره»^(٤).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي (٤/٤٨٣)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٢) سهل التستري (٢٠٠ - ٢٨٣ هـ، ٨١٥ - ٨٩٦ م) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، ولد في تستر قرب شيراز في بلاد خوزستان. كان أحد أئمة الصوفية في عصره. له أقوال في تفسير بعض الآيات جمعها أبو بكر محمد البلدي في كتاب ونسبها إليه وعرف هذا الكتاب بتفسير التستري. توفي في البصرة. الموسوعة العربية العالمية.

(٣) المجموع شرح المذهب (١/١٧).

(٤) تفسير القرطبي (٢٠/١٤٤).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

– قال الفضيل بن عياض: «هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة^(١)، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].»

يقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «إنك لن تُخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة»^(٢).

يقول ابن القيم رحمته الله: «لو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم الله المنافقين»^(٣).

ويقول ابن الجوزي: «فمن أصلح سريره فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في إصلاح السرائر؛ فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر»^(٤).

ومن أجلّ علامات الإخلاص:

١- أن يستوي المدح والذم عند العبد.

٢- وأن يقصد بعمله وجه الله والدار الآخرة.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح، والشأن والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار، والضرب والحوت،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢/ ١٢٥٠ ح ١٦٢٨).

(٣) ابن القيم، الفوائد (ص ٦٥).

(٤) صيد الخاطر (ص ٢٨٧).

فإذا حدثتكَ نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص»^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإن المخلص ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره؛ إذ ليس عند القلب أحلى ولا أنعم من حلاوة الإيمان بالله رب العالمين»^(٢).

ويقول ابن رجب رحمته الله: «ما ينظر المرآة إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق»^(٣).

ويقول ابن القيم رحمته الله: «أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبعٌ ومكملة، وإن النية بمنزلة الرُّوح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فارق الروح فموات، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح»^(٤).

وكلما كان العمل لوجه خالصاً لله، بعيداً عن حظوظ النفس ومشتهاياتها، كان صاحبه للتوفيق أقرب وللقبول أحرى، فعلى قدر إخلاص المرابي (القدوة) في أداء رسالته ومهمته التربوية، يكون التأثير والتأسي به أدعى في نفوس الناشئة وأقوى والاستجابة له أبلغ وأسرع.

ويقول ابن القيم رحمته الله: «وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته يكون

(١) موارد الظمان (١/ ١١٢).

(٢) ابن تيمية الفتاوى (١٠/ ٢١٥).

(٣) ابن رجب كلمة الإخلاص (ص ٣١).

(٤) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤).

توفيق الله له وإعانتة، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر همهم»^(١).

وقال الربيع بن خثيم^(٢): «كل ما لا يراد به وجه الله يضمنحل»^(٣).

ثالثاً: الاستقامة على دين الله:

تعريف الاستقامة:

الاستقامة هي: «سلوك الطريق المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمّنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطّاعات كلّها الظّاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلّها كذلك»^(٤).

«وسئل صديق الأمة أبو بكر^(٥) رضي الله عنه عن الاستقامة، فقال: «ألا تشرك بالله

(١) الفوائد (ص ١٨١).

(٢) الربيع بن خثيم بن عائذ الإمام القدوة العابد أبو يزيد الثوري الكوفي، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه، وروى عن عبد الله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وعمرو بن ميمون، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن حدّث عنه الشعبي، وإبراهيم النخعي، وهلال بن يساف، ومنذر الثوري، وهبيرة بن خزيمة، وآخرون، وكان يعد من عقلاء الرجال، روى عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: كان الربيع بن خثيم إذا دخل على ابن مسعود لم يكن له إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه فقال له ابن مسعود: يا أبا يزيد، لو رأيك رسول الله لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين، فهذه منقبة عظيمة للربيع - توفي سنة (٦٥هـ) - الموسوعة الحرة، وينظر: وفيات الأعيان، والبداية والنهاية، وسير أعلام النبلاء.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٩).

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ١٩٣).

(٥) أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٥١هـ - ١٣هـ) هو: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر. من تيم قريش. أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ. من أعظم الرجال، وخير هذه الأمة بعد نبيها. ولد بمكة، ونشأ في قريش سيّداً، موسراً، عالماً بأنساب =

شيئاً. يريد الاستقامة على محض التوحيد»^(١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ألا تشرك بالله شيئاً، ولا تروغ روغان الثعالب»^(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]: «استقاموا على أداء الفرائض»، وقال أيضاً: «أخلصوا له الدين والعمل»، وقال أيضاً: «استقاموا على طاعة الله»^(٣).

أمر الله تعالى عباده بالاستقامة، وبين لهم عواقبها الحميدة، فقال جل في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

=القبائل حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، أسلم بدعوته كثير من السابقين. صحب رسول الله ﷺ في هجرته، وكان له معه المواقف المشهورة. ولي الخلافة بمبايعة الصحابة له. فحارب المرتدين، ورسخ قواعد الإسلام. وجه الجيوش إلى الشام والعراق ففتح قسم منها في أيامه.

الإصابة، ومنهاج السنة (٣/١١٨)، و«أبو بكر الصديق» للشيخ علي الطنطاوي.

(١) مدارج السالكين (٢/١٠)، وبصائر ذوي التمييز (٤/٣١٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/١٠٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٩٢).

﴿أَسْتَقِمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]: أي: أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم^(١).

وقال الإمام الطبري رحمته الله: «يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [فصلت: ٣٠] وحده لا شريك له، ﴿ثُمَّ اسْتَقِمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى^(٢)، ولعظم شأنها يأمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].»

قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد، ونهى عن الطغيان وهو البغي، فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك، وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء^(٣).»
- وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رحمته الله قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم^(٤)».

ويقول ابن القيم رحمته الله:

«فلاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على

(١) تفسير ابن كثير (٤/١٢٠) (ص ١٢٠).

(٢) تفسير الطبري (ج ١) (ص ٤٦٣).

(٣) تفسير ابن كثير (ج ٢) (ص ٥٦١).

(٤) صحيح مسلم (١/٢٢)، ومسنند أحمد (٣/٤١٣).

حقيقة الصّدق والوفاء»^(١).

ويقول **رحمته** أيضاً: «سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة»^(٢).

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي **رحمته**: «أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد.. فمتى استقام القلب على معرفة الله وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحَبَّته وإرادته، ورجائه ودعائه والتوكُّل عليه والإعراض عمَّا سواه - استقامت الجوارح كلّها على طاعته، فإنَّ القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده؛ فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح: اللسان؛ فإنَّه ترجمان القلب والمعبر عنه»^(٣).

وإن مجاهدة المربي القدوة نفسه في إصلاحها وسياستها وتقويمها وحملها على الاستقامة والسير بها على الصراط المستقيم، وأطرها على الحق أطراً، وإلزامها أمر الله، له أبلغ الأثر وداعي التأسّي به واتخاذة قدوة صالحة.

رابعاً: حسن الخلق:

تعريف حسن الخلق:

عرّفه مسكويه^(٤) بأنه: «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة»، قال: «وهذه الحال منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، ومنها ما يكون

(١) ينظر: تهذيب مدارج السّالّكين (ص ٥٢٩).

(٢) ينظر: مدارج السّالّكين (١٠٣/٢)، وينظر: تهذيبه (ص ٥٢٩).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم (١٩٣) بتصرّف يسير.

(٤) هو: أحمد بن محمد بن يعقوب اشتغل بالفلسفة والمنطق، أصله من الري توفي سنة (٤٢١هـ). الأعلام (ج١) (ص ٢١١).

مستفادًا بالعادة والتدريب»^(١).

وعرفه الغزالي فقال: «الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً»^(٢).

وعرفه ابن منظور فقال: «والخُلُق: بضم اللام وسكونها، وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخُلُق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلّقان بأوصاف الصورة الظاهرة؛ ولهذا تكرّرت الأحاديث في مدح حُسن الخُلُق في غير موضع»^(٣).

فإن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصدّيقين والصالحين، بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، وقد خصّ الله **جَلَّ وَعَلَا** نبيه محمداً ﷺ بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب، فقال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم: ٤].

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تأليف: ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، دراسة وتحقيق: عماد الهلالي، الناشر: طليعة النور، الطبعة: الأولى (١٤٢٦هـ) (ص ٤١).

(٢) الغزالي إحياء علوم الدين (٣/٥٣) دار المعرفة، بيروت (١٤٠٢هـ).

(٣) لسان العرب. ابن منظور (١٠: ٨٦، ٨٧)، دار صادر - بيروت.

قال الإمام الطبري: «يقول - تعالى ذِكره - لنبِيِّه مُحَمَّد ﷺ: وإنك يا محمد، لعلِّي أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدَّبَه به، وهو الإسلام وشرائعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»، ثم نقل عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك قولهم في تفسير: ﴿خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ [٤: ٤]؛ أي: دين عظيم، وهو الإسلام^(١).

- وقال الماوردي^(٢): «أي: إنك على طَبَعِ كَرِيمٍ»^(٣).

وحُسْنُ الخُلُقِ هو التخلق بالأخلاق العظام، والتأدب بآداب الإسلام التي أدَّبَ اللهُ بها عباده الكرام، كما جاء وصفهم في كتاب ربنا العلام، وفي سنة رسولنا ﷺ سيد الأنام.

(١) تفسير الطبري (٢٩: ٢٤، ٢٥)، وينظر: تفسير القرطبي (١٨: ٢٧٧).

(٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف، حدَّث عن الحسن بن علي الجبلي صاحب أبي خليفة الجمحي، وعن محمد بن عدي المنقري، ومحمد بن معلّى، وجعفر بن محمد بن الفضل. وحدث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه، وقال: مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة وقد بلغ ستاً وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد. سير أعلام النبلاء (ص: ١٨/٦٥).

عقيدته:

جاء في كتاب: القول المختصر المبين في مناهج المفسرين للنجدي: مؤول أشعري، شحن كتابه بالتأويل، ويختار في بعض المواضع من كتابه قول المعتزلة، وما بنوه على أصولهم الفاسدة، ويوافقهم في القدر؛ ولذا قال عنه الذهبي في «الميزان»: «صدوق في نفسه، لكنه معتزلي» انتهى. (ص ١٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٨: ٢٢٧).

قال ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(١).

«قال العلماء: البرّ يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق»^(٢).

قال ابن دقيق العيد: «قوله ﷺ: «البرُّ حسن الخلق»، يعني: أن حسن الخلق أعظم خصال البر كما قال ﷺ: «الحج عرفة»^(٣) انتهى.

فكما أن الوقوف بعرفة أعظم أركان الحج، فكذلك حسن الخلق أعظم خصال البر.

أما البر:

فهو الذي يبرّ فاعله ويلحقه بالأبرار، وهم المطيعون لله ﷻ، والمراد بحسن الخلق: الإنصاف في المعاملة والرفق في المحاولة والعدل في الأحكام والبذل في الإحسان»^(٤)، قال ابن رسلان^(٥): «الخلق: عبارة عن أوصاف الإنسان التي

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٠) (برقم: ٢٥٥٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/١١١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ).

(٣) أخرجه الترمذي (٣/٢٣٧) (برقم: ٨٨٩)، وسنن ابن ماجه (٢/١٠٠٣) (برقم: ٣٠١٥)، قال الألباني: صحيح. ينظر: حديث (رقم: ٣١٧٢) في صحيح الجامع.

(٤) شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد (١/٧١).

(٥) ابن رسلان، أو ابن أرسلان (٧٧٥هـ - ٨٤٤هـ) أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان المقدسي، الشافعي، أبو العباس شهاب الدين الرملي، ولد برملة فلسطين سنة (٧٧٥هـ)، وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها سنة (٨٤٤هـ). وكان زاهداً متهجداً، =

يُعامل بها غيره»^(١).

وقال أبو عثمان الجاحظ^(٢): «إِنَّ الخُلُقَ: هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعًا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعلم، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة»^(٢).

وهذه المعاني في حقيقتها لا تُخالِف الوضِع اللُّغوي لكلمة الخُلُق، وإن صُبِغت بمعنى شرعي حين يعبرُ حُسْن الخُلُق عن الالتزام بالآداب الشرعية الصادرة عن الأحكام القرآنية والتعاليم النبوية خاصة.

يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

هذه آية عامة في الحض على مكارم الأخلاق والحث عليها مع عموم البشر، فينبغي للمربي القدوة أن يكون قوله للناس جميعًا حسنًا لينًا، وأن يكون منبسط الوجه منطلق المحيّا، فحين يتمثل أخلاق الإسلام في تعامله، فإنه أدعى لمحبهته والسعي في تحقيق التأسّي والافتداء به مع من يأمل فيهم التأسّي والافتداء به،

=من تصانيفه: شرح سنن أبي داود، والبخاري، وعلّق على الشفا، وشرح مختصر ابن الحاجب. يظهر أنه كان أشعري العقيدة، صوفي المنهج والسلوك، (الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها).

وينظر ترجمته في: شذرات الذهب (٣٦٢/٩)، طبعة دار ابن كثير، والبدر الطالع (٤٩/١) طبعة دار المعرفة، والأعلام للزركلي (١١٧/١).

(١) عون المعبود. العظيم آبادي (١٢: ٣٤٣) دار الفكر - بيروت.

(٢) تهذيب الأخلاق (ص ١٢).

وهذه السمة الحسنة يجب أن تتجلى بوضوح في علاقة المربي القدوة في تعامله مع الناس جميعاً.

خامساً - وجوب موافقة القول بالعمل، وذم من خالف قوله فعله :

لقد تظاهرت دلائل التنزيل (الكتاب والسنة). على ذم من خالف قوله فعله؛ لأن ذلك فيه دلالة على ضعف إيمان صاحبه، وقد يؤدي به إلى النفاق، عياداً بالله تعالى من ذلك، وقد جبلت نفوس أهل الإيمان على محبة وقبول من وافق قوله فعله والنفور ممن خالف قوله فعله، ولذا فيجب وجوباً حتمياً على كل مصلح وداعٍ ومُربٍّ حريص على أن يكون قدوة حسنة يُتأسى ويُقتدى به، أن يحرص كل الحرص على موافقة القول بالعمل، حتى يكون داعياً بحاله قبل مقاله.

وهذا يلزمه أن تأتي أعماله موافقة لأقواله؛ لأن هذه السمة الحسنة تكسب المربي والمصلح والداعي والقدوة ثقة وقناعة وإجلالاً وتقديراً في نفوس المدعوين، فيتأسون بما يقول ويقتدون بما يعمل، كما يندرج تحت هذه السمة العظيمة أن تكون الأقوال الموافقة للأعمال مستمدة من شرع الله، قال

الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢-٣].

قال الإمام الطبري: «إن الله - تعالى - قد ذم بني إسرائيل على عدم إتيان العلم العمل؛ فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنُونَ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾ [البقرة: ٤٤]، فإنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ويتقوا وهم يعصونه، فعيرهم الله تعالى»^(١).

(١) جاء ذلك عن السُّدِّيِّ وقتادة - رحمهما الله تعالى - كما في «تفسير الطبري» (١/ ٢٥٨).

وفي آيةٍ أخرى أخبر الله عنهم بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُمَنَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا
يَشْتُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال مالك بن مغول^(١) - رحمه الله تعالى: «تركوا العمل به»^(٢).

وفي قول الله تعالى: ﴿نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿سُئِلَ الْقَاءَ

يَوْمَهُمْ هَذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، وقوله ﴿كَلَّا﴾: ﴿سُئِلَ الذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].

- قال المفسرون: «تَرَكَوا العمل به، فصاروا كالتَّاسِين»^(٣).

وإنَّ المتأمل في سير الأنبياء الكرام ﷺ وهم رؤوس المِصْلِحِينَ وقِدْوَاتِ
الْأَنَامِ، يرى أفعالهم تُوافِقُها أقوالهم، حتَّى إنَّ المكذِّبِينَ بهم من أقوامهم لم
يَرْمُوهم بمخالفة أفعالهم أقوالهم مع حاجتهم لمثل هذه التُّهْمَة في صَرَفِ النَّاسِ
عن دَعْوَتِهِمْ وتصديقهم والإيمان بهم، لكنهم لم يَفْعَلُوا ذلك؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ النَّاسِ
لا يَصَدِّقُونَهُمْ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْكُذْبِ الظَّاهِرِ، ومن الأنبياء مَنْ صرَّحَ بذلك كما فَعَلَ
شُعَيْبُ الْكَلْبَلِيُّ حين وَعَظَ قَوْمَهُ، فبيَّن لهم أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَمِثِّلُ ما يدعُوهم إليه، حين
ذَكَرَ اللهُ - تعالى - من خبره مع قومه أنه قال: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا

(١) مالك بن مغول بن عاصم بن غزية بن خرشة، الإمام، الثقة، المحدث أبو عبد الله
البحلي، الكوفي، قال أحمد: ثقة، ثبت في الحديث، وقال ابن معين وأبو حاتم وجماعة:
ثقة، وقال العجلي: رجل صالح مبرز في الفضل، وقال أحمد: سمعت ابن عيينة يقول:
قال رجل لمالك بن مغول: اتق الله. فوضع خده بالأرض، توفي سنة (١٥٩هـ)، قلت:
كان من سادة العلماء، سير أعلام النبلاء (ص: ١٧٤، ١٧٥/٧).

(٢) فتح المغيث (٢/٣٥٩).

(٣) تفسير القرطبي (٧/٢١٧)، و(١١/١٣)، و(١٨٩/١٥)، وتفسير ابن كثير (٢/٢٢١).

أَنهَلِكُمْ عَنْهُ إِن آُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴿ [هود: ٨٨].

فموافقة القول العمل فيها تأسُّ بالأنبياء ﷺ.

وأنشد بعضهم:

يا واعظ النَّاسِ قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها (١).
يقول الإمام أحمد - رحمه الله تعالى: «ما كتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به» (٢).

ويقول سفيان الثوري - رحمه الله تعالى: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجب وإلا ارتحل» (٣).

يقول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿ [البقرة: ٤٤].

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴿ [البقرة:

٤٤]، «اعلم وفقك الله تعالى أن التوبيح في الآية بسبب ترك فعل البر، لا بسبب

(١) إحياء علوم الدين (١/٦٣)، والأبيات لأبي العتاهية.

(٢) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٤).

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٨١٣) وجاء مثله عن ابن المنكدر في اقتضاء

العلم العمل (٤١).

الأمرِ بِالْبِرِّ»^(١).

الوعيد الشديد لمن خالف قوله فعله :

١- فصاحبه متوعّد بمقت الله تعالى و غضبه و سخطه كما في قوله سبحانه:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَآ تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَآ

تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣،٢].

٢- ومُتَوَعَّدٌ بالعذاب في النَّارِ، كما في قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ

مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى: «يَجِبُ عَلَى الْمَذْكَرِ - بِالْكَسْرِ - وَالْمَذْكَرُ -

بِالْفَتْحِ - أَنْ يَعْمَلَ بِمُقْتَضَى التَّذْكَرَةِ، وَأَنْ يَتَحَفَّظَ عَنْ عَدَمِ الْمَبَالَاةِ بِهَا؛ لِئَلَّا يَكُونَ

حِمَارِينَ مِنْ حُمْرِ جَهَنَّمَ»^(٢).

٣- وعذابه في النَّارِ يكون بطريقةٍ بَشِعةٍ منفرةٍ، جاء تصويرُها في حديث أسامة

ابن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ،

فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيُدَوِّرُ كَمَا يَدَوِّرُ الْحِمَارُ بَرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ

فيقولون: أَيُّ فُلَانٍ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟

قال: كُنْتُ أَمْرَكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»^(٣).

٤- ومتوعّدٌ بقرض شفّيته بمقاريضٍ من نارٍ لما ثبت من حديث أنس بن مالك

(١) انتهى من تفسير القرطبي (١/٣٦٦).

(٢) أضواء البيان (١/٤٦٣).

(٣) رواه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (٢٩٨٩).

جاء عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي رَجَالًا تُقْرَضُ شَفَاهِمَهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مَنْ أَمَّتْكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسُونَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ»^(١).

وهذا العذاب لا يخص الخطباء فحسب؛ بل يعم كل أمرٍ وناهٍ يخالف قوله فعله، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو معلوم في علم الأصول.

وما أحسن قول أبي الأسود الدؤلي:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرَهُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي
وَتَرَكَ تُصَلِّحُ بِالرِّشَادِ عَقُولَنَا
فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَاجِ عَنْ غِيَّهَا
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُهْتَدَى
لَا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ

هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
الضَّنَى كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ
فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمِ
عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(٢).

(١) رواه ابن أبي شيبة (٤٤٦/٨)، وأحمد (١٢٠/٣)، وعبد بن حميد (١٢٢٢) وحسنه البغوي في شرح السنة (٤١٥٩)، والألباني في صحيح الجامع (١٢٩)، مقال مقتبس من شبكة الألوكة، موافقة قول الخطيب عمله، الشيخ د. إبراهيم بن محمد الحقييل، تاريخ الإضافة: (١٨/١٠/١٤٣١هـ - ٢٧/٩/٢٠١٠م) بتصرف.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: هو: ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني (١٦ق. هـ - ٦٩هـ)، من سادات التابعين وأعيانهم وفقهائهم وشعرائهم ومحدثيهم، ومن الدهاة حاضري الجواب، وهو كذلك نحوي عالم وضع علم النحو في اللغة العربية، وشكل أحرف المصحف، وضع النقاط على الأحرف العربية، وُلِدَ قبل بعثة النبي محمد ﷺ

سادساً - القدوة شخصيته مستقلة :

إن المربي (القدوة) بحكم اعتصامه بالله وتدينه، له شخصية مستقلة لا تقبل التبعية لكل ناعق، فهي شخصية مستقلة لها مصدر تلقى قوي ومتين؛ ألا وهو دين رب العالمين، وإن هذا الدين هو مصدر قوتها وعزتها وثقتها وثباتها، لذا فهي تؤثر ولا تتأثر وتقود ولا تنقاد، وكذلك لا تميل لأهل الأهواء ولا تتبع أحداً من السفهاء، ولا تقبل أن تكون إمعة أبداً فتقلد غيرها تقليداً أعمى لا يرضاه رب الأرض والسماء.

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين ^(١) **رحمته الله**: «الواجب على المسلم أن يعتز بدينه

وأمن به لكنه لم يره فهو معدود في طبقات التابعين، وصَحِب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي ولَّاه إمارة البصرة في خلافته، وشهد معه وقعة صفين والجمل ومحاربة الخوارج. ويُلقب بلقب: ملك النحو، لوضعه علم النحو. أصيب آخر حياته = بمرض الفالج الذي سبب له العرج، وتوفي في طاعون الجارف في البصرة سنة (٦٩ هـ / ٦٨٨ م) في خلافة عبد الملك بن مروان وله من العمر (٨٥) سنة.

اللباب (١/ ٤٣٠)، والإصابة (٢/ ٢٣٣)، وأنباء الرواة (١/ ٥٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر - حرف الظاء، وسير أعلام النبلاء (ص ٨٣، ٨٤، ٨٥)، وروضات الجنات (٤/ ٢)، وهجة الآمال (١/ ٥)، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٤٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (ج ٥/ ٦)، وفهرست ابن النديم (٤٦)، والعقد الفريد (٤/ ٣٤)، ومرآة الجنان (١/ ٢٠٦)، ووفيات الأعيان (١/ ٥٣٥)، ورسالة الغفران (٤٠٠).

(١) العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين التميمي: مولده (٢٧ رمضان ١٣٤٧ هـ)

(٢٩ مارس ١٩٢٩ م)، وفاته (١٥ شوال عام ١٤٢١ هـ) (١١ يناير ٢٠٠١ م) هو:

أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهبي:

مولده: ولد في ليلة (٢٧ رمضان عام ١٣٤٧ هـ)، في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم

وفتخر به، وأن يقتصر على ما حده الله تعالى ورسوله ﷺ في هذا الدين القيم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، فلا يزيد فيه ولا ينقص منه، والذي ينبغي للمسلم أيضًا ألا يكون إمعةً يتبع كل ناعق؛ بل ينبغي أن يُكوّن شخصيته بمقتضى شريعة الله تعالى حتى يكون متبوعًا لا تابعًا، وحتى يكون أسوة لا متأسيًا، لأن شريعة الله

بالمملكة العربية السعودية. جده عثمان اشتهر بعثيمين فصارت الأسرة تنسب لهذا الجد، وهو الجد الرابع. آل عثيمين هم من آل مقبل، من آل زاخر، - البطن الثاني من الوهبة من قبيلة بني تميم - نسبة إلى (محمد بن علوي بن وهيب)، ومحمد هذا هو = الجد الجامع لبطن الوهبة جميعًا: قال عنه شيخ الإسلام الألباني: «أنا الحقيقة معجب بسمت الشيخ ولطفه وأدبه إلى خروجه عن التقليد الذي ران على جماهير العلماء في كل البلاد ما استطاع إلى ذلك سبيلًا»، وقال أيضًا: «خلت الأرض من عالم، وأصبحت لا أعرف منهم إلا أفرادًا قليلين، أخص بالذكر منهم: العلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة محمد بن صالح بن عثيمين».

تأثر بابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وابن سعدي، وابن باز، وتأثر به خلق كثير، منهم: سالم الطويل، وعثمان الخميس، وعبد الله السلمي، ومحمد صالح المنجد. وممن تأثر به: الباحث، كاتب هذا البحث وجامعه، فقد لازم دروسه في الحرم المكي وفي الرياض عقدين من الزمن.

وفاته قبيل مغرب يوم الأربعاء (١٥ شوال سنة ١٤٢١ هـ) بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال (سنة ١٤٢١ هـ)، ودفن بمكة المكرمة.

وينظر: كتاب شرح ثلاثة الأصول، لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر بن ابراهيم السليمان.

ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين - المجلد الثاني - باب الكفر والتكفير - الموسوعة الحرة.

-والحمد لله- كاملة من جميع الوجوه كما قال الله تعالى: ﴿أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]»^(١).

سابعاً - المعرفة بوسائل التأثير في المجتمع:

لا بدّ للقدوة أن يكون صاحب بصيرة نافذة ونظر ثاقب لمواضع التأثير في المجتمع، فيكون واسع الثقافة، لديه قدرة وبصر على مواضع التأثير في الناس وهذا يتطلب منه معرفة عادات الناس مع اختلاف عقولهم وفهومهم وثقافتهم وحالاتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية مع اختلاف بلدانهم وقبائلهم وأعمارهم وأحوالهم، فيتعامل مع كل أفراد هذه الفئات كل بما يناسبه، وله -في ذلك كله- في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

ثامناً - الاعتدال والتوسط في شؤونه كلها:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] نقل البغوي في تفسيره عن الكلبي أنه قال: ﴿وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: «يعني: أهل دين وسط، بين الغلو والتقصير، لأنهما مذمومان في الدين»^(٢)، وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «والوسط ها هنا الخيار والأجود»^(٣).

فكذلك (القدوة) مقتصد في كل شؤون معاشه ومعاده، مهتدياً بهدئ الإسلام،

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢/٣٠١).

(٢) تفسير البغوي (١/١٢٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٨١) بتصرف. مسلم المحمادي (ديسمبر ٢٠١٣)، التربية بالقدوة الحسنة - بتصرف.

متبعًا ومقتفيًا لأثر سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، متبعًا لهديه في العبادات والمعاملات، ومتأسياً به في كل الحالات، ويظهر ذلك في علاقاته الاجتماعية وآدابه الشرعية، في مظهره ومخبره، في مطعمه ومشربه وملبسه، وفي جميع سمته وهديه ودله، فهو معتدل لا يأتي بالغرائب ولا بالمتناقضات، فهو معتدل في شؤونه كلها، فتراه عدلاً خياراً في العبادات والعادات والمعاملات، فلا تؤخذ عليه الهنات ولا الزلات.

ولا شك أن هذا الاعتدال مصدر تأثير يجعل القدوة محل تقدير وإجلال وإكبار ويأخذ بالقلوب إليه، وتتأسى به الأنام.

ويُستخلص من هذا المبحث المهم أن التربية بالقدوة من أعظم وأجلّ أساليب التربية.

وأن من أجلّ آثارها وأظهرها ما يلي:

*** انشراح الصدر وطمأنينة النفس:** فالإقتداء بالصالحين سبب من أهم أسباب يقظة القلب وانتباهه من غفلته، ويتأتى ذلك من خلال التأثير بما يراه من سلوك حميد وصفات وعبادات ومعاملات وأحوال، وهذا ولا شك يدفع المتأسى على الإقبال على العمل الصالح بانشراح صدر وطمأنينة نفس.

*** القناعة الذاتية لما يدعو إليه القدوة:** إن محبة القدوة الحسنة في قلوب الناس وارتياحهم له وثقتهم فيه له أبلغ الأثر في غرس القناعة الذاتية في نفوسهم وقبول ما يدعو إليه، وتلك القناعة إنما هي ناشئة عن أمرين جليلين: هما الثقة والمحبة.

*** ترغيب المدعوين في الإقبال على الطاعة:** إن حرص المدعوين على التأسى

بالقدوة الحسنة له أبلغ الدوافع في إقبالهم على الباقيات الصالحات والحرص على طاعة رب البريات والنفور من سائر المعاصي والموبقات.

*** تربي في المدعوين مكارم الأخلاق:** إن ما يتمثله القدوة الحسنة من مكارم الأخلاق، له أبلغ الأثر في التربية على محاسن تلك الأخلاق والتأسي بها بدافع التقليد والتأثر اللا إرادي.

*** تحقق القدوة أعظم مطلوب وأفضل مرغوب:**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٦] (١).

وفي هاتين الآيتين الكريمتين بيان لفضل التأسي بالنبي ﷺ وعظم شأنه واتباع سنته.

التحذير من القدوة السيئة:

القدوة السيئة خطر التأثير وسبل المواجهة:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَآ تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ

(١) الزيبي، أحمد بن علي بن عمر، المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير - غير منشورة، جامعة أم القرى - كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة (١٤٢٥) (ص ١٢٧)، بحث غير منشور، المكتبة المركزية - مكة المكرمة - بتصرف.

﴿ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ [الصف: ٢-٣].

– يقول ابن سعدي في تفسير هذه الآية: «لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به»^(١)، وهذا يدل على التحذير من مخالفة القول الفعل خاصة في حق المرابين والدعاة لأن ذلك يؤدي إلى سلب الثقة منهم وتصبح أقوالهم غير مؤثرة في السامعين.

أولاً: دور القدوة السيئة في توجيه الناشئة إلى الفساد:

الإنسان مخلوق اجتماعي، منفعل ببيئته، متأثر بها ومؤثر فيها، ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه يمكنه العيش في مجتمع فاسد أو بين أناس فاسدين دون أن يتأثر بهم بنحو من التأثير، فقد ورد في القرآن الكريم، على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٢٧﴾ يُولَيْتَنِي لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الانحراف الذي أصاب سلوك هذا الظالم تأتي من مرافقته لخليل استطاع أن يضله بالرغم من معرفته بكلام الله (الذكر). وبدعوة الرسول ﷺ.

وقد أكدت الدراسات التربوية الحديثة على خطورة النمذجة كعنصر مؤثر وفعال في تشكيل سلوك الأولاد والناشئة.

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق (ج١) (ص ٥١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (١).

فالقريّن يمكنه التأثير في قرينه، خاصة إذا كان بمثابة القدوة، ويكون ذلك عن طريق:

١- الإغواء الفكريّ: يتأثر الإنسان عموماً بأفكار من يرافقه، كما مرّ في الحديث السابق، وللقريّن، المقارب في العمر تأثير مضاعف، يقول تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتَيْتُكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّظَلِّعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات: ٥١-٥٥].

٢- الإغواء النفسي والعاطفي: ثمة طريق آخر للإغواء وهو الإغواء عبر التأثير في العواطف، يقول تعالى: ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرِيضُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥]، ويتم ذلك عبر التزيين، والإغواء النفسي والعاطفي، بإظهار الأمور على غير حقيقتها، بطريقة تميل إليها النفس وتهواها.

٣- الإغواء السلوكيّ: يتأثر الإنسان، من حيث يدري أو لا يدري، بسلوك مَنْ يعاشر، ويتعاضم الإغواء السلوكيّ عندما يندمج الإنسان في جماعة، تمارس سلوكاً سيئاً.

ومن أظهر الأدلة على ذلك التماهي في الضحك لمجرد رؤية مجموعة

تضحك، وحتى من غير معرفة السبب؛ وكذلك البكاء أو الصراخ أو الهتاف..
لذا شددت وصايا الصلحاء على عدم مصاحبة المنحرفين عن جادة الصواب.

ثانياً: عناصر الجذب في القدوة السيئة:

قد يتساءل بعضنا عن كيفية انجذاب بعض الشباب إلى رفاق السوء بالرغم من معرفتهم بانحرافهم؛ والجواب يكمن في عناصر الجذب.
فقد أثبتت الدراسات أن هناك عناصر جذب تضع بعض الأشخاص في موقع جذب للآخرين، فينقادون إلى تقليدهم طوعاً أو كرهاً بحسب الموقف.

وأهم عناصر الجذب هذه ثلاثة:

١- الشهرة أو ما يُسمى بـ (النجومية):

فالناس عامة، والصغار خاصة، ينجذبون بشكل غير إرادي إلى مَنْ تُسَلِّط عليهم الأضواء ويحاولون تقليدهم في كل شيء حتى في طريقة اللبس ونوع الطعام وما شابه ذلك.

ويُستعمل حالياً هذا النوع من الجذب في الإعلانات عن السلع لترويجها عبر إظهار بعض المشاهير يرتدونها أو يستقلونها أو يستعملونها... (بحسب السلعة).

٢- الاقتدار والسلطة:

ينجذب الناس عموماً، والصغار منهم خصوصاً، إلى من هم في موقع السلطة أو الاقتدار المالي، وذلك لنيل رضاهم، إمّا رغبة أو رهبة.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [١٧] الأحزاب:

٣ - الإيحاء بالظلمية:

ثمة عنصر جذب آخر يجعل بعض الأبناء، والشباب منهم خاصة، يتأثرون ببعض رفاق السوء، وهو الإحساس بمظلوميّتهم، ويقوى تأثير هؤلاء إذا كانوا من الذين لديهم ميول اجتماعية ويقدمون الخدمات للرفاق.

ثالثاً: أسباب وقوع الخطأ في تحديد القدوة:

بالرغم من قدرة النفس البشريّة على التمييز بين الخير والشر بحسب الخلقة،

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨].

إلا أن الكثير من الناس معرضون للوقوع في الخطأ في مجال تحديد القدوة.

ويعود ذلك لأسباب؛ من أهمها وأبرزها أربعة أسباب:

١ - فساد أحد الوالدين أو كليهما:

يتماهى الأولاد، خاصّة في مرحلة الطفولة، في سلوك والديهم، حيث يعتبر كل طفل أبويه هما نموذج الأعلّى.

٢ - الفراغ العاطفي والروحيّ:

قد يكون الوالدان جيدين ولكنهما منشغلان وغير ملمّين بأصول التربية ومستلزماتها فينهمكان في تأمين حاجات أولادهما الماديّة (مأكل - مشرب - ملابس - طبابة..).

متناسين حاجاتهم الروحيّة والنفسية ما يجعل الأولاد يفتشون عن مصدر آخر للتفهم والتعاطف والتواصل؛ ولكنهم غالباً ما يخطئون الاختيار.

٣ - اختلال منظومة القيم:

إنّ انفتاح المجتمعات التي تحمل ثقافات مختلفة بعضها مع بعض، من

خلال الفضائيات وتكنولوجيا الاتصالات، وغياب المنظومة الفكرية المتينة التي تربط الأحكام الفقهية بأسسها العقائدية والأخلاقية لدى المؤمنين، أدّى إلى اختلال كبير في منظومة القيم في المجتمعات الدينية وغير الدينية على حدّ سواء. الأمر الذي جعل الكثير من الشباب يخطئون في تحديد النموذج القدوة ويتعلّقون بنماذج غير صالحة، خاصة عندما تتوفر في هؤلاء عناصر الجذب، ولا تتوفر في غيرهم ممن يفترض فيهم أن يكونوا في موقع القدوة الحسنة كالآباء والمعلّمين، مثل تلك العناصر.

٤- انخفاض القدرات العقلية:

ثمّة سبب إضافي لا بدّ من الانتباه إليه وهو مستوى الذكاء العقلي. فقد دلّت الدراسات على أنّ ضعف العقول ومنخفضي الذكاء معرّضون أكثر من غيرهم للوقوع في شرك رفاق السوء الذين بدورهم يحسنون استغلالهم.

ومن هنا تتأتّى مسؤولية الأهل بضرورة إحاطة هذا النوع من الأولاد بعناية خاصة وبضرورة تزويدهم بالمهارات الحياتية اللازمة^(١).



(١) النهي عن القدوة السيئة وبيان أضرارها. علي بن نايف الشحود- المكتبة الشاملة، الطبعة: الأولى (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢) (ص ٣١-٣٦) بتصرف.

المظهر الرابع

التبكير في عملية التربية : (التربية مبكراً)

ومن واجب الوالدين تربية الأبناء منذ نعومة أظفارهم على حبّ الله وحبّ كتابه وحب رسول الله ﷺ وحب سنته وهديه، وحب أصحابه وأزواجه وآل بيته ﷺ أجمعين، ومحبة دين الإسلام عموماً وتعاليمه السمحة، ويجب وجوباً حتمياً على الوالدين إبعاد ذريتهما عن كل ما يفسد عليهم دينهم وأخلاقهم من مراتع الفساد والشر والفحش، ومن مجالس السوء وأصحاب السوء، - وكذلك عدم تمكينهم من مشاهدة القنوات الهابطة، وتطهير البيوت من الموبقات والمهلكات والمفسدات من الأجهزة التي تبث الرذيلة وتنشر الشر، وكذلك يجب إخراج كل وسيلة تستخدم استخدام سوء في إفساد العقائد وهدم القيم والأخلاق ونشر الرذائل والخبث من البيوت، وكذلك عدم تمكين الأبناء من استخدام وسائل التقنية وغيرها، وتقديمها لهم بلا رقابة ولا توجيه، فإن كان الحاجة إليها ضرورية وملحة فمع الضوابط الشرعية، والرقابة الأبوية، والتوجيه والمتابعة الأسرية، وغرس الرقابة الذاتية في نفوس الأبناء بمراقبة ربّ البرية.

فهل يليق بمسلم عاقل وناصح لنفسه وذريته، أن يدخل أجهزة الفساد إلى بيته بمال الله الذي آتاه، ويترك لأبنائه الحبل على الغارب، ويدعهم هملاً بلا رعاية ولا رقابة ولا تربية ولا توجيه ولا نصح ولا إرشاد، ثم بعد ذلك يطالبهم

بالصلاح والتقوى، فإن الذي يزرع الشوك لا يحصد العنب، أو كما قال الأول:
ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبسل بالماء^(١).
ويكون ذلك في الصغر ليسهل عليهم في الكبر وتعوده أنفسهم ويسهل عليه

(١) هذا البيت للحلاج، والحلاج هو الحسين بن منصور الحلاج، ويكنى أبا مغيث. وقيل: أبا عبد الله، نشأ بواسط. وقيل بتستر، وخالط جماعة من الصوفية منهم سهل التستري والجنيد وأبو الحسن النوري وغيرهم. رحل إلى بلاد كثيرة، منها مكة وخراسان، والهند وتعلم السحر بها، وأقام أخيرًا ببغداد، وبها قتل (عام ٣٠٩ هـ) بسبب ما ثبت عنه بإقراره وبغير إقراره من الكفر والزندقة.. ادّعى النبوة، ثم ترقى به الحال أن ادعى أنه هو الله، وكان يقول بالحلول والاتحاد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **رحمته الله**: «مَنْ اعْتَقَدَ مَا يَعْتَقِدُهُ الْحَلَّاجُ مِنَ الْمَقَالَاتِ الَّتِي قُتِلَ الْحَلَّاجُ عَلَيْهَا فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا قَتَلُوهُ عَلَى الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مَقَالَاتِ أَهْلِ الزُّنْدَقَةِ وَالِإِلْحَادِ كَقَوْلِهِ: أَنَا اللَّهُ. وَقَوْلِهِ: إِلَهٌ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهٌ فِي الْأَرْضِ. وَالْحَلَّاجُ كَانَتْ لَهُ مَخَارِقُ وَأَنْوَاعٌ مِنَ السَّحْرِ وَلَهُ كُتُبٌ مُنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ فِي السَّحْرِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْأُمَّةِ أَنَّ مَنْ قَالَ بِحُلُولِ اللَّهِ فِي الْبَشَرِ وَاتِّحَادِهِ بِهِ وَأَنَّ الْبَشَرَ يَكُونُ إِلَهًا وَهَذَا مِنَ الْإِلَهَةِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُبَاحِ الدَّمِ وَعَلَى هَذَا قُتِلَ الْحَلَّاجُ»
اهـ. مجموع الفتاوى (٢/ ٤٨٠).

وقال أيضًا: «وَمَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ذَكَرَ الْحَلَّاجَ بِخَيْرٍ لَا مِنْ الْعُلَمَاءِ وَلَا مِنْ الْمَشَائِخِ؛ وَلَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقِفُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَمْرَهُ». اهـ. مجموع الفتاوى (٢/ ٤٨٣).

للاستزادة يراجع: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨/ ١١٢-١٤١)، والمنتظم لابن الجوزي (١٣/ ٢٠١-٢٠٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٣١٣-٣٥٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٣٢-١٤٤) قول بالحلول والاتحاد. أي: أن الله تعالى قد حلَّ فيه، وصار هو والله شيئًا واحدًا. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

أمرهم ونهيمهم ويسهل عليهم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ثم طاعة والديهم في المعروف.

فمما يجب على الوالدين حماية الأبناء من تلك المنكرات، لتبقى لهم فطرهم التي فطرهم الله عليها.

ويعوضهم بخير عوض عن ذلك، فيعلمهم تلاوة القرآن وحفظه وترتيله وتجويده، وكذلك حفظ ما تيسر لهم من سنة النبي ﷺ، والاطلاع على سيرته العطرة وسيرة أصحابه الكرام وسيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين، وقصص الأنبياء والصالحين من علماء الإسلام وأبطاله الفاتحين، ويرويهم السنن الإسلامية والآثار السلفية والحكم والأشعار النافعة، والتاريخ والأخبار الصادقة، ويجلب لهم ما يعينهم على ذلك من الكتب والقصص النافعة والهادفة المقروءة والمسموعة، ويجلب لهم كل ما يدلهم ويحثهم ويرغبهم في كل خير نافع ومفيد.

ومن السبل المعينة والتي تعين الوالدين والمربين في تربية الأولاد استخدام جهاز المسجل أو ما يقوم مقامه من الأجهزة الحديثة لسماع القرآن الكريم مرتلاً ومجوداً لمشاهير القراء، والسيرة النبوية العطرة والقصص النافع والمفيد وكذلك مواعظ وخطب ودروس العلماء والوعاظ وطلاب العلم والمربين المعروفين بسلامة المنهج وصحة المعتقد وهم كثر والله الحمد والمنة، وهي وسيلة مجربة ومفيدة للغاية وهي متوفرة بتنوع وكثرة والله الحمد.

وكذلك يُروّض أجسامهم بالنافع من الرياضة النافعة كالسباحة والرماية وركوب الخيل، وكذلك الزيارة العائلية والطلعات البرية والخلوية، وصلة

الأرحام والأعمال الاجتماعية النافعة، ويجدر بالوالد والقيم على الأسرة أن يوجد البدائل المناسبة - المباحة والمتاحة - سواء كانت من الألعاب، أو غيرها من البرامج الحاسوبية المفيدة علمياً وثقافياً، والمناسبة لعقولهم وأعمارهم والمروحة عن نفوسهم التي تجمع بين المتعة والفائدة، حتى يجدوا عوضاً نافعاً يشغلون به أوقات فراغهم.

ففي ذلك العوض الصالح، ولا أقول البديل عن الفساد؛ بل الأصل الذي ينبغي أن نشغل به الذرية ونربيهم عليه، وكذلك اصطحابهم للجمع والجماعات ومجالس الذكر وحلق العلم، فلهذا خلقنا جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

أولاً - التنشئة على العقيدة:

ومما يجب على المربي العناية به في عملية التربية مبكراً تنشئة الأولاد على مستلزمات العقيدة (منذ الصغر)، فالعقيدة الإسلامية من ثوابت الدين، وهي أسس التربية الإسلامية، ولعل من أهم وأبرز لوازم التربية على الإيمان منذ الصغر ما يُجمل في الفقرات التالية:

أ - الإيمان بالله تعالى:

يرتكز إعداد الولد تربوياً منذ الصغر على أُسس يأتي في طليعتها تربيته إيمانياً، وتدريبه على معرفة خالقه، والإيمان به، فإنَّ هذا الإيمان هو الدافع له للخير والصارف له عن الشرِّ، فهو الموجِّه للسلوك والضابط له، وارتباطه وثيق الصلة بالأعمال؛ ذلك لأنَّ الله تعالى جعل العمل معياراً حقيقياً لصدق الإيمان، وذمَّ الذين يُجرِّدون العمل عن الإيمان، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي

قُلُوبِهِمْ ﴿ [آل عمران:١٦٧]، وقال **عَلَّكَ**: ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴿٣﴾ [الصف:٣]، فالإيمان الحق هو الذي يصدر عنه السلوك الحميد، وينبع منه العمل الصالح، ويخرج منه الخلق الكريم ويظهره، فأولى الأولويات في إعداد الولد -إذن- تعليمه معاني الإيمان الصحيحة، ومقاصدها السامية، وإفهامه لحقائقها، وما تحمله من السعادة الأبدية له، إفهام علم وإدراك منذ الصغر^(١).

ب- العمل الصالح:

فمن أصول أهل السنة والجماعة أن العمل الصالح يدخل في مسمى الإيمان فلا بد مع الإيمان من العمل الصالح، وعليه فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وعلى هذا المفهوم ينبغي أن تكون تربية الأبناء وتنشئتهم، توجيهاً لمنهج السلف في الاعتقاد، ووقاية من الانحراف العقدي.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ ﴿٨٢﴾ [طه: ٨٢]، وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾ [الأحقاف:١٩].

ومن أسس التربية الإيمانية التي ينبغي أن تقوم عليها تنشئة الأولاد منذ الصغر، تعميق الوعي بمفاهيم الإيمان وشموليته، ومن ذلك:

* أن الإيمان كما يشمل العمل الصالح على نحو ما سبق تقريره، فإن العمل الصالح يشمل العبادات كما يشمل المعاملات، أما العبادات فكما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ ﴿١١﴾ [الحجر:٩٩]، وأما المعاملات فكما

(١) مقال بعنوان: تربية الأولاد وأسس تأهيلهم -للشيخ محمد علي فركوس- من موقعه الرسمي - بتاريخ - (٣/٤/١٤٢٧هـ).

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(١).

وإن تربية الناشئة على هذا يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع يكثرون خيرهم ويقل شرهم ويعم النفع بهم.

ج- حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم:

يجب أن يُربى الولد منذ نعومة أظفاره على حب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، كي يكون قوي الإيمان صلب الإرادة لا يتزعزع في الفتن ولا يضطرب إبان المحن، وحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم الحب الحقيقي يقتضي الاستمسك بالدين، بالإخلاص لله تعالى والاتباع لنيه صلى الله عليه وسلم وهما شرطاً لقبول العمل والعاصم بإذن الله من الزلل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

والاتباع هو اقتفاء هدي القرآن والافتداء بسيد الأنام صلى الله عليه وسلم والحذر من الابتداع في الدين، وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٨١)، واللفظ له، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٣٤٢)، وأحمد في مسند المكثرين (٧٦٨٦).

أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(١).

قال ابن حجر: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»^(٢).

د - حب السلف الصالح:

وهو من مقتضيات الإيمان، ومحبة السلف من محبة الله ورسوله ﷺ، لا سيما الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين شرفهم الله بصحبة نبيه ﷺ، ولقد زكاهم الله تعالى حيث قال: ﴿وَالسَّيِّقُوتِ الْأُولَؤِنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال سبحانه في صفاتهم الحميدة وخصالهم الفريدة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْعَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وكما مدح الله تبارك وتعالى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فقد مدح الخلف الذين اتبعوهم بإحسان فقال سبحانه: ﴿وَالسَّيِّقُوتِ الْأُولَؤِنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأفضية

(١٧١٨).

(٢) الفتح (٣٠٢/٥).

تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴿التوبة: ١٠٠﴾.

وإن تربية الولد على حب السلف رضوان الله عليهم جميعاً، لمن واجبات الآباء نحو الأبناء.

هـ - التوسط والاعتدال:

وهو من مستلزمات العقيدة، إذ الإسلام دين الوسطية كما قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

[البقرة: ١٤٣] (وسطاً): أي: عدولاً خياراً.

ولئن كان الشرع قد نهى عن التشدد في الدين والغلو فيه كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «هلك المتنطعون قَالَهَا ثَلَاثًا»^(١)، والمسلم المقصر في أمور دينه لا يخرج عن مسمى الإيمان ما لم يأت بما يناقض أصل الإسلام، فلا يكفر بكبيرة، ولا يفسق أو يبدع إلا بينة وثبتت، وبالطرق المشروعة، فالتدين المشوب بالغلو لا ينتج إلا التطرف والخروج عن منهج الإسلام بتأويلات فاسدة، ومبالغات ممجوجة، وكذلك التهاون والتخاذل لا ينهض مَنْ بُلِّيَ به بعزائم الأمور.

و- الولاء والبراء:

المؤمن يوالي ويعادي لله تعالى وفي الله، وعلى هذا المبدأ ينبغي أن تكون تربية الولد.

والدين الحنيف يجعل رابطة الدين مقدمة على رابطة الدم والنسب

(١) رواه مسلم في كتاب العلم الحديث (٢٦٧٠)، وأبو داود في كتاب السنة حديث (٤٦٠٨)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (رقم: ٣٤٧٣).

والمصالح، وحتى العلاقات بين الآباء والأبناء ليست ترتقي إلى مستوى الرابطة الدينية.

ولنتأمل ذلك في النصوص التالية:

* في قصة نبي الله نوح عليه السلام لما دعا ابنه وقد أشرف على الغرق ناداه كما قال

تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ، يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ [هود: ٤٢]، فلما لم يستمع إلى الأب الشفيق وآثر الكفر على

الإيمان وكان من المغرقين نادى نوح ربه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ

الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْشَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٥ - ٤٦]، فولاية الإيمان

فوق كل ولاية.

ذكر الإمام الطبري بسنده عن سعيد بن جبير أنه جاء إليه رجل فسأله فقال:

أرأيت ابن نوح ابنه؟! فسبح طويلاً ثم قال: لا إله إلا الله، يحدث الله

محمدًا عليه السلام: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ [هود: ٤٢] وتقول ليس منه؟! ولكن خالفه في

العمل فليس منه من لم يؤمن.

* قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا عَدْوِي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ

بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴿الممتحنة: ١﴾.

ففي هذه الآية أن ولاية الكفار لا تجوز، لأن المودة إذا حصلت تبعتها

النصرة والموالاتة فخرج العبد من الإيمان وصار من جملة أهل الكفران.

كما يقول ابن سعدي: (١)

فليست العقيدة إيماناً يقر في القلب فحسب؛ بل وعملاً يصدق ما وقر في القلب، ويكون أمانة عليه، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»، وفي رواية «والحياء شعبة من الإيمان» (٢).

معالم تربية الأولاد على عقيدة التوحيد:

وتواصل الدراسة التأكيد على أهمية التربية والتنشئة للأولاد منذ الصغر على عقيدة التوحيد، فتُورد فيما يلي أهم معالم «تربية الأولاد على عقيدة التوحيد» مع ضرب الأمثلة من الكتاب والسنة على ذلك، فيقول الباحث مستعيناً بالله تعالى فمنه التوفيق ومنه التسديد:

أ- الاجتهاد في الدعاء بطلب الذرية وبصلاحها: وهذا منهج النبيين عليهم السلام، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يدعو ربه ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصفات: ١٠٠].

وفي وصف دعاء له يقول الله تعالى عنه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

(١) تفسير الطبري (٥٢/١٢) آل نواب- عبد الرب نواب الدين.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (رقم: ٩)، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (رقم: ٣٥). آل نواب- عبد الرب نواب الدين- مسؤولية الآباء تجاه الأبناء - ط- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية (١٤٢٣هـ) (ص ١١٣) وما بعدها.

ومن دعائه عليه السلام أيضًا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

ومن دعائه وولده إسماعيل عليه السلام أيضًا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وهذا زكريا عليه السلام يتהל إلى الله تعالى ويقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقبل ذلك كله عن الأبوين عليه السلام أنهما قالوا: ﴿لَيْنَ آتَيْنَا صَلَاحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وهو مطلب عباد الرحمن عمومًا يصف ربنا دعاءهم فيقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَنْتَقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ودعاء الوالدين من جملة الأسباب التي يؤمر بها المسلم لطلب صلاح الأولاد.

ب- تلقين الولد مبادئ التوحيد إذا بلغ سن التمييز، ويكون ذلك بتدريه على نطق الشهادتين، وإفهامه معناهما بحسب مداركه العقلية وقدراته الفكرية، ويصبر بالأصول الثلاثة وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب الملائم إلى عقله ونفسه، وتكرار ذلك بغير إملال، كي ينطبع ذلك في فؤاده وينغرس في قلبه الغض فيشب سليم الفطرة قويم العقيدة.

ج- العمل التربوي الدائب في تعليم الولد وتلقينه وتبصيره بتوحيد الله تعالى، بمختلف الوسائل والأساليب المشروعة.

ففي أول وصايا لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه يقول تعالى: ﴿يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] فكان أول ما وعظه به، أن نهاه عن الشرك المنافي للتوحيد وحذره منه، لأنه محبط للعمل، وموجب للخلود في النار والعياذ بالله.

وهكذا فإن تربية الأولاد على الإيمان بالله تعالى وعلى إفراده جل وعز بالعبادة دأب المرسلين، وإلى ذلك دعوا أممهم وأقوامهم وعليه ربوا أولادهم وأهلهم ومن أجل نشره بين الناس جاهدوا وصبروا وصابروا حتى الرمق الأخير، ونهج الأنبياء عليهم السلام هو النهج القويم والصراط المستقيم.

* ومن السنة النبوية المطهرة، ما دأب عليه النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من الأنبياء الذين سبقوه، من الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك كافة صور وأشكال الشرك وأسبابه، وكان صلوات الله وسلامه عليه يدعو قومه إلى التوحيد، رجالهم ونساءهم وصغارهم وكبارهم.

ومن الأمثلة على تربية الأولاد على مبدأ التوحيد حديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثاً: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قلت: لا. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً». ثم سار ساعة فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك وسعديك، قال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟: أن لا يعذبهم»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٦١) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٠).

ومثال آخر يتبين من خلاله كيف كان صلوات الله وسلامه عليه يغرس التوحيد ولو ازمه في عقول وقلوب الناشئة، ويربيهم عليه، ويتعهدهم به.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١).

هذا، ومن لوازم توحيد الألوهية وهو (توحيد العبادة) مما ينبغي للآباء والمربين غرسه في قلوب الناشئة:

* تجنب كل ما ينافيه من الأعمال الشركية كالحلف بغير الله، والاستعانة والاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر والتوكل وطلب المدد واعتقاد أن غير الله يتصرف في الكون كائناً من كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلأً أو ولياً صالحاً، وكل ما هو من خصائص الألوهية مما يدخل في مسمى العبادة لا يُصرف إلا لله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا رب سواه، ولا معبود بحق إلا هو، بيده ملكوت كل شيء وهو الواحد القهار.

ثانياً - تربيتهم على الأخلاق الإسلامية والآداب الشرعية:

إن من أهم الجوانب التي يجب أن يُوليها الأبوان الرعاية والعناية والاهتمام، جانب تربية الأبناء منذ الصغر على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات عملياً.

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة حديث (٢٥١٦)، وأحمد في مسند بني هاشم حديث (رقم: ٢٥٣٧).

ذلك لأن الأخلاق الكريمة من لبِّ الإسلام وجوهره؛ ومن كمال دعوة الإسلام أنه يدعو لصالح الأخلاق، كما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»^(١).

وتأسيس الأصول الخُلُقِيَّة والعقدية والاجتماعية في نفوسهم، كخشية الله ومرقبته وتقواه، وقد ذكر الله وصية لقمان لابنه وهو يرسخ مراقبة الله في سويداء قلبه في أول تنشئته، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

— قال ابن كثير: «﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، خير بدبيب النمل في الليل البهيم»^(٢). وكذلك يريهم على الشجاعة والرجولة وصدق الحديث وأداء الأمانة، وإجلال ذي الشبهة المسلم واحترام وتوقير الكبير عمومًا، وحب العلم وتوقير أهله وتبجيل المعلمين وإجلال حملة القرآن والدعاة إلى الله ودينه، وطاعة الولاية في المعروف لأن طاعتهم في المعروف من طاعة الله ورسوله، وهو من دأب السلف الصالح ونهجهم، ويربيهم عمليًا على الإيثار والمروءة وبذل المعروف والإحسان إلى اليتامى والفقراء والمساكين، ورحمة الضعفاء، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين، ورحمة الصغار وإكرام الضيفان والإحسان إلى

(١) رواه الإمام أحمد في مسند المكثرين، حديث (رقم: ٨٥٩٥)، والألباني في صحيح

الجامع (٢٣٤٩)، وصحيح الأدب المفرد (٢٠٧)، والسلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (ص ٣٣٩)، وينظر: نواب الدين - مرجع سابق - (ص ١٦٧) بتصرف،

(١٦٩) بتصرف - أيضًا.

الأقارب وذوي الأرحام والجيران، ومعاشرة عموم الخلق بالمعروف والإحسان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والصبر على المكاره، كما وصى لقمان ولده بذلك، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا

أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ [لقمان: ١٧]، كما ينبغي أن يحرص الأبوان على تعليم الأبناء هدي النبي ﷺ في شأنه كله ولا سيما هديه ﷺ في الأدعية المأثورة والأذكار الموظفة، كأذكار طرفي النهار (أذكار الصباح والمساء) في وقتها، والأذكار الواردة في السنة، كل ذكر في وقته، وفي هذا حفظ لهم وتعويد من الشيطان وحزبه، ويحذر الاستعانة بأحد الكتب المعتمدة والمحققة والتي تعتمد الثابت والوارد في السنة من الأدعية والأذكار، وهي متوافرة بكثرة والله الحمد.

وبالمقابل ينبغي تحذيره منذ الصغر من الصفات السيئة كالكذب والسباب، والشتائم والسرقة، والتشبه بالكفار، والتشبه بالنساء، والميوعة والانحلال، والاختلاط الآثم، والتدخين والمسكرات والمخدرات، والأضرار الناجمة عنها جميعاً، وكذلك تحذيره من كل أنواع الفساد المتفشية في المجتمعات، وتخويفه من عواقب اقتراف المحارم وركوبها.

واختيار الرفقة الصالحة له ليكتسب منها الخُلُق الحسن، والأدب الرفيع، والعادات الفاضلة، مع مراقبته -خاصة في سنّ التمييز والبلوغ- من الخلطة الفاسدة ورفاق السوء، ومصاحبة الأشرار لئلا يكتسب منهم أقبح الأخلاق وأحطّ العادات وأسوأ الصفات.

ومن واجبات تربية الولد منذ الصغر أيضاً: الرّفق به، وملاطفته، ومعاملته باللين والرحمة والرأفة من غير شدّة، لا سيّما من الوالدين أو من يقوم مقامهما

كالجَدِّ والعَمِّ؛ لأنَّ الشَّدَّةَ في التَّربية لا تولِّدُ إِلَّا شِدَّةً في السُّلوكِ، وقد صَحَّ عن البراء بن عازب رضي الله عنه أَنَّهُ قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْحَسَنُ عَلَيَّ عَاتِقِهِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ» (١).

— قال النووي (٢):

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٤٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٢)، والترمذي في المناقب (٤١٥٢)، وأحمد (١٩٠٨٤)، والبيهقي (٢١٦٠٢)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) النووي: (٦٣١ - ٦٧٦ هـ): هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن، النووي (أو النواوي) أبو زكريا، محيي الدين. من أهل نوى من قرى حوران جنوبي دمشق. علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة، تعلم في دمشق وأقام بها زمناً. من تصانيفه المجموع شرح المذهب. لم يكمله، واشتغل في شرحه الشيخ/ تقي الدين السبكي ثم توفاه الله تعالى فأكماله الشيخ نجيب المطيعي، وروضة الطالبين، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥)، والأعلام للزركلي (١٨٥/٩)، والنجوم الزاهرة (٢٧٨/٧).

عقيدته ومنهجه:

النووي «له أغلاط في الصفات سلك فيها مسلك المؤولين وأخطأ في ذلك فلا يقتدى به فيما أخطأ فيه؛ بل الواجب التمسك بقول أهل السنة وهو إثبات الأسماء والصفات الواردة في الكتاب العزيز....».

اللجنة الدائمة فتوى برقم (٤٢٦٤) (٣/ ٢٢١) عن النووي رضي الله عنه.

النووي ليس أشعرياً صرفاً على أصولهم كلها؛ بل قد خالفهم في أصول كثيرة؛ منها:

(١) دفاعه عن عقيدة السلف في أفعال العباد.

(٢) إثبات رؤية الله يوم القيامة.

(٣) دفاعه عن عقيدة السلف في حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

=

«وفيه ملاطفة الصبيان ورحمتهم، ومماستهم»^(١).

والولد يحتاج من والديه أمرًا محسوسًا حتى يشعر بما يجول في قلبيهما من محبةٍ وعطفٍ ورحمةٍ، وقد يتجسّد ذلك الإحساس في تقبيله، وحمله، ومداعبته، أو المسح على رأسه، أو وجهه، أو ضمه إلى أحضانهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قبل الحسن بن عليّ - وعنده الأقرع ابن حابس التميمي^(٢) جالسًا - فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله رضي الله عنه ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»^(٣).

وقد صحّ - أيضًا - أنه جاء أعرابي إلى النبي رضي الله عنه فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي رضي الله عنه: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»^(٤).

(٤) كلامه عن حكم مرتكب الكبيرة.

(٥) وكلامه في النبوات.

(٦) أول واجب على المكلف رد فيه على الأشاعرة. المجموع (١/٢٤-٢٥) وللاستفاضة والاستفادة، ينظر: ترجمة الحافظ ابن حجر (ص ٤٢) وما بعدها.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/١٩٤).

(٢) الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي، أحد المؤلفات قلوبهم وأحد الأشراف، أقطعه أبو بكر له ولعينة بن حصن، فعطل عليهما عمر ومحا الكتاب الذي كتب لهما أبو بكر، وكانا من كبار قومهما، وشهد الأقرع مع خالد حرب أهل العراق وكان على المقدمة. سير أعلام النبلاء (ص: ٢٨/١٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٩٧)، ومسلم في الفضائل (٦١٧٠)، وأبو داود في الأدب (٥٢٢٠)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٣٥)، وأحمد (٧٤٩١)، والحميدي في مسنده (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

=

وتقريراً لهذا المعنى فقد روى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيَقْعِدُنِي عَلَيَّ فَيَخِذُهُ، وَيَقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَيَّ فَيَخِذُهُ الْآخَرَ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا» (١).

ومن مظاهر الإحساس للولد بما في قلبي والديه من عناية وشفقة ومحبة: مدحه والثناء عليه إذا أحسن وقام بالمطلوب وحقق المرغوب، وبالمقابل تنبيهه إذا أساء أو أخطأ في أداء المطلوب ولم يحقق المرغوب، ثم يعلمه العادة الصالحة والصفة الحسنة التي يفتقدها، وقد بين النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي في حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ بِيَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ» (٢).

— قال الإمام ابن القيم رحمته: «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج: الاعتناء بأمر خلقه؛ فإنه ينشأ على ما عودته المربي في صغره من حردٍ (٣) وغضبٍ ولجاجٍ،

= ومعنى العبارة: «أي: لا أملك»، أي: لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه. فتح الباري لابن حجر (٤٣٠ / ١٠).

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٠٣)، وأحمد (٢٢٤٩١)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٥٣٨٨)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٧٩)، والترمذي في الأطعمة (١٩٧٦)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٩١)، وأحمد (١٦٧٦٩)، من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه. تربية الأولاد وأسس تأهيلهم - الشيخ محمد علي فركوس - موقعه الرسمي - بتصرف.

(٣) الحرد: سرعة الغيظ، قال في المعجم الوسيط (١ / ١٦٥): حرد: اغتاظ، فتحرش بالذي غاظه وهم به.

وعجلة وخفة مع هواه، وطيشٍ وحِدَّةٍ وجشع، فيصعبُ عليه في كِبَره تلافِي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفاتٍ وهيئاتٍ راسخةً له، فلو تحرَّز منها غاية التحرُّز، فضحته ولا بدَّ يوماً ما؛ ولهذا تجد الكثير من الناس مُنحرفة أخلاقهم، وذلك من قِبَل التربية التي نشأوا عليها، وكذلك يجب أن يتجنَّب الصبي -إذا عقل- مجالسَ اللهو والباطل، والغناء وسماع الفُحش والبدع، ومنطق السوء، فإذا علقَ بسمعِه، عَسِرَ عليه مفارقتُه في الكِبَر، وعزَّ على وليِّه استنقاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبها إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج على حُكْم الطبيعة المعتادة عَسِرٌ جداً.

وينبغي لوليِّه أن يُجنِّبه الأخذ من غيره غاية التجنُّب، فإنه متى اعتاد الأخذ، صار له طبيعة، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يُعطي، ويُعوِّده البذل والإعطاء، وإذا أراد الوليُّ أن يعطي أحداً شيئاً، أعطاه إيَّاه على يده لِيَذوق حلاوة الإعطاء!

ويُجنِّبه الكذب والخيانة أعظم مما يُجنِّبه السُّمَّ الناقع؛ فإنه متى سهَّل له سبيلَ الكذب والخيانة، أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة، وحرَّمه كلَّ خيرٍ.

ويُجنِّبه الكسل والبطالة، والدَّعة والراحة؛ بل يأخذه بأضدادها، ولا يُريحه إلا مما يُجِمُّ نفسه وبدنه للشغل؛ فإن للكسل والبطالة عواقبَ سوءٍ ومَغَبَّة ندم، وللجد والتعب عواقبَ حميدة؛ إما في الدنيا، وإما في العقبى، وإما فيهما، فأروحُ الناس أتعبُ الناس، وأتعبُ الناس أرواحُ الناس؛ فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى، لا يُوصَل إليهما إلا على حِسْرِ من التعب، ويُعوِّده الانتباه آخر الليل؛ فإنه وقت قَسَمِ الغنائم وتفريق الجوائز، فمستقلٌّ، ومستكثِرٌ، ومحرومٌ، فمتى اعتاد ذلك صغيراً، سهَّلَ عليه كبيراً»^(١).

(١) تحفة المودود (ص ١٤٦).

وقال: «ويُجَنَّبُه فضول الطعام والكلام، والمنام ومخالطة الأنام، فإن الخسارة في هذه الفضلات تُفَوِّتُ على العبد خير دنياه وآخرته، ويُجَنَّبُه مضارَّ الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنُّب، فإن تمكينه من أسبابها والفَسْح له فيها، يُفسده فسادًا يَعْزُّ عليه بعده صلاحه، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة، بإهماله وترك تأديبه، وإعانتته له على شهواته، ويزعم أنه يُكرمه وقد أهانه، وأنه يَرَحِّمه وقد ظلَّمه! ففاته انتفاعه بولده، وفوّت عليه حظَّه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد، رأيت عامته من قبل الآباء».

ثالثًا - إزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسنونة بدءًا بأركان الإسلام:

وتؤكد الدراسة على أهمية عناية الإسلام بالتبكير في العملية التربوية وتبين أهمية العناية بالجانب التعبدي ومكانته في الإسلام، وما ينبغي وما يجب على المربي تجاه الأبناء في شأن هذا الجانب العظيم مبكرًا، فالإسلام دين الله الخالد الذي لا يقبل دينًا غيره، وهو في مفهومه الأشمل يتضمَّن الإيمان والعمل، العقيدة والشريعة، الأخلاق والمعاملات، وأحكامه كما بيَّنها العلماء متنوعًا بين الوجوب والاستحباب في جانب الطاعات، وبين التحريم والكراهة في جانب المنهيات.

والأبوان من حيث ولايتهما على الأولاد دون سن البلوغ - لا سيما الأب باعتبار قوامته على مَنْ في البيت - من واجباتهما الشرعية: إزام الأولاد بالعبادات؛ تعويدًا وتعليمًا، ترغيبًا وترهيبًا، وتربيةً وتقويمًا، تعاونًا وتعاضدًا، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، أداءً للأمانة وقيامًا بالواجب.

وهنا تفرد الدراسة الحديث عن واجب الآباء في هذا المضممار من حيث

(الإلزام)، وتبين ما أعطاه الإسلام للآباء من مقومات الإلزام من منطلق الولاية والرعاية التي يتحمّلونها تجاه الأولاد؛ فالأولاد أمانة في أعناق الوالدين، والأمانة حقّها الأداء لا الإضاعة!

ومن الأداء للأمانة: إلزام الولد بأداء فرائض الدين، وأداء الحقوق لأهلها؛ تربية وتقويماً، وتعليماً وتهذيباً، يتبيّن ذلك من خلال النصوص الآتية:

* قول الباري جل ذكره: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

* وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وليتأمل الآباء عظم شأن هذا الحديث: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١).

يؤخذ من هذه النصوص وأمثالها في مضمار إلزام الأولاد أداء العبادات:

أ- أن المسلم يحرص على ألا يفوته الخير والفضيلة، مما يعدّ من الفروض التي لا يصح التفريط فيها، ولا التكاثر عنها؛ فهو يحافظ على شعائر الدين في

(١) رواه أبو داود (٤٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٨)، وقد سبق تخريجه مفصلاً.

نفسه وولده، ومن تحت رعايته وولايته، وأن المسلم يُلزم أولاده ذكوراً وإناثاً - كل بحسبه - بالعبادات، لا سيما أصولها، وهي: الصلاة والصيام، كما يعلمهم القرآن.

ب- أن الغلام والجارية يُؤدبان على الصلاة والطهارة إذا تمّت لهما عشر سنوات.

قال ابن قدامة:

يجب على وليّ الصبي أن يُعلّمه الطهارة إذا بلغ سبع سنين، ويأمره بها ويؤدّبه عليها إذا بلغ عشر سنين، والأصل في ذلك حديث سبرة الجُهني عن أبيه عن جدّه رحمته الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «علّموا الصبيّ الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»^(١).

وسنُّ الإلزام هو سن العاشرة؛ إذ يتدبّر بتعليمه الصلاة وغيرها من العبادات في سن السابعة، ويؤدّبه عليها في سن العاشرة؛ قال ابن القيم رحمته الله: فإذا صار ابن عشر، ازداد قوة وعقلاً واحتمالاً للعبادات، فيضرب على ترك الصلاة؛ كما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ضربٌ تأديبٍ وتمرين، وعند بلوغ العاشرة يتجدّد له حال آخرى، يقوى فيها تمييزه ومعرفته؛ ولذلك ذهب كثيرٌ من الفقهاء إلى وجوب الإيمان عليه في هذه الحال، وأنه يعاقب على تركه، وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره، وهو قول قوي جداً، وإن رُفِع عنه قلمُ التكليف بالفروع، فإنه قد أُعطي

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٤٩٤)، والترمذي في كتاب الصلاة (٤٠٧) واللفظ له، وقال: حسنٌ صحيح، وأحمد في مسند المكثرين، حديث (٦٤٦٧)، والدارمي في كتاب الصلاة، حديث (رقم: ١٣٩٥)، واللفظ للترمذي والدارمي.

آلة معرفة الصانع والإقرار بتوحيده، وصدق رُسله، وتمكّن من نظر مثله واستدلّاله، كما هو متمكّن من فهم العلوم والصناعات، ومصالح ديناه، فلا عُذر له في الكفر بالله ورسوله، مع أن أدلة الإيمان بالله ورسوله أظهرٌ من كلِّ علمٍ وصناعة يتعلّمها^(١).

وإذا بلغ الفتى أو الفتاة سنَّ الخامسة عشرة، أو قريباً منها، أو ظهرت عليهما أمارات البلوغ - فقد بلغا مبلغ المكلفين من الرجال والنساء، وصار إلزامهما بالفرائض آكد، وجرت عليهما أحكام البالغين الراشدين.

وقد بسّطَ البيان في هذا البحث لأهميته ومكانته ولعظم شأنه وخطورة ما يترتب على إهماله أو التقصير في جانبه^(٢).

وينبغي على المؤدّب أن يكون رحيماً حليماً سهلاً قريباً هيناً ليناً غير فاحش ولا متفحش، يجادل بالتي هي أحسن بعيداً كل البعد عن القبح والشتائم والتوبيخ والضرب، إلا أن يكون الولد ممن نشز عن الطاعة واستعلى على أمر أبيه وترك المأمور وقارف المحذور، فعندئذٍ يفصّل أن يستعمل معه الشدة من غير غلظة ولا ضرر:

قال المناوي^(٣): «لأن يؤدّب الرجل ولده عندما يبلغ من السن والعقل مبلغاً

(١) تحفة المودود (ص ١٨٧) آل نواب-مرجع سابق- (ص ١٦٩-١٧٢).

(٢) وينظر: نواب الدين- مرجع سابق- (١٦٩) وما بعدها، بتصرف.

(٣) المناوي: هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نورالدين علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري الشافعي (زين الدين) ولد سنة: (٩٥٢هـ) وتوفي سنة: (١٠٣١هـ). من كبار العلماء بالدين والفنون، له أكثر من مائة مصنف، منها الكبير والصغير والتام والناقص. من كتبه: فيض القدير، كنوز الحقائق، شرح الشمائل =

يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين، ويصونه عن مخالطة المفسدين، ويعلمه القرآن والأدب ولسان العرب، ويسمعه السنن وأقوال السلف، ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى عنه، ويهدده ثم يضربه على نحو الصلاة وغير ذلك: خير له من أن يتصدق بصاع؛ لأنه إذا أدبه صارت أفعاله من صدقاته الجارية، وصدقة الصاع ينقطع ثوابها، وهذا يدوم بدوام الولد، والأدب غذاء النفوس وتربيتها للآخرة، كما أمرنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾** [التحريم: ٦]. فوقائتك نفسك وولدك منها أن تعظها وتزجرها بورودها النار وتقيم أودهم بأنواع التأديب، فمن الأدب الموعظة والوعيد والتهديد والضرب والحبس والعطية والنوال والبر، فتأديب النفس الزكية الكريمة غير تأديب النفس الكريهة اللئيمة»^(١).

ومن هذا المنطلق تبين الدراسة صفة التعامل مع الأبناء حال التمرد والعصيان:

أولاً- الابن الصغير:

أما الصغير: فيأخذه بالحزم والشدة إذا لم يُجدِّ معه اللين والرفق والتلطف والنصح والتوجيه والمعاملة بالتي هي أحسن، ويكون ذلك باللوم والعتاب والتوبيخ وبإظهار عدم الرضا عن سببٍ فعّال، بتقطيب الوجه أمامه أحياناً، ومخاطبته بلهجة ونبرة صوت مختلفة عن حال الرضا، والإعراض عنه أحياناً،

= للترمذي، شرح التحرير في الفقه، إعلام الحاضر والبادي، مخطوط في مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة النبوية، برقم (٣٧٥٨). وهذه الترجمة منقولة من خلاصة الأثر (٢/١٩٣)، البدر الطالع (١/٣٥٧).

(١) فيض القدير (٥/٢٥٧).

تلك هي مظاهر الشدة مع الصغير، وقد تصل إلى ضربه أحياناً ضرباً غير مُبرِّح إذا بلغ سنّاً كامل فيها تمييزه وتحمله وهي سن عشر سنين.

ثانياً - الابن الكبير:

أمّا طريقة التعامل في استصلاح الكبير فتختلف تماماً عن طريقة الصغير في إصلاحه وتأديبه، فالكبير إن كان أسلوب الإقناع والمجادلة بالحسنى والوعظ والتوجيه والإرشاد والمصاحبة لا يثمر ولا يجدي معه، ولا يؤثر فيه ولا يغيره، لجأ الوالد معه إلى الهجران، إن ظل الولد مُصِرّاً على ما هو عليه من التعنت وسلوك سبيل الأشرار، سبيل أهل الغي والضلالة سبيل الفجار، مجتنباً سبيل أهل الخير والاستقامة والهدى، سبيل عباد الله الأبرار، قال النووي رحمته: «الهجر: الترك والإعراض»^(١). اهـ.

مشروعية التأديب بالهجر:

دل على مشروعية هذا النوع من التأديب، الكتاب، والسنة، وعمل الصحابة رحمهم، والمعنى الصحيح:

أولاً: دليل الكتاب على مشروعية التأديب بالهجر:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَاوَنَ نُسُوزُهُمْ فِعْظُوهُمْ وَهُمْ جُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاحِعِ﴾

[النساء: ٣٤].

وجه الاستدلال من الآية: أن الله عز وجل ذكر الهجر ضمن العقوبات التأديبية التي تعاقب بها الزوجة الناشز، حيث أباح عز وجل للزوج أن يعاقب زوجته بالهجر إذا لم يُفد معها الوعد، متى أقدمت على مخالفته وعدم طاعته.

(١) تحرير أَلْفَاظِ التَّنْبِيهِ لِلنَّوَوِيِّ (ص ٢٥٩).

وإذا كان الأمر كذلك، كان في الآية دلالة على مشروعية التأديب بالهجر المفيد للاستصلاح والتهديب.

ثانياً: دليل السنة على مشروعية التأديب بالهجر:

١- ما ورد في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك^(١)، حيث هجرهم رسول الله ﷺ والمسلمون.

يقول كعب بن مالك رضي الله عنه - وهو راوي القصة -: «.. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد..»^(٢).

(١) منطقة تبوك: هي واحدة من مناطق السعودية وتقع المنطقة في شمال غرب المملكة العربية السعودية، وتحدها الأردن من الشمال، ومن الشرق منطقة جوف ومنطقة حائل، ومن الجنوب منطقة المدينة المنورة، ومن الغرب خليج العقبة والبحر الأحمر (ينظر: مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات)، وتقع مدينة تبوك تحديداً على بعد مائة كيلو متر شمال المدينة المنورة وعن محافظة خيبر خمس مائة كيلو متر. ومدينة تبوك مقر إمارة منطقة تبوك، وكبرى مدن شمال السعودية، وحولها بعض من أهم الآثار في الجزيرة العربية وتعد منطقة تبوك البوابة الشمالية للجزيرة العربية، وطريقاً حيوياً للتجارة والحجاج والمعتمرين من خارج الجزيرة العربية وهي من المناطق الزراعية الحيوية في المملكة، وينظر: الموسوعة الحرة.

(٢) هذا لفظ البخاري. في كتاب المغازي. باب حديث كعب بن مالك (برقم: ٤٤١٨).

وجه الاستدلال من هذه القصة على مشروعية التأديب بالهجر:

أن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم هجروا هؤلاء النفر الثلاثة، وقاطعوهم مدة خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم من السماء؛ لأجل أنهم خافوا منهم النفاق^(١).
فدل ذلك على جواز هذا النوع من التأديب.

قال ابن عبد البر رحمته الله: «وفي حديث كعب هذا، دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه، إذا بدت منه بدعة أو فاحشة، يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له، وزجراً عنها»^(٢). اهـ.

والعلة نفسها تتحقق في محل ولاية التأديب الخاصة، فيجوز للأب والزوج والمعلم والسيد، أن يهجروا من يؤدبونهم زجراً لهم وإصلاحاً كالتعزير في الولاية العامة.

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اطَّلَعَ على أحدٍ من أهل بيته كذب كذبةً، لم يزل مُعْرِضاً عنه حتى يُحَدِّثَ الله توبةً»^(٣).

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/٢٦٩).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٦/١١٨) ت: سعيد أحمد أعراب وآخرين (ط بدون)، وجوّد هذا المعنى الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على الرسالة للشافعي ص (٤٤٦)، (دار الفكر، ط بدون)، وينظر: تنوير الحوالك للسيوطي (٢/٢١٣)، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ط بدون، ١٣٧٠هـ).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/١٥٢)، وأبو جعفر محمد العقيلي في كتابه الضعفاء الكبير (٩/١)، ت: د/ عبد المعطي أمين قلعجي، (بيروت: دار الكتب العلمية - ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، واللفظ له، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب العلم، باب في ذم الكذب (١/١٤٧)، وقال: «رواه البزار وأحمد بنحوه». اهـ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (برقم: ٤٦٧٥)، وينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (برقم: ٢٠٥٢).

ثالثاً - دليل التأديب بالهجر من عمل الصحابة رضي الله عنهم :

١- ومن ذلك: «أن أبا سعيد الخدري ^(١) رضي الله عنه لقي رجلاً، فأخبره عن رسول الله ﷺ شيئاً، فذكر الرجل خبراً يخالفه، فقال أبو سعيد: والله لا آواني وإياك سقف بيت أبداً» ^(٢).

ففي هذا الفعل من أبي سعيد رضي الله عنه دليل على «مجانبة من ابتدع وهجرته، وقطع الكلام معه» ^(٣).

٢- وعن سعيد بن جبیر رضي الله عنه أن قريبا لعبد الله بن مغفل رضي الله عنه خذف ^(٤)، قال فنهاء، وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، وقال: «إنها لا تصيد صيدا، ولا تنكأ عدواً، ولكنها تكسر السن وتفقأ العين»، قال: فعاد، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم تخذف، لا أكلمك أبداً ^(٥).

(١) أبو سعيد الخدري (٧٤ هـ)، هو: سعيد بن مالك بن سنان، أنصاري، مدني، من صغار الصحابة وخيارهم. كان من المكثرين للرواية عن النبي ﷺ، فقيهاً مجتهداً مفتياً، ممن بايعوا رسول الله ﷺ ألا تأخذهم في الله لومة لائم. شهد معه الخندق وما بعدها. الإصابة للحافظ ابن حجر (٣٤/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣/١١٤ - ١١٧)، والبداية والنهاية (٤/٩).

(٢) الرسالة للشافعي، ف (١٢٣٠)، ت: أحمد شاكر؛ حيث ذكر الشافعي هذا الأثر دون سند، فقال: «وأخبرنا...».

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٨٧/٤).

(٤) هو: رميك حصاة أو نواةً تأخذها بين سبابتك وترمي بها، أو تتخذ مخذفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة. النهاية في غريب الحديث، مادة: «خذف» (١٦/٢).

(٥) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكرهه الخذف (برقم: ١٩٥٤).

هجر الولد والتلميذ:

إذا رأى الولي أو المعلم عدم جدوى نفع تأديب الولد بوسيلتي الوعظ والتوبيخ، فإنه يحق له - حينئذٍ - هجر الصبي بالإعراض عنه، وعدم الكلام معه، إذا ظن أن الهجر يصلحه.

فمن الصبيان من يتأثر بإعراض الولي أو المعلم عنه تأثراً بالغاً^(١) أكثر من تأثره بالتوبيخ والتعنيف، وذلك حينما يرى والده أو معلمه يبش في وجه إخوته ويعبس في وجهه، ويخاطب زملاءه ويعرض عنه، فيكون ذلك رادعاً له عن الاستمرار في الخطأ.

- قال ابن جماعة^(٢) رحمته في شأن تأديب الصبي المتعلم: «فإن لم ينته

(١) ينظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٢/ ٦٠٤).

(٢) هو: الشيخ الإمام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني نسباً، الحموي مولداً، الشافعي مذهباً. مولده: ولد بحماة سنة (٦٣٩ هـ) شيوخه: كثيرون وقد بلغ عددهم في مشيخته التي خرّجها البرزالي أربعاً وسبعين شيخاً منهم امرأة واحدة.

عقيدته: قال الإمام الذهبي في ترجمته لبدر الدين بن جماعة: «وهو أشعري فاضل». قلت: قد ألف بدر الدين بن جماعة بعض الكتب على مذهب الأشاعرة ومنها كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل» ذكر فيه ثلاثين آية من الآيات الواردة في الصفات وأولها على مذهب الأشاعرة. كما ذكر أيضاً ثلاثين حديثاً صحيحاً من الأحاديث الواردة في الصفات وأولها على مذهب الأشاعرة خلافاً لما عليه أهل الحق (السلف الصالح أهل السنة والجماعة). ومن الصفات التي أولها: الاستواء، والعلو، والنزول، والوجه، واليد، والعين، والساق، والغضب، والرضا، والفرح، والمحبة، والضحك، والتعجب، وغير ذلك. وفاته: توفي رحمته سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وله أربع وتسعون سنة وشهراً.

- أي: بعد وعظه وتوبيخه - فلا بأس حينئذ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع، ولا سيما إذا خاف على بعض رفقاءه وأصحابه من الطلبة موافقته»^(١). اهـ.

- وقال ابن القيم **رحمته**: «ويكون هجران الوالد والمعلم للولد؛ دواء له، بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه»^(٢). اهـ.

شروط الهجر:

اشترط الفقهاء لجواز التأديب بالهجر عدة شروط، ومن أهمها:

١- أنه لا يصار إلى مرحلة التأديب بالهجر إلا بعد العلم بعدم جدوى نفع المرحلتين السابقتين - أعني: الوعظ والتوبيخ - طردًا للأصل المتقدم في التدرج في استعمال سبل التأديب^(٣).

٢- لا يستعمل المؤدّب التأديب بالهجر إلا في حالة علمه بصلاحه لزجر

= ينظر: البداية والنهاية (١٤/١٦٣)، وذيل تذكرة الحفاظ (١٠٧)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (٢/٢٨٠).

وينظر: بدر الدين بن جماعة بتخريج علم الدين البرزالي (١/٤٠)، ومعجم الشيوخ للذهبي (٢/١٣٠)، وينظر: الشذرات لابن العماد (٦/١٠٥)، وإيضاح الدليل (ص ١٠٣، ١١٧، ١٢٤، ١٢٧) وغيرهما.

(١) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (ص ٦١).

(٢) زاد المعاد (٣/٥٧٨).

(٣) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/٢٥٢)، ومغني المحتاج (٤/١٩٢)، وأسنى المطالب (٤/١٦٢).

وردد المؤدّب عما أقدم عليه من العصيان وأقوى في نفسية الفاعل^(١).

٣- أن يكون قصد التأديب بالهجر علاج المؤدّب وإصلاحه، فإن خرج عن هذا المقصد إلى التشهير أو إذلال المؤدّب أو إهانة كرامته، ونحو ذلك، فإنه يمنع لمضادة ذلك للمقصود من تشريع التأديب بالهجر^(٢).

٤- أن يكون إيقاع الهجر في المدة المحددة من الشارع -ثلاثة أيام-، فيما إذا تعلق الأمر بسبب حظ النفس.

وأما إذا كان الهجر لحق الله تعالى، فهو غير موقت بوقت، وإنما هو معلق على وجود سببه، فمتى زال السبب زال الهجر^(٣).

وأما الضرب فهو وسيلة لاستقامة الولد، لا أنه مراد لذاته؛ بل يصار إليه حال عنت الولد وتمرده وعصيانه، وفي مثل هذا جاءت الوصية عن الرسول ﷺ معلماً الأب ردع الولد: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم»^(٤).

(١) ينظر: الذخيرة (١٢٠/١٢)، وتحرير المقال (ص ٨١)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠٦/٢٨ - ٢٠٧).

(٢) ينظر: الفروع (٥٦/٦)، والإنصاف (١٥٦/١٠).

(٣) ينظر: معالم السنن للخطابي (٥/٧)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٠٦/١٣)، وحاشية القليوبي على المنهاج (٣١٩/٤)، التأديب بالهجر. د/ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم التنم - شبكة الألوكة - (٣/٢٩) ١٤٣٤هـ - ١٠/٢/٢٠١٣ م.

(٤) رواه الطبراني (٢٤٨/١٠).

والحديث: حسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٦/٨).

وقال الألباني في صحيح الجامع (٤٠٢٢): «حسن»، وفي السلسلة الصحيحة (١٤٤٦) قال: «إسناده حسن».

وتبين الدراسة أهم القواعد التربوية عند استخدام عقوبة الضرب:

- ١- أن يكون الضرب بعد استخدام الأساليب التربوية المتبعة:
من الكلمة الطيبة، والأسلوب الحسن، من النصيح المصحوب بالبشاشة،
والتعليم المصحوب بالتوجيه، وتكراره بأساليب تربوية متنوعة ومختلفة.
- ٢- وألا يكون ضرب الولد إلا بعد بلوغه سنًا يكمل فيه تمييزه وتحمله وهو
سن العاشرة كما أسلفنا.
- ٣- وألا يكون وقت الغضب الشديد فيقع تشفيًا لا تأديبًا وتربيّة.
- ٤- وألا يوقع الضرر بالابن نفسيًا أو بدنيًا: بأن يكون أمام أقرانه وزملائه أو
أقاربه أو جيرانه، أو يكون الضرب على مكان يتوقع منه الضرر كالوجه والرأس
أو الحواس مثلًا أو بأن يترك أثرًا أو يكسر عظمًا أو يسيل دمًا.
- ٥- وألا يزيد الضرب على عشرة أسواط، لحديث أبي بردة الأنصاري^(١)
جهلته أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يُجلد أحدٌ فوق عشرة أسواط إلا في حدٍّ
من حدود الله»^(٢).

(١) أبو بردة بن نيار بن عمرو بن عبيد بن عمرو بن كلاب بن دهمان البلوي القضاعي الأنصاري، من حلفاء الأوس واسمه هانئ: وهو خال البراء بن عازب، شهد العقبة وبدراً والمشاهد النبوية، وبقي إلى دولة معاوية، وحديثه في الكتب الستة، حدّث عنه ابن أخته البراء، وجابر بن عبد الله، وبشير بن يسار، وغيرهم، وكان أحد الرمّة الموصوفين، وقيل: توفي سنة اثنتين وأربعين.
سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، وينظر: الموسوعة الحرة.

(٢) رواه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٣٢٢٢).

وفي رواية للبخاري: «لا عقوبة فوق عشر ضربات إلا في حدٍّ من حدود الله»^(١).

– قال ابن القيم **رحمته**: «فقوله **ﷺ**: «لا يضرب فوق عشرة أسواط إلا في حدٍّ من حدود الله» يريد به الجناية التي هي حق لله.

فإن قيل: فأين تكون العشرة فما دونها إذ كان المراد بالحد الجناية؟.

قيل: في ضرب الرجل امرأته وعبده وولده وأجيريه، للتأديب ونحوه، فإنه لا يجوز أن يزيد على عشرة أسواط؛ فهذا أحسن ما خرَّج عليه الحديث»^(٢). اهـ.

٦- وأن يشعر الأبُ ابْنَه أنه يحبه ويريد له الخير والفلاح والصلاح، وما لجأ لضربه إلا من أجل أن يصلحه ويقومه ويأخذ بناصيته للبر والتقوى.

٧- وألا يلجأ الأب إلى الضرب إلا كما يلجأ لآخر الدواء وهو الكي.

فتربية الأولاد تكون ما بين الترغيب والترهيب، وأهم ذلك كله إصلاح البيئة التي يعيش فيها الأولاد بتوفير أسباب الهداية والصلاح لهم وذلك بالتزام المؤدبين المسؤولين وهما الأبوان أولاً، ثم من يقوم بواجب التربية والتعليم من المعلمين والمربين ثانياً، وذلك باختيار المدارس الطيبة ذات السمعة الحسنة والتي تعنى باختيار المعلمين والمربين الصالحين عقيدة وسلوكاً ومنهاجاً، وكذلك اختيار حلق تحفيظ القرآن الكريم التي يقوم عليها الأخيار الفضلاء المشهود لهم بالعلم والفضل والديانة مع صحة العقيدة وسلامة المنهج، وهكذا في كل المحاضن التربوية والتعليمية والاجتماعية التي هي مصادر تلقى

(١) البخاري (٦٤٥٧).

(٢) إعلام الموقعين (٢٣/٢).

وتعليم وتربية، والتي يتلقى منها الناشئة العلم والسلوك والتهديب والأخلاق
وقد سبق بيان ذلك مفصلاً في مبحث روافد التربية فليرجع إليه.

وبهذا ينتهي الكلام عن التبكير بالتربية.

والحمد لله رب العالمين.



المطلب السادس

أساليب القرآن الكريم في التربية

ويشتمل على أربعة أساليب:

١- الأمر والنهي.

٢- الترغيب والترهيب.

٣- ضرب المثل.

٤- القصص القرآني.

بعد أن بينت الدراسة مظاهر عناية الإسلام بتربية الأبناء وفصلت تلك المظاهر من اختيار الزوجين ثم المعاشرة بينهما بالمعروف، ثم بينت أهمية التربية بالقدوة وبينت مكانتها في العملية التربوية، ثم ختمت بمبحث التبكير في عملية التربية وفصلت فيه وبينت أهمية العناية به، وحتى تكتمل تلك المظاهر فمن الأهمية بمكان بيان أهمية إبراز أهم الأساليب القرآنية في التربية.

ولا يخفى على أيّ مربٍّ حكيم أهمية الأسلوب في العملية التربوية؛ فأيّ عملٍ تربوي لا يمكن أن يترجم عن ذاته ويحقق أهدافه دون أسلوبٍ يعرضه أو وسيلة تمكنه من التجسد في سلوك الأفراد، إذا تقرر ذلك فما هي أهم أساليب القرآن في العملية التربوية؟ هذا ما ستعرض له الدراسة من خلال هذا المبحث.

وقبل الخوض والبحث في تلك الأساليب لا بد لنا من وقفة يسيرة على مفهوم الأساليب التربوية للتعرف على معناها في اللغة والاصطلاح.

تعريف الأساليب التربوية في اللغة والاصطلاح:

أولاً: المعنى اللغوي:

تعريف الأساليب لغة:

الأساليب: جمع أسلوب، وهو مشتق من: سَلَبَ، يَسْلُبُ، سَلْبًا، وَسَلُوبًا^(١).
و(سلب): السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفية واختطاف^(٢).

ومن معاني الأسلوب لغة:

- الطريق الممتد^(٣).
- الوجه، والمذهب؛ يقال: أنتم في أسلوبٍ سوءٍ.
- الفن؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي: أفانين منه^(٤).
- والأساليب: الفنون المختلفة، وأصل الكلمة يرجع للثلاثي «سلب» وهو نزع الشيء من الغير على سبيل القهر^(٥)، والقهر الغلبة^(٦).

(١) الصحاح (١/١٦٧) مادة: «سلب».

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٩٢) مادة: «سلب».

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي (ص ٩٨).

(٤) لسان العرب (١/٤٧١) مادة: «سلب».

(٥) الراغب الأصفهاني، المرجع نفسه: (٢٤٤).

(٦) محمد الفيروز آبادي، المرجع نفسه: (٦٠١)، محمد الرازي، المرجع نفسه: (٥٥٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

يعرف أبو العينين الأسلوب التربوي بقوله: «الأسلوب التربوي هو الإجراء المحدد لنقل المعلومات والمعارف أو المهارات أو الاتجاهات والقيم بهدف تحقيق هدف تربوي مرغوب فيه»^(١).

وقيل: «الأساليب: هي القوالب والتراكيب التي تصاغ فيها المعاني»^(٢).
وطريقة الإنشاء واختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير^(٣).

وأساليب التربية الإسلامية: هي مجموعة الطرق المعينة على تحقيق مقاصد هذه الرسالة في المجالات المختلفة^(٤).



(١) أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة (١٤٠٨ هـ) (ص ١٣٠).

أ. د. علي خليل مصطفى أبو العينين... أستاذ ورئيس قسم أصول التربية الإسلامية بجامعة الزقازيق، وفرع جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وينظر: مقدمة موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، الناشر، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، عدد المجلدات (١٢) مجلداً، الطبعة: الأولى.

(٢) مقدمة ابن خلدون (١٢٧٩/٢).

(٣) الأسلوب، لأحمد الشايب (ص ٤٤).

(٤) مقداد يا لجن، مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، ط ١ دار عالم الكتب، الرياض، (١٤١٩ هـ) (ص ١٣٣).

أولاً: أسلوب التربية بالأمر والنهي

معنى الأمر في اللغة:

— قال ابن فارس: «الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر: ضد النهي، والأمر: النماء والبركة بفتح الميم، والمعلم، والعجب»^(١).

أما الواحد من الأمور: فمنه قولك: أمرٌ رضيته، أمرٌ فلانٍ مستقيمٌ.

وأما الأمر ضد النهي: فمنه قولك: افعَلْ كذا، وقولهم: لي عليك إمرةٌ مطاعةٌ،

أي: لي عليك أن أمرَك مرةً واحدةً فتطيعني.

والأمر: النماء والبركة، ومنه أمرَ بنو فلان، أي: كثروا، وامرأةٌ أمرَةٌ، أي:

مباركةٌ على زوجها، ومهرةٌ مأمورةٌ، أي: نتوجُّ ولودٌ.

والأمر بمعنى المعلم: ومنه أمارَةٌ بيني وبينك، أي: علامةٌ.

والأمر بمعنى العجب، فيقال: أمرٌ وإمرٌ، أي: عجب منكر^(٢).

ويطلق لفظ الأمر على شيئين:

الأول: على طلب الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢].

(١) مقاييس اللغة (١/١٣٧).

(٢) مقاييس اللغة (١/١٣٧-١٣٩)، ولسان العرب (١/١٠٢)، والمصباح المنير

الثاني: يطلق على الفعل والحال والشأن، كقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهذا يجمع على أوامر^(١).

معنى الأمر في الاصطلاح:

جاء في تعريف الأمر كما ذكره ابن زيدان: وهو اللفظ الموضح لطلب الفعل على سبيل الاستعلاء، ويتحقق الفعل بصيغة الأمر المعروفة (افعل)، أو بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر، أو بالجملة التي يقصد بها الأمر والطلب لا الإخبار، وبأساليب ومعايير أخرى^(٢).

معنى النهي في اللغة:

النهي لغة المنع: وهو مصدر نهى يَنْهَى ضد الأمر وقيل خلافه. يقال: نهاه عن كذا، أي: منعه عنه، وفيه سمي العقل نهيًا لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب، ويمنعه عنه^(٣).

معنى النهي في الاصطلاح:

يعرفه زيدان بأنه: «طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء بالصيغة الدالة عليه»^(٤).

أهمية التربية بأسلوب الأمر والنهي:

إن المتأمل في القرآن الكريم يتبين له استخدام أسلوب الأمر والنهي في الآيات القرآنية بكثرة، وصيغة الأمر ترد لمعان كثيرة، منها: الوجوب، والندب،

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٢٤).

(٢) زيدان، عبد الكريم: الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة الرسالة - بيروت - (ص ٢٩٢).

(٣) القاموس المحيط (٤/ ٤٠٠)، ولسان العرب (٤/ ٧٣٤).

(٤) زيدان عبد الكريم: مرجع سابق (ص ٣٠١).

والإباحة، والتهديد، والتأديب، والتعجيز، والدعاء، وغير ذلك من المعان^(١).
 وإن للأمر أشكالاً عديدة وصيغاً، فكذلك للنهي صيغ عديدة تستخدم في بيان
 معنى النهي، منها: التحريم، والكراهة، والدعاء، والتأسيس، والإرشاد،
 وغيرها^(٢).

وجوب تعظيم الأمر والنهي وعلاقته بالإيمان بالله تعالى:

«إنّ الإيمان بالله تعالى مبني على التعظيم والإجلال له **عَلَى**»، وهو الدافع
 الذاتي والفعال في أمثاله أو امره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** واجتناب نواهيه، وإن العبد المؤمن
 صادق الإيمان يتلقى أوامر الله ونواهيه بالرضا والقبول والتسليم والانقياد
 والسمع والطاعة، إجلالاً لله وتوقيراً، وتعظيماً له سبحانه وتبجيلاً، لأن تعظيم
 الأمر والنهي إنما هو تعظيم وإجلال لمن أمر ونهى، وإن تعظيمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا
 يتم إلا بلزوم أمره فعلاً، ونهيه تركاً، فمن هنا كان لزوماً حتمياً على كل مؤمن
 الاستجابة لله تعالى بفعل المأمور وترك المحذور، وأطر نفسه على لزوم ذلك
 الأمر أطراً.

تمهيد حول تعظيم الأمر والنهي:

وفي محض الكلام عن تعظيم أوامر الله تعالى يقول ابن القيم:

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي:
 هو ألا يُعَارَظَ بترخصٍ جافٍ، ولا يُعَرَّضَ لتشديدٍ غالٍ، ولا يُحْمَلَا على علةٍ
 توهنُ الانقيادَ.

(١) زيدان، عبد الكريم: مرجع سابق (ص ٢٩٢).

(٢) زيدان، عبد الكريم: مرجع سابق (ص ٣٠١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي: (٣/٢٥٩).

«يريد: ألا يتأول في الأمر والنهي علة تعود عليهما بالإبطال، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بأنه معلل بإيقاع العداوة والبغضاء والتعرض للفساد، فإذا أمن من هذا المحذور منه جاز شربه، ومن العلل التي توهن الانقياد: أن يعلل الحكم بعلّة ضعيفة لم تكن هي الباعثة عليه في نفس الأمر فيضعف انقياد العبد إذا قام عنده أن هذه هي علة الحكم، ولهذا كانت طريقة القوم عدم التعرض لعلل التكاليف خشية هذا المحذور، وفي بعض الآثار القديمة: يا بني إسرائيل، لا تقولوا: لم أمر ربنا؟ ولكن قولوا: بم أمر ربنا»^(١).

ومعنى كلامه:

أَنْ أَوَّلَ مَرَاتِبِ تَعْظِيمِ الْحَقِّ ﷻ: تَعْظِيمُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ﷻ بِرِسَالَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ. وَمُقْتَضَاهَا: الْانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِتَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ وَاتِّبَاعِهِ، وَتَعْظِيمِ نَهْيِهِ وَاجْتِنَابِهِ؛ فَيَكُونُ تَعْظِيمُ الْمُؤْمِنِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَهْيِهِ: دَالًّا عَلَى تَعْظِيمِهِ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَيَكُونُ بِحَسَبِ هَذَا التَّعْظِيمِ مِنَ الْأَبْرَارِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالْبِرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ.

والأمر الثاني: الذي يستقيم به القلب، تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الأمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه، قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة! انتهى المراد من كلامه - رحمه الله تعالى -^(٢).

(١) ما بين علامتي التنصيص من مدارج السالكين (٢/ ٤٩٧).

(٢) الوابل الصيب (ص ٩).

فإنَّ إجلالَ الرَّبِّ تباركَ تَعَالَى وتَعْظِيمَه وتوقيره وتبجيله وتَمجيدَه مُستلزمٌ لتَعْظِيمِ أمره ونبيه ولزومِ أحكامِهِ الشرعيةِ ومُراعَاةِ حُدُودِهِ، والمُساوَاةِ في الاستجابةِ لأمره بفعلِ المأمور، وفي نبيه بتركِ المحذور.

الأمر والنهي بين: (الدلائل، واللوازم، والآثار، والثواب والعقاب):

أولاً: علامات ودلائل تعظيم الأوامر والمناهي:

أ - من علامات ودلائل تعظيم الأوامر:

يقول ابن القيم: «أن يراعي العبد أوقاتها وحدودها، ويأتي بأركانها وواجباتها وسننها، ويحرص على كمالها ويسارع إليها عند وجوبها فرحاً بها، ويحزن عند فواتها كمن فاتته صلاة الجماعة ونحوها، وأن يغضب لله إذا انتهكت محارمه، ويحزن عند معصيته، ويفرح بطاعته، ولا يسترسل مع الرخص، ولا يكون دأبه البحث عن علل الأحكام، فإن ظهرت له الحكمة حملة ذلك على مزيد الانقياد والعمل».

ب - من علامات ودلائل تعظيم المناهي:

«وأما علامات تعظيم المناهي فالحرص على التبعاد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه، ومجانبة من يجاهد بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها، فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته، ومن علامات تعظيم النهي أن يغضب

لله **عِظَالٌ** إذا انتهكت محارمه وأن يجد في قلبه حزناً وكسرةً إذا عَصِيَ اللهُ تعالى في أرضه ولم يضطلع ^(١) بإقامة حدوده وأوامره ولم يستطع هو أن يغير ذلك ^(٢).

ثانياً: من لوازم تعظيم أمر الله ونهيه:

إن تعظيم الأمر والنهي له لوازم لا تفارقه كالظل لصاحبه، فإن فارقه لا يصبح صاحبها معظمًا للأمر والنهي، وبقدر ضعف تلك اللوازم يضعف تعظيم الأمر والنهي في نفس العبد.

ومن أهم تلك اللوازم:

١- الانقياد التام والإذعان لأمر الله ونهيه، دون أي اختيار أو تردد:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣١﴾ [الأحزاب: ٣٦].

يقول الطبري: «يَقُولُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ-: لَمْ يَكُنْ لِمُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي أَنْفُسِهِمْ قَضَاءً أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ الَّذِي قَضَى فِيهِمْ، وَيَخَالِفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ وَقَضَاءَهُمَا فَيَعْصُوهُمَا، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَا أَوْ نَهَيَا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ يَقُولُ: فَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ» ^(٣).

ويقول الشوكاني: «ومعنى الآية: أنه لا يحل لمن يؤمن بالله إذا قضى الله أمرًا أن يختار من أمر نفسه ما شاء؛ بل يجب عليه أن يذعن للقضاء ويوقف نفسه

(١) (أي: لم يقو).

(٢) الوابل الصيب (ص ٢٥).

(٣) الطبري (٢٠/٢٧١).

تحت ما قضاه الله واختاره له»^(١).

ويقول ابن سعدي: «أي: لا ينبغي ولا يليق بمن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتنال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً من الأمور وحثما به وألزما به أن يكون لهم الخيرة من أمرهم أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجاباً بينه وبين أمر الله ورسوله.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ أي: بيناً، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولاً السبب الموجب لعدم معارضة أمر الله ورسوله ﷺ، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال»^(٢).

ويؤكد هذه المعاني مختصراً ما رواه الإمام البخاري معلقاً عن الإمام الزهري حيث يقول: «من الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم»^(٣).

ذلك لأن اختيار الله لعبده أصلح وأجدى وأنفع من اختياره لنفسه، وإن هذا من الدوافع التي تورث العبد إحسان الظن بالله رب العالمين، وتفويضه لأمره سبحانه في شأنه كله، وذلك عين العبودية الدافعة للانقياد والتسليم لأمر الله تعالى ونهيه.

(١) فتح القدير (١/ ١١٧١).

(٢) ابن سعدي (٦/ ١٣٧٨).

(٣) خلق أفعال العباد (ص ٨٨)، وينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٥١).

ومما يجدر الإشارة إليه ما ثبت في ذلك عن الرعيل الأول من جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم بهذا الصدد.

حديث رافع بن خديج رضي الله عنه حيث يقول: «جاءنا ذات يوم رجل من عمومتي، فقال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان لنا نافعاً، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا...» الحديث (١).

٢- عدم وجود أدنى ضيق أو حرج في النفس مع التسليم للأمر والنهي.

يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

يقول ابن سعدي: «يُخْبِرُ تَعَالَىٰ خَبْرًا فِي ضَمْنِهِ الْأَمْرُ وَالْحَثُّ عَلَىٰ طَاعَةِ الرَّسُولِ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ، وَأَنَّ الْغَايَةَ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُلِ أَنْ يَكُونُوا مُطَاعِينَ يَنْقَادُ لَهُمُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ فِي جَمِيعِ مَا أَمَرُوا بِهِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَأَنْ يَكُونُوا مُعْظَمِينَ تَعْظِيمَ الْمُطِيعِ لِلْمُطَاعِ» (٢).

وإن من جليل أمر الإذعان والتسليم والانقياد لأمر الله ونهيه، أن الله تعالى بين في محكم آي التنزيل في كتابه المجيد وجوب الانقياد لأوامره واجتناب نواهيه والاستسلام لحكمه وشرعه في نيف وعشرين موضعاً.

لذا يجب على المكلف اعتقاد أن أمر الله ونهيه إنما هو لحكمٍ عظيمة وجليلة، ومن مقتضى الإيمان به سبحانه اعتقاد أنه لا يشرع لعباده إلا ما فيه

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود (٣٣٩٥)، والنسائي (١٥٠/٢)، والطحاوي (٢/٢٥٦)

و(٢٥٨)، والبيهقي (١٣١)، وأحمد (٣/٣٦٥).

(٢) ابن سعدي (٢/٣١٩).

الخير والصلاح لشأنهم كله في معاشهم ومعادهم، ظهرت تلك الحكم للمكلف أم لم تظهر، ولا يتوقف انقياد المسلم لأمر الله تعالى على معرفة الحكمة التشريعية من وراء الأمر والنهي؛ بل يكفيه العلم بأمر الله ونهيه، فيسارع إلى الاستجابة والانقياد والتسليم والقبول.

وفي صدد ذلك يقول ابن القيم رحمته في «الوابل»: «ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يحمل الأمر على علة تُضعف الانقياد والتسليم لأمر الله تعالى، بل يُسَلَّمُ لأمر الله تعالى وحُكمه، ممتثلاً ما أمر به، سواء ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه: حمله ذلك على مزيد الانقياد بالبدل والتسليم لأمر الله»^(١).

ويقول ابن القيم في «المدارج»: «فإنه إذا لم يمثل الأمر حتى تظهر له علته لم يكن منقاداً للأمر، وأقل درجاته أن يضعف انقياده له، وأيضاً فإنه إذا نظر إلى حكم العبادات والتكاليف مثلاً وجعل العلة فيها هي جمعية القلب والإقبال به على الله فقال: أنا أشغل بالمقصود عن الوسيلة، فاشتغل بجمعيته وخلوته عن أوراها العبادات فعطلها وترك الانقياد بحمله الأمر على العلة التي أذهبت انقياده، وكل هذا من ترك تعظيم الأمر والنهي، وقد دخل من هذا الفساد على كثير من الطوائف ما لا يعلمه إلا الله، فما يدري ما أوهنت العلة الفاسدة من الانقياد إلا الله، فكم عطلت لله من أمر، وأباحت من نهى، وحرمت من مباح! وهي التي انفقت كلمة السلف على ذمها..»^(٢).

(١) الوابل الصيب (ص ٣٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٩٨).

يوضح الباحث ويقول: لا حرج من البحث عن الحكمة في مظانها، فيما يمكن أن تظهر فيه الحكمة، ومما بينه أهل الاستنباط، دون تكلف مذموم يؤدي إلى استمرار ذلك في كل أمر ونهي والوقوف عنده حتى تظهر له علته، وقد يفتح الشيطان على صاحبه بسبب ذلك باباً لا يسدّ، من اعتراض دائم ليس له حدّ.

ثالثاً: ومن أجل آثار تعظيم الأمر والنهي

أنه يورث المؤمن دوام الاستسلام والانقياد لأمر الله ونهيه، ولا شك أن هذا من أهم عوامل الهداية والثبات على الدين والأمن من عذاب رب العالمين، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

يقول الطبري: «فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به، وهذا مثل، وإنما يعني بذلك: أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة. أي: فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنه لا يعذبه»^(١).

يقول ابن سعدي: «أي: بالعروة التي من تمسك بها توثق ونجا، وسلم من الهلاك، وفاز بكل خير»^(٢).

رابعاً وختاماً: الأمر والنهي بين الثواب والعقاب:

إن العقابة الحميدة للاستجابة للأمر والنهي؛ هي الجنة.
وإن العقابة الوخيمة لمن لم يستجب للأمر والنهي؛ هي النار.

(١) الطبري (١٥٠/٢٠).

(٢) ابن سعدي (١٣٥٥/٦).

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِثْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ الْغِيَاطِ الْوَعْدُ﴾ [الرعد: ١٨].

قال البغوي: «قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: (أجابوا لربهم فأطاعوه)، ﴿الْحُسْنَىٰ﴾: (الجنة)، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِثْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ ۗ﴾ أي: لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداءً من النار، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾.

قال إبراهيم النخعي: ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾: أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له من شيء، ﴿وَمَاؤُهُمْ﴾ (في الآخرة) ﴿وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ﴾ (الفراش)، أي: (بئس ما مهد لهم) إلى ضلالٍ يسير والعياذ بالله، فنسأل الله السلامة^(١).

والمأمل في القرآن الكريم يجده مليئاً بالأوامر والنواهي التي تحت العباد وتأميرهم بأعظم الأوامر -ألا وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة- وترغيبهم إلى كل خير فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وتنهاهم عن أعظم المناهي -ألا وهو الشرك في عبادة الله- وتنفرهم منه، ومن كل شر وسوء وضر يوقعهم في طرق الضلال ويسلك بهم مسالك أهل الغواية، لذا فإن أسلوب الأمر والنهي يعد من أنجع الأساليب القرآنية في التربية، التي ينبغي على المرين العناية والأخذ بها واعتمادها في مقدمة الأساليب التربوية المستخدمة في العملية التربوية المتكاملة.

والحمد لله رب العالمين.

(١) البغوي (٤/ ٣٠٩).

ثانياً: التربية بأسلوب الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب أحد الأساليب التربوية الوارد استخدامها بكثرة في كتاب الله تعالى، مما يدل على أهميتها وضرورتها في العملية التربوية التي مبنها على الوسطية والاعتدال، والتي تحمل بين جنباتها مبدأ الثواب والعقاب، والذي هو من ثمار ونتاج أسلوب الترغيب والترهيب الذي يجب على المربي استصحابه في الأمر والنهي والأخذ به أسلوباً فعالاً ومؤثراً في نجاح العملية التربوية.

وانطلاقاً مما سبق يقوم الباحث بالتعريف بهذين الأسلوبين مبيناً ما يلي:

أولاً: مفهوم الترغيب والترهيب:

أ. مفهوم الترغيب في اللغة والاصطلاح:

١- تعريف الترغيب لغة:

الترغيب مصدر قولهم: رغبه في الشيء؛ أي: أوجد فيه الرغبة إليه^(١). والرغبة تطلق ويراد بها السؤال، والطمع، والحرص على الشيء، والرغبة فيه، والإرادة له.

(١) ابن حميد صالح بن عبد الله وآخرون: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم... إعداد مجموعة من المتخصصين، صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن ملوح، دار الوسيلة، جدة (١٤١٨هـ) (٢١٢٧).

قال ابن منظور في مادة رغب: «رَغِبَ يَرُغِبُ رَغْبَةً: إذا حرص على الشيء ورغب فيه: إذا حرص على الشيء ورغب فيه. والرغبة: والرغبة السؤال والطمع. ورغبه أعطاه ما رغب»^(١).

وقال ابن زكريا في «معجم مقاييس اللغة»: «الراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلب الشيء، والآخر سعة في الشيء، فالأول الرغبة في الشيء: الإرادة له: رَغِبْتُ في الشيء. فإذا لم ترده قلت: رَغِبْتُ عنه»^(٢).
والرغبة هنا ترجع إلى المعنى الأول وهو الإرادة للشيء.

٢- تعريف الترغيب في الاصطلاح:

عرفه النحلاوي أنه: «وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة، أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده»^(٣).
ويعرفه الحدري بقوله: «وعد من الله بالجزاء العاجل أو الآجل أو كليهما على فعل مأمور أو ترك محظور»^(٤).

(١) ابن منظور: لسان العرب - مصدر سابق - (١/٤٢٢-٤٣٢) باب الباء فصل الراء، مادة: (رغب).

(٢) ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط ١)، دار الجليل، بيروت (١٤١١هـ)، (٢/٤١٥-٤١٦)، مادة: (رغب).

(٣) النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق (ص: ٢٨٧).

(٤) الحدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن: «التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها»، رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة (١٤١٨هـ)، (ص ٢٦٥).

(ب) مفهوم الترهيب:**١- تعريف الترهيب في اللغة:**

الترهيب مصدر قولهم: رهبه من الشيء بمعنى أخافه منه خوفاً شديداً،
والرهبة مصدر كلمة (رهب) التي تدل على الخوف.

— قال ابن منظور: «رهب بالكسر، يرهب رهبة ورهباً بالضم، ورهباً بالتحريك: أي: خاف، ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبةً: أي خافه»^(١).

٢- تعريف الترهيب في الاصطلاح:

عرف النحلوي الترهيب بأنه: «وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، أو التهاون في أداء الفريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائماً على حذرٍ من ارتكاب الهفوات والمعاصي»^(٢).

ثانياً: أهمية التربية بأسلوب الترغيب والترهيب:

التربية الإسلامية تربية متكاملة تنظر إلى الإنسان نظرة شاملة متكاملة من جميع الجوانب لأنها هي التربية «الوحيدة التي تنطلق في أصولها وغاياتها وأهدافها ووسائلها من خلال نظرة صحيحة تجاه الكون والإنسان والحياة. ومن هنا جاءت أساليبها التربوية محققة للأهداف والغايات التي خلق الكون والإنسان والحياة من أجلها»^(٣).

(١) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم: «لسان العرب»، دار صادر، بيروت، (١٤١٤هـ)، (١/٤٣٦)، مادة: (رهب).

(٢) النحلوي-عبد الرحمن:- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: دار الفكر- ط (٢٥، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) (ص ٢٨٧).

(٣) الحدري-التربية الوقائية في الإسلام-مرجع سابق- (ص ٢٧٨).

ومن جملة الأساليب التي لاقته اهتماماً كبيراً في القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب؛ وذلك بغية إيجاد الإنسان المسلم الصالح المصلح.

– يقول الجمالي: «أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية التي لا يستغني عنها المربي في كل زمان ومكان، ومهما عمل في حقل التربية، فلن يستطيع السير طويلاً ما لم يعرف الطفل والإنسان أن هناك نتائج سارة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيراً نال السرور والحلاوة، وإن عمل شراً نال الألم والمرارة»^(١)، ولذا فعلى مربي النشء الذي يريد أن يغرس فيهم الأخلاق الفاضلة ويؤسس فيهم السلوك الحميد أن يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب، فمن الناس من يستجيب بالترغيب ومنهم من يستجيب بالترهيب.

ومن هنا شرع الإسلام عبر مصادره أسلوب الترغيب والترهيب، وقدره ليكون أسلوباً تربوياً إسلامياً. وذلك من خلال كثير من النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فالمتتبع لآيات الكتاب الحكيم يجد أن الترغيب والترهيب قرينان لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر، من ذلك ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي

نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

«ولعل السر في ذلك، أن في الفصل بينهما خطورة عظيمة في تربية الشخصية

(١) الجمالي، محمد فاضل: نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، الدار التونسية، تونس، (١٩٧٢م) (ص ١٦٦).

الإسلامية ، فإن المربين حين يطرقون جانب الترغيب في كل توجيه أو تعليم متناسين تمامًا جانب التهيب، وإنما يفتحون للرجاء بابًا لا يسد، فيظل المؤمن يرجو ما عند الله ، معتمدًا على حسن الظن بالله، فيتعاس عن أداء الواجبات، أو يتجرأ على انتهاك المحرمات، أو يحمل على أثر ذلك عقيدة ضالة. وحين يظل المربي يطرق جانب التهيب الذي يورث الخوف فحسب متناسيًا جانب الرجاء، فإنه ربما أورث في من يتربى تحت يديه قنوطًا من رحمة الله، ويأسًا من جوده وإحسانه. لكن منهج القرآن والسنة في الترغيب والتهيب ألا يفصل بينهما ليكون المؤمن على جناحين يطير بهما، جناح الخوف، وجناح الرجاء، أو جناح الترغيب وجناح التهيب، فيسير نحو ربه سيرة متوازنة»^(١).

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم: «القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر»^(٢).

وبناء على ما سبق فإنه يتحتم على المربي الاهتمام بهذا الأسلوب وانتهاجه في العملية التربوية، وعدم الاكتفاء بأسلوب دون آخر، بل عليه أن يوازن بينهما لأن كلاً منهما مكمل للآخر، وأن يعرف متى ينتهج هذا الأسلوب أو ذلك حسب الشخص الذي أمامه وحسب المواقف التي يمر بها ودواعيها.

(١) الحدرى: التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق (ص: ٢٨٥-٢٧٣).

(٢) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، مرجع سابق (١/ ٥١٣).

أقسام الترغيب والترهيب:

يمكن تقسيم الترغيب والترهيب على أساسين:

الأساس الأول: على أساس نوع الترغيب والترهيب.

الأساس الثاني: على أساس تعجيل أو تأجيل الثواب أو العقاب.

أما الأساس الأول: نوع الترغيب والترهيب:

فينقسم الترغيب والترهيب من حيث نوعه إلى قسمين:

القسم الأول: الترغيب والترهيب المادي الحسي:

وهو ما يطلق عليه التشجيع أو الحوافز في حالة الترغيب، والعقاب البدني في حالة الترهيب ويدخل فيه الضرب.

القسم الثاني: الترغيب والترهيب المعنوي:

ويطلق على الترغيب في هذه الحالة بالتشجيع المعنوي أو الحوافز المعنوية، ومن أمثلتها الشكر والمدح والاستحسان، وما إلى ذلك من صور الإشادة التي تعطي الناشئ ثقة في نفسه وتشجعه على فعل المزيد من الأعمال الجيدة الأخرى.

أما الترهيب المعنوي:

فله عدة صور تمثل درجات العقاب المعنوي، نرتبها في النقاط التالية ابتداءً بأخفها:

* **التأنيب والتوبيخ:** كما حدث من رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه حينما عيّر

رجلاً بأمه، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»^(١).

(١) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (صحيح البخاري) ضبطه ورقمه =

*** المقاطعة والهجر:** وهذا الأسلوب من العقوبة استخدمه النبي ﷺ مع الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، فقد نهى النبي ﷺ عن كلامهم وقد سبق بيانه في طيات البحث مفصلاً.

*** التهديد والوعيد:** وهو يسبق تنفيذ العقوبة، وقد يكون مصاحباً للترهيب والتخويف بجميع درجاته حتى إيقاع العقوبة^(١).

وأما الأساس الثاني: على أساس تعجيل أو تأجيل الثواب أو العقاب:

فيقسم الترغيب والترهيب بناء على الأساس السابق إلى ثلاثة أقسام كما يلي:

القسم الأول: ما كان ثوابه أو عقابه عاجلاً في الدنيا: فإن العبد حين يحسن مع ربه سبحانه أو مع نفسه أو مع الآخرين، فإنه موعود بأن يعجل له الثواب والأجر، سواء كان هذا الثواب مادياً أم معنوياً، وفي المقابل فإن صاحب الإساءة قد تعجل له العقوبة في الدنيا، كأكل الربا تعجل عقوبته بمحق بركة ما جمع من الأموال وزوالها.

القسم الثاني: ما كان ثوابه أو عقابه مؤجلاً للعبد في الآخرة؛ وكثيراً من الأعمال الصالحة وأغلب الذنوب والمعاصي من هذا القسم.

القسم الثالث: ما يجمع الله فيه بين الثواب أو العقاب العاجل والآجل: ومن ذلك صلة الرحم أو قطعها، فالواصل لرحمه يتحقق له خيراً الدنيا والآخرة.

=مصطفى ديب البغا - ط ٣ - دار ابن كثير - دمشق - بيروت (١٤٠٧هـ)، (٢٠/١)، كتاب الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، حديث رقم: (٣٠).

(١) جوهرى، محمد ربيع: أخلاقنا - ط ٢ - توزيع دار الاعتصام (١٤١٨) (ص ٧١، ٧٣).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»^(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويبعدني عن النار، فقال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»^(٢)، أما القاطع لرحمه فهو متوعد بالعقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجد أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة: من البغي وقطيعة الرحم»^(٣).

الدلالات التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب:

لا شك أن التربية الإسلامية تأخذ في الاعتبار ما للشواب والعقاب من أهمية في تشكيل سلوك الفرد، وتستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في تنشئة المسلم

(١) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧)

(٢) البخاري - المصدر السابق - باب الزكاة، باب: وجوب الزكاة (٥٠٥/٢ - ٥٠٦)، حديث (رقم: ١٣٣٢)، والنيسابوري: صحيح مسلم - المصدر السابق - (٤٢/١) كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، حديث (رقم: ١٣).

(٣) الترمذي: سنن الترمذي - مصدر سابق - (٤/٦٦٤)، كتاب صفة القيامة، حديث (رقم: ٢٥١١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٠٧-٣٠٨) حديث (رقم: ٢٠٣٩).

وينظر: الزيلعي، أحمد بن علي بن عمر، المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير كلية التربية - قسم التربية الإسلامية والمقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المكتبة المركزية، مكة المكرمة (ص ١٢٨/١٣٣) (١٤٢٥-١٤٢٦هـ) - بتصرف.

تنشئة صالحة، وذلك لكونه من الأساليب المؤثرة تأثيراً فعالاً على الفرد المسلم، بإثارة وجدانه ونوازع الخير فيه، واستغلال ميوله الفطرية، فيما يفيدها ويحقق سعادتها وسرورها واجتنابها لما يؤذيها، ويكون مصدر شقائها وآلامها، فلا عجب أن يستفيد المنهج التربوي في الإسلام من هاتين النزعتين لدفع الإنسان إلى فعل الخيرات والطاعات واجتناب الشرور والآثام.

وهناك ميزات لأسلوب الترغيب والترهيب جعلت منه أسلوباً ذا دلالات تربوية واضحة ذكرها النحلاوي^(١).

ويمكن إجمال هذه الدلالات التربوية فيما يلي: يعتمد أسلوب الترغيب والترهيب على الإقناع والبرهان، فليس من آية أو حديث نبوي فيه ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة، إلا ولها علاقة أو فيها إشارة من قريب أو بعيد إلى الإيمان بالله واليوم الآخر على الغالب، أو فيها توجيه خطاب إلى المؤمنين.

وهذا معناه تربوياً أن نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئة ليتسنى لنا ترغيبهم في الجنة وترهيبهم من عذاب النار وليكون لهذا الترغيب والترهيب ثمرة عملية سلوكية.

يكون أسلوب الترغيب والترهيب مصحوباً بتصوير شائق للجنة ونعيمها أو بأسلوب فيه تخويف وترهيب من النار وعذابها، كل ذلك بأسلوب واضح يفهمه الناس جميعاً، لذلك يجب على المربي أن يستخدم هذا الأسلوب ويقربه إلى أذهان الناشئة بما يناسب عقولهم وأذهانهم.

(١) النحلاوي (١٩٧٩) (٢٥٨ - ٢٥٩) أصول التربية الإسلامية وأساليبها - ط١ - دار الفكر - دمشق.

يعتمد أسلوب الترغيب والترهيب على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية:

كعاطفة الخوف من الله التي أمر بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ

أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ومدح عباده الذين يخافونه ووعدهم بالثواب العظيم قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

بل أمر أن ندعوه خوفاً من عذابه وطمعاً في ثوابه قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

[الأعراف: ٥٦].

وعلى تربية هذه العاطفة الربانية بنيت كثير من العبادات والمعاملات، كالنفع في البيع والشراء ورعاية اليتيم، وحسن معاملة الزوجة، والعدل بين الأولاد فكل من خاف ربه كان إنساناً فاضلاً عادلاً في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستح من ربه يفعل ما يشاء بلا ضابط ولا وازع.

وكصفة الخشوع: ومعنى الخشوع: التذلل والخضوع والشعور بالانقياد والعبودية لله تعالى، وهو ثمرة الخوف من الله والتي ينبغي أن يستشعرها المربي فتنتقل إلى طلابه، أو أبنائه بالاكتساب والانفعالية، والاقتران به والمحبة له، وكما أن في النفس عواطف سلبية ترافق التربية بالترهيب كالخوف والخشوع، كذلك في النفس عواطف إيجابية ترافق التربية بالترغيب، **ومن أهمها:**

أ- المحبة: وقد فطر الإنسان منذ طفولته على الميل إلى أن يحب وأن يكون

محبوبًا ، وقد ورد الحب في القرآن في عدد من الآيات، والحب في الأصل كما هو معروف بين الناس تعلق المحب بالمحبوب وتتبع آثاره ودوام تذكره وحضور القلب معه وعمل ما يرضيه ويحقق سروره، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وإذا تتبعنا حياة النبي ﷺ، نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصًا على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته دون أن يكون عليه رقيب من البشر، وأن من أهم العوامل التي تؤدي إلى محبة الله الشعور بفضله، والتعرف إلى نعمه وإلى ما أعد من الثواب والأجر العظيم للمتقين في جنات النعيم.

ب- الرجاء: هو الطمع في رحمة الله، والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده، وقد كان هذا الرجاء دافعًا إلى الجهاد وطلب الموت في سبيل الله فكان الصحابي المجاهد يقول: «بخ.. بخ»^(١) هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل فأقتل في سبيل الله؟» ويهجم على الأعداء حتى يستشهد.

وغرس هذا الرجاء في نفوس الناشئة يبنى على الإيمان بالله واليوم الآخر

(١) وذلك عندما قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض» قال: عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض قال: «نعم» قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل. صحيح مسلم: (ج٣) (ص١٥١٠).

وعلى الإكثار من وصف الجنة ونعيمها وربطها بضرورة التقيد بأوامر الله وترك نواهيه.

تعتمد التربية بأسلوب الترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينهما.

فلا يجوز أن يطغى على قلب الإنسان الرهب والخوف حتى ييأس من روح الله، فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولا يغلب عليه الرجاء والطمع حتى يأمن مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

واستشعار غضب الله يجب أن لا ينسينا رحمته وإرادته المطلقة ينبغي ألا تنسينا حكمته، قال تعالى: ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رحمته: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»^(١).

هكذا يجب أن نربي العواطف الربانية عند الناشئة باعتدال واتزان فلا يتمادون في المعاصي، مغترين برحمة الله ومغفرتة ولا ييأسون من رحمة الله، فيتركوا العمل بدعوى أن الكثير من الناس منغمس في المعاصي والشهوات.

(١) مسلم (٢٧٥٥)، والترمذي (١٩٨٨)، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب خلق الله مائة رحمة، حديث (رقم: ٣٥٤٢) (ص ٨٠٤)، صحيح ابن حبان (٣٤٥)، وصحيح الجامع - الألباني - (٥٣٣٨).

قوة أسلوب الترغيب والترهيب في الإقناع:

إن التربية بأسلوب الترغيب والترهيب من أقوى أساليب التربية الإسلامية في الإقناع وذلك من عدة نواح؛ منها:

- ١- أنه أسلوب يتوافق مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها من الرغبة في جلب المنافع ودفع المضار.
- ٢- أنه أسلوب قوي في إثارة الدوافع لدى الإنسان في الحصول على هدف معين.

٣- أنه طريق مؤثر وفعال جداً ومنتج لحافز ذاتي داخل النفس الإنسانية يحقق^(١) التوازن بين الترغيب والترهيب.

فمن المهم أن يتوازن الخطان الترغيب والترهيب في قلب المسلم فلا يطغى أحدهما على الآخر.

يقول الغزالي: «فإن غلب عليك الرجاء حتى فقدت الخوف البتة؛ وقعت في

طريق الأمن

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۗ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[الأعراف:٩٩]، وإن غلب عليك الخوف حتى فقدت الرجاء البتة؛ وقعت في

طريق اليأس قال تعالى: ﴿يَبْنَؤُاْ أَذْهَبُواْ فَتَحَسَبُواْ مِن يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُواْ مِن

رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ ۗ لَا يَأْتِسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فإن كنت ركبت

بين الخوف والرجاء واعتصمت بهما جميعاً؛ فهو الطريق العدل المستقيم التي

(١) جبار - سالم بن سعيد - الإقناع في التربية الإسلامية - ط ٢ - دار الأندلس الخضراء -

هي سبيل أولياء الله وأصفيائه الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] (١).

ويقول الأغا (٢): «إنه ليس بالإمكان استخدام أحد الأسلوبين دون الآخر وذلك للأسباب التالية:

* **السبب الأول:** تفاوت طباع الناس والاختلاف في امثالهم للمبادئ وانقيادهم للسلوك واحترامهم للقيم واتباعهم للتعاليم وحرصهم على الالتزام.

* **السبب الثاني:** هو أن النفس الواحدة تقوى وتضعف كنتيجة لتعرضها لظروف متنوعة وقد يكون سلوك الفرد مقبولاً أو مرفوضاً.

* **السبب الثالث:** أن النفس قد تضل ضلالاً يختلف من حيث الدرجة فتكون على استعداد للعودة إلى الحق بسرعة أو لا تكون، وهي قد تكون في بداية طريق الضلال والانحراف وقد تكون متوغلة فيه.

* **السبب الرابع:** هو أن النفس تتوازن بالخوف والرجاء والأمل، وتزداد سرعة توجهها نحو الحق، فالخوف بلا رجاء يؤدي إلى اليأس والقنوط، والرجاء بلا خوف يؤدي إلى التباطؤ والكسل والتراخي في سعادة الفرد إلى ما يرجوه.

(١) القرضاوي يوسف بن عبد الله -المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري- دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة (ص ٤٣) - (١٩٩٣م).

(٢) الأغا -إحسان الخليل- أساليب التعليم والتعلم - ط ١ - الجامعة الإسلامية - غزة - (ص ٢٥٥) (١٩٨٦م).

*** السبب الخامس:** هو أن التعليم إعداد للحياة، والحياة فيها ثواب وعقاب، ويترتب على الثواب رغبة، كما أنه يترتب على العقاب رهبة.

*** السبب السادس:** هو أن الرغبة في تحقيق الأهداف وإشباع الحاجات والرغبة من مواطن الخطر والألم والخسارة هما من المشاعر الفطرية عند الإنسان والحيوان، والفارق بين الإنسان والحيوان في استشعار الألم واللذة حيث إنها في الحيوان تقوم على الارتباط المباشر أو الشرطي، أما عند الإنسان فتعتمد على الإدراك والتمييز، وأما عند الإنسان المتعبد وعند أولي الألباب تقوم على التدبر والتأمل والتفكير والتذكر^(١).

الأثار التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب:

لا شك أن انتهاج هذا الأسلوب التربوي الإسلامي يثمر ثمرات وآثاراً تربوية بالغة تؤثر في شخصية الناشئة وتصوغها صياغة متزنة، ولعل من أبرز الآثار التربوية لهذا الأسلوب ما يلي:

١ - غرس العقيدة الصحيحة في قلوب الناشئة، والتي تثمر استقامة حسنة وسلوكاً قويمًا في كل جانب من جوانب الحياة.

٢ - صياغة شخصية الناشئة وصبغها بصبغة إسلامية تقوم على الموازنة بين جناحي الخوف والرجاء، اللذين هما ركنا السير إلى الله تعالى عبر هذه الرحلة الطويلة التي يقطعها الإنسان إلى الدار الآخرة.

(١) اصليح/ محمد عطية إسماعيل - مضامين تربوية مستنبطة من كتاب مختصر الترغيب والترهيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، الجامعة الإسلامية- المدينة النبوية/ كلية التربية، قسم أصول التربية - الإسلامية/ رسالة ماجستير/ غير منشورة/ بتصرف يسير (ص/ ٢٧-٣٠، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٣- تربية العواطف الربانية التي خلقها الله في هذه النفس كعاطفة الحب والخوف والرجاء والخشوع.

٤- إثارة الحوافز الذاتية التي تكون سداً منيعاً يحول بين العبد وبين مقارفة ما حرم الله عليه، سواء كان ذلك في الجلاء أو الخفاء^(١).

٥- أسلوب الترغيب والترهيب يعالج الطبيعة البشرية التي عبر عنها حنظلة رحمته بقوله: «نافق حنظلة»^(٢)، وهو فتور أثر المواعظ بعد زمن، وهذا من ضعف بني آدم، فجاء أسلوب الترغيب والترهيب يعالج هذا الضعف، يقول ابن الجوزي: «المواعظ كالسياط، لا تؤلم بعد انقضائها، وإيلامها وقت وقوعها.. وهذه حالة تعم الخلق، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر، فمنهم من يعزم بلا تردد، ويمضي من غير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع، لضجوا، كما قال حنظلة رحمته عن نفسه: نافق حنظلة»^(٣).

٦- في الترغيب والترهيب تدريب للنفس على المجاهدة وتعويد لها على المصابرة، فإن الإنسان إذا فتر عن القيام بالعمل الصالح تذكر الفضل الذي سيحصله منه، فرغب نفسه للقيام به، وجاهد نفسه على ذلك، وإذا هم بعمل السيئة تذكر العقاب المترتبة، ورهب نفسه من فعله وجاهدها على تركه.

٧- وفي الترغيب والترهيب تمهيد طريق الإنابة إلى القلوب.

(١) الحدري التربية الوقائية في الإسلام - مرجع سابق - (ص: ٢٨٢)، وينظر: -الزيلعي - المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة - مرجع سابق - (ص ١٣٥) بتصرف يسير.

(٢) مسلم (١٣٣٤ هـ)، (ج ٨) (ص ٩٤).

(٣) ابن الجوزي - صيد الخاطر - دمشق - دار القلم - (ص ٢٤) (١٤٢٥ هـ).

قال ابن القيم رحمته: «إنما يشهد افتقار العبد إلى العظة وهي الترغيب والترهيب إذا ضعفت إنابته وتذكره، وإلا فمتى قويت إنابته وتفكره، لم تشتد حاجته إلى التذكير والترغيب والترهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي.

والعظة يراد بها أمران: الأمر والنهي المقرونان بالرغبة والرغبة، ونفس الرغبة والرغبة، فالمنيب المتذكر شديد الحاجة إلى الأمر والنهي والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب»^(١).

٨- في الترغيب والترهيب إدراك لمنافع الاستجابة ومضار المخالفة، وهذا ادعى للقبول وأعظم وقعا في النفوس وأرسخ في التعلم وأدعى إلى الاستقامة من مجرد المعرفة، فحاجة الإنسان ومصلحته من سلوك معين تدعوه لتلبية الأمر وترك النهي.

٩- في أسلوب الترغيب والترهيب ثراء تربوي، فهو يتيح للمربي التنوع في الأساليب التربوية، ويغنيه عن الأساليب التي قد تنفر الناشئ أو تتيح للمربي حصرها في حدود ضيقة جداً، فإن المسارعة إلى أساليب العقوبة البدنية مضره بالابن والناشئ الصغير.

- يقول ابن خلدون في بيان أثر أساليب القهر والردع على الفرد؛ بل وعلى المجتمع في تحليل فريد سابق لزمانه: «الشدة على المتعلمين مضره بهم وذلك بأن إرهاف الحد بالتأليم مضر بالتعليم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء

(١) ابن القيم محمد بن أبي بكر، الفوائد - بيروت - دار الكتب العلمية (١٣٩٣هـ) (ص ٤٤٥).

الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين، سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت هذه عادة وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية لديه»^(١).

١٠- هذا الأسلوب يرسخ السلوك الإيجابي ويحفز المتواني عنه لفعله، ويتأني بالمخطئ عن السلوك، وفي القرآن الكريم ما يبين الله ذلك ويؤكد، قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

يَرَهُ. ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، ولولا ذلك لعمّ الظلم وانتشر، لأن الأمن من العقوبة يؤدي إلى السلوك الخاطئ وقديماً قالوا: (من أمن العقوبة أساء الأدب)، وإذا غاب الثواب قد يتكاسل المحسن، إذن فالترغيب والترهيب يؤديان إلى صحة مسيرة المجتمع والعملية التربوية.

١١- في استخدام أسلوب الترغيب والترهيب سلامة للناشئ من الآفات النفسية الناشئة عن استخدام الأساليب العقابية غير التربوية، وإن كثرة استخدام العقاب وترك الأساليب غير الجاذبة كأسلوب الترغيب والترهيب، يكسب المعاقب جرأة على الخطأ واستهلاله له، وتزول هيبته ارتكابه وينكسر حاجز الخوف من اقترافه، فكثرة العقاب والاستمرار فيه تجعل المترابي يتنبأ بنوع العقوبة التي ستحل به دون وعي ذاتي بخطأ سلوكه والرغبة في تصحيحه

(١) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. - بيروت - دار الفكر (١٤٠٨هـ) ط ٢ (ص ٧٤٣).

وتعديله؛ بل إن هذا التكرار يفقد العقاب قيمته في نظر الناشئ^(١).

ثالثاً: التربية بأسلوب ضرب الأمثال:

ضرب الأمثال أسلوب عظيم من أساليب التربية ورد استعماله في القرآن الكريم كثيراً لتوجيه الإنسان وتعليمه وإيصال المعلومات إليه عبر عرضها بصورة ماثلة أمامه يستشعرها ويحس بها ويعايشها فتقلب الصورة المجردة إلى أشياء محسوسة يدركها ويتفاعل معها، ولا شك أن تشبيه المعاني الذهنية المجردة بالأشياء الحسية والملموسة يؤدي إلى وضوحها، وضرب الأمثال يؤدي إلى تقريب الأفكار من العقل وجعلها مفهومة، كما يؤدي التشبيه والتمثيل إلى إدراك المعنى وتكوين صورة له في المخيلة، ويجعل التأثير بتلك الصورة أشد من الأفكار المجردة، بالإضافة إلى ما في التصوير والتشخيص الحي من الإثارة والمتعة، مما يطرد السأم عن المتعلم ويجعله متقد الذهن حاضر البديهة، ولذلك كثر الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم.

ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، وتأقي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح

(١) عمار، محمود إسماعيل-الرياض- دار عالم الكتب (١٤٢٠هـ) (ص ٣٠٣) وينظر:-

السلمي-سلطان رجاء الله سلطان- المضامين التربوية المستنبطة من سورة التحريم وتطبيقاتها في واقع الأسرة المعاصرة. رسالة ماجستير غير منشورة (١٤٣٢-١٤٣٣هـ)
-جامعة أم القرى- مكة المكرمة -كلية التربية- قسم التربية الإسلامية والمقارنة (١٣٨-١٤٠) بتصرف.

والدم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ٤٥﴾ [إبراهيم: ٤٥] فامتن **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ٥٨﴾ [الروم: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]^(١).

تسمع قائلاً يقول: الكلمة الطيبة خفيفة الوقع على الأذن، والكلمة الخبيثة شديدة الوقع على الأذن فلا تدرك إلا حقيقة محدودة لا تقف طويلاً عندها، ولا تلتفت كثيراً لما تحدثه من الأثر. وتسمع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٢٤﴾ تَوْتِي أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

فترسم في مخيلتك صورة واضحة كل الوضوح، حولت المعنى المجرد إلى صورة قريبة منك تراها كل يوم هي صورة شجرة من الأشجار المظلة المثمرة تتملاها العين لما يشيع فيها من الحياة ولما تتميز به من جذور ضاربة تقوي صمودها، وأغصان وأوراق تفرش ظلالاً يتفيؤها الناس، وتخرج ثماراً يطعمونها، إنها عظيمة الفائدة، باقية الأثر، أو صورة لشجرة تشغل حيزاً، وتعطل مساحة وتتغلغل جذورها هنا وهناك، تشارك النبات غذاءه وماءه فيضعف

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة (د.ت) (١/٤٨٦).

عوده، ويقل إنتاجه، وإنما لعقيمة لا تثمر أو تزهر، فلا قيمة لها ولا نفع من وجودها فأولى أن تزول»^(١).

إنه تمثيل حي وربط مباشر لحال المؤمن والكافر بشيء محسوس مشاهد تشاهده العيون كل يوم وتعانقه الأبصار كل لحظة فيوقظ في القلب إحساسه ويحرك مشاعره ليندفع في الطريق الصحيح طريق المؤمنين العاملين لأنه الطريق المحمود الممدوح، النافع المفيد، في الدنيا والآخرة، ويحاول بكل ما أوتي من قوة أن يتعد عن طريق الزائغين الهالكين الذي يشبه شجرة لا نفع فيها ولا فائدة؛ بل كل ما فيها ضرر فالناس تنظر إليها نظرة ازدراء واحتقار وهي في النهاية مقطوعة لعدم نفعها وفائدتها، وبهذا يتربى المسلم من خلال هذا المثل على الخير وحبه وحب أهله والمسارة إليه والمسابقة فيه ليدخل تحت هذا الشئ الذي ذكره الله للمؤمنين.

ولقد كثرت الأمثال في القرآن الكريم وجاءت على صور مختلفة وذلك لأجل تقريب البعيد، والترهيب من عمل من خلال تشبيهه وتمثيله بصورة تتقزز منها النفوس، ولتسلية النبي ﷺ فمن ذلك - الأمثال في القرآن - قوله جَلَّ وَعَلَا ﴿مَنْهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ [البقرة: ١٧].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:

[٢٦].

(١) صبيح، محمد أحمد جاد، التربية الإسلامية دراسة مقارنة، دار الجليل بيروت (د.ت).
(١/١٢٥-١٢٦).

وقوله سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ

أَخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقوله سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

وقوله سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ

يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ

فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

من كل ذلك ندرك أهمية ضرب المثل في التربية، وأن هذا الأسلوب ذو تأثير تربوي مستدام، لأنه يعتمد على عنصر الإمتاع بفضل ما يحمله من تذليل لصعوبات الفهم والإدراك، وتسهيله لعملية الربط بين الواقع والإحساس ولقد كثر الاهتمام في القرآن - كما مر معنا - بهذا الأسلوب العظيم فجاءت آياته تحفل بجملة من الأمثال كان لها ولا يزال إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله الأثر الواضح في التربية وتقويم السلوك للأفراد والجماعات ولا غرابة في ذلك فالقرآن كلام اللطيف الخبير العليم بشؤون عباده وأحوالهم وهو أعلم بما يصلحهم ويصلح لهم، بهذا صفت نفوس المؤمنين واستقامت على منهج الحق وطريق الفلاح

والله الهادي إلى سواء السبيل^(١).

ومن خلال الخطوات التالية يتناول الباحث أسلوب ضرب الأمثال من خلال بيان مفهومه وأهميته في تربية الناشئة ثم يختم ببيان آثاره التربوية.

مفهوم الأمثال في اللغة والاصطلاح:

أ- المثل لغة:

«المثل والمثّل بالتحريك: له معان؛ منها النظير والمثيل والشبيه، والمثال الذي يتداوله الناس بضرب إشارة لمعنى مشابه للموقف المشار إليه، والتمثيل بالشيء التنكيل»^(٢).

ب- المثل اصطلاحاً:

عرف الأصفهاني^(٣) المثل بقوله:

«والمثل عبارة عن قول شيء في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره. نحو قولهم: «الصيف ضيعت اللبن» فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك. وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال، فقال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا

(١) جابر: محمد بن سالم بن علي «منهج القرآن في تربية الانسان» موقع الألوكة - بحث غير منشور، مرجع سابق (ص ٥٨-٦٠) تاريخ (١٤-٥-١٤٢٨هـ)، (٣٠-٥ - ٢٠٠٧م) بتصرف يسير.

(٢) ابن فارس: أبو الحسين أحمد علي (١٣٩٩هـ)، معجم مقاييس اللغة - بيروت - دار الفكر (ص ٢٩٦).

(٣) الأصفهاني: الحسين بن محمد (١٤١٢هـ) المفردات في غريب القرآن - بيروت - دار القلم (ص ٧٥٩).

﴿مُتَّصِدًا مِّنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]،
وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

والمثال في الاصطلاح القرآني يطلق على معان عدة:

١- منها: الكلمة الشائعة على الألسن:

وهو المسمى بالمثل السائر أي: المتداول بين الناس، عند حصول موقف مشابه للموقف الذي أطلق فيه المثال، وهذا المعنى المتبادر للأمثال عند الإطلاق، ومنه الأمثال السائرة كقولهم: «الصيف ضيعت اللبن»، وقد جاء من هذا المثل السائر في القرآن لآلئ منثورة.

ومن نماذجه ما ذكره السيوطي في الإتيان:

قوله تعالى: ﴿لَنْ نَّأَلُوهَا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۗ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [٤٣]،
[فاطر: ٤٣] (١)، وهذا النوع تبرز فيه الناحية البلاغية أكثر من الناحية التصويرية
المؤثرة.

(١) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (١٣٩٤) الإتيان في علوم القرآن. القاهرة الهيئة
المصرية العامة للكتاب (مج ٤) (ص ٥٠).

٢- ومنها: ما يكون فيه تشبيه معقول بمحسوس أكثر وضوحاً:

وهو المعروف بالمثل القياسي وهو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: ب(التمثيل والتركيب) فإنه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو قياس أحدهما بالآخر لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير، أو الإقناع العقلي وإقامة الحجة، وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير، والمقارنة بين المثل ومثله.

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [النور: ٥٩]، وهي كثيرة في القرآن، وأثار هذا النوع التربوية أظهر وأعم من سابقه، فهي أعمق تأثيراً وأجلى تصويراً، ويمكن تقسيم هذا النوع إلى قسمين:

أ- **التشبيه التمثيلي:** الذي فيه المثل والممثل والممثل به، وأمثله ما سبق ذكره من التنزيل الحكيم.

ب- **التشبيه الضمني:** وهو ما يلح فيه التشبيه التمثيلي من السياق دون التصريح بذكر المثل والممثل والممثل به، ومن أمثله المذكورة في القرآن

الكريم قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ

اللَّهِ وَتَلَكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٣- ومنها: الأمثال التاريخية:

وهي تمثيل حالة قائمة بصورة تاريخية معروفة لبيان سنة الله في عباده للترغيب والترهيب والوعظ والتذكير، ولتحقيق أهداف تربوية متعددة، ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ أَصْحَبَ الْقَرْيَةَ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٣) [يس: ١٣] فالمعنى المقصود: أن مثلهم كمثل آل فرعون (١).

أهمية أسلوب ضرب المثل:

الأمثال من جميل القول، وحسن الألفاظ، تدل حسن تصرف قائلها في كلامه، وجودة تقريبه للمعاني، وتقرب البعيد، وتجذب نافر القلوب وشارد الذهن. وقد ذكر السيوطي بعض فوائدها بقوله: «الأمثال حكمة العرب في الإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكتابة غير تصريح فيجتمع لها بذلك خلال: منها إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وقد ضرب النبي ﷺ بها هو ومن بعده من السلف» (٢).

وكان السلف -رحمهم الله- يقرأون القرآن كرسائل توجيهية وتنبهات، وعظات واعتبار، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه الأمثال بل يكثر منها لجدواها الإيمانية

(١) السلمي: سلطان رجاء الله سلطان، المضامين التربوية المستنبطة من سورة التحريم وتطبيقها في واقع الأسر المعاصرة. -مرجع سابق- (ص ١٤١-١٤٣).

(٢) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (١٩٩٨م) المزهر في علوم اللغة -بيروت- دار الكتب العلمية (مج ١) (ص ٣٧٤).

والتربوية، فقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل»^(١).

قال ابن كثير: «وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه حيث يقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعٰكِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]»^(٢)، بل كان العلماء الربانيون يستشعرون الخذلان عندما يفوتهم الهدف الرسالي من المثل القرآني.

ولذا قال بعض السلف^(٣): إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعٰكِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ومن الممكن إيجاز أهمية أسلوب ضرب المثل في الجوانب التالية:

١- الجانب اللغوي: وبه تظهر بلاغة المتكلم بإيجاز اللفظ وحسن التشبيه، ووضوح النطق.

٢- الجانب المعنوي: وتبرز فيه قدرة المتكلم على تقريب المراد وإيضاح الفكرة، وإيصالها إلى ذهن السامع.

٣- الجانب التربوي: أي: ما يتركه المثل من أثر نفسي أو تربوي عميق،

(١) ابن حنبل: أحمد بن محمد (١٤٢١هـ) المسند - بيروت - مؤسسة الرسالة، (مج ٢٩) (ص ٣٤١).

(٢) ابن كثير: إسماعيل بن عمر (١٤٢٠هـ)، (مج ٦) (ص ٢٧٩).

(٣) ابن كثير (١٤٢٠هـ) (مج ١) (ص ٢٠٨).

فيتنبه الغافل، وينزجر المكابر، ويتعظ المعرض^(١).

الأثار التربوية لأسلوب ضرب المثل:

ولما يتسم به ضرب المثل من جودة الحديث ونقاء المعنى وإيصال الأفكار بيسر وسهولة، فإن لهذا الأسلوب آثاراً تربوية مهمة تظهر على المربي والناشئة والعملية التربوية كافة، ومن ذلك:

١- أسلوب ضرب المثل يقرب الفكرة فهو يمهد السبيل للمتعلم، ويقرب إليه المعنى الذي قد يند عن فهمه.

٢- أسلوب ضرب المثل من أقرب طرق تبكيت المعاندين والمتعنتين والمجادلين.

٣- في هذا الأسلوب التربوي إبراز للنماذج الصالحة والقذوات النافعة ومآلهم، وبيان أحوالهم للاقتداء بهم والاهتداء بسبيلهم.

٤- وفي هذا الأسلوب إبراز النماذج السلبية ومآلهم للتحذير من اقتفاء سبيلهم واتباع خطواتهم.

٥- ضرب المثل سبيل للإقناع والتأثير، بتصوير الحق بصورته الناصعة والترغيب فيه، وذكر الباطل بصورته القبيحة والتنفير منه وتعريته وكشف حقيقته، والإقناع بالمثل نال نصيباً كبيراً من الأمثال القرآنية.

ومما ورد في بيان حقيقة كلمة التوحيد وثباتها في قلب المؤمن قوله تعالى:

(١) البيانوني: عبد المجيد (١٤١١هـ) ضرب الأمثال في القرآن - دمشق - (ص ٣٧-٣٨).

السلمي: سلطان رجاء الله سلطان - المضامين التربوية المستنبطة من سورة التحريم وتطبيقها في واقع الأسر المعاصرة. - مرجع سابق - (١٤٣-١٤٤).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

ومما ورد لتصوير حال الكافر والمشرِك والمنافق من حيرته وقلق نفسه وتخبُّطه في الظلمات وسرعة استجابته للفتن والمهلكات؛ قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر: ٢٩].

٦- بهذا الأسلوب يستغني المربي بالإشارة في تفاصيل المثل ومواجهة المخاطب بما ينفره، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الجمعة: ٥].

فهذا تقييح لحال من آمن بكتب الله ثم أعرض عنها لا يتعلمها ولا يعمل بها مع إمكان التعلم وتوفر أسبابه.

٧- ضرب المثل يرسخ المعنى المراد إيصاله للمخاطب، ويدافع نزعات التوجهات الخاطئة والانحراف الفكري والسلوكي، قال تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

[الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

قال ابن القيم: «أخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست لمجرد العلم وإنما هي باتباع الحق وإيثاره وقصد مرضاة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فإن كان هذا من أعلم أهل زمانه ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به، فنعوذ بالله من علم لا ينفع»^(١).

٨- يفيد هذا الأسلوب أيضًا في تقويم المسالك، وإصلاح النفوس، وصقل الضمائر، وتهذيب الأخلاق، وتنمية الفضائل السامية.

٩- وفي ضرب الأمثال مجالاً رحباً أيضًا للمكلف فهو يتيح له الغوص في غور الأمثال واستلهاام العبر وتنزيلها على ما يعايشه، والاستفادة منها لحاله التي لا يعايشها ويعرف حقائقها أحدٌ مثله من البشر.

١٠- قد يكون الحديث المباشر في بعض الشؤون أحياناً يسبب حرجاً أو شيئاً من الحساسية للمتحدث، فإذا اتجه لهذا الأسلوب استطاع الوصول إلى هدفه، وإفادة المُخَاطَبِينَ عن طريق المربين - بضرب الأمثال.

١١- واستفادة المربي من هذا الأسلوب، يربطه بأحسن الأمثال المضروبة وهي أمثال القرآن والسنة، مما يربط المربي بالقرآن والسنة ويعايشهما «مع فهمها وتدبرها والإدراك الشامل لأهداف القرآن الكريم وأسلوبه في التأثير والتغير»^(٢).

رابعاً - أسلوب التربية بالقصص القرآني:

تمثل القصة القرآنية أسلوباً فعالاً من أساليب التربية الإسلامية بما لها من

(١) ابن القيم: محمد بن أبي بكر (١٤٠٦هـ) الأمثال في القرآن - طنطا - مكتبة الصحابة (ص ٣٠).

(٢) البيانوني - مرجع سابق - (١٤١١هـ) (ص ١٤٩). (ص ١٤١/١٤٤)، وينظر: السلمي - مرجع سابق - (١٤٥ - ١٤٧) بتصرف.

التأثير العجيب على النفوس، فهي تشد الانتباه، وتوقظ الوجدان، وتحرك العواطف، ولذا يلاحظ كثرة ورودها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة. ومن خلال الخطوات التالية يتناول الباحث أسلوب القصة من خلال بيان مفهومها وأهميتها في تربية الناشئة ثم يختم بيان آثارها التربوية:

أولاً: مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح:

أ- تعريف القصة في اللغة:

القصة مأخوذة من مادة: (قصص) التي تعني تتبع الأثر^(١).

قال ابن منظور: «والقصة الخبر، وهو القصص، وهي الأمر والحديث.

والقصص: الخبر المقصوص، والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها»^(٢).

والقصص: الأثر. قال تعالى: ﴿فَارْتَدَّ عَلَيَّ آثَارُهُمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤].

والقصص: الأخبار المتتبعة. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]^(٣).

وقال الفيومي: «القصة: الشأن والأمر، يقال: ما قصتك؟ أي: ما شأنك؟»^(٤).

(١) الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دراسة وتقديم: البركاوي، دار المنار

(ص: ٢٤٩) وهي تعني: الخبر المقصوص والأثر والشأن.

(٢) ابن منظور، لسان العرب - مصدر سابق - (٧/ ٧٤)، باب الصاد فصل القاف، مادة: (قصص)

(٣) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن - مرجع سابق - (ص ٦٧١) مادة: (قصص).

(٤) الفيومي: المصباح المنير - مصدر سابق - (ص ١٩٣).

ب- تعريف القصة في الاصطلاح:

القصة: «حادثة وقعت، لها بداية ونهاية، مرتبطة بأسباب ونتائج، تتخللها دروس وعبر، يهفو إليها السامع، وينجذب إليها الذهن، ويتحرك لها الفؤاد، ويتأثر منها الوجدان»^(١) (٢).

أهمية التربية بأسلوب القصص:

تعتبر القصة من الأساليب التربوية في القرآن الكريم والتي اهتمت بها التربية الإسلامية في تربية وتوجيه الناشئة، وخصوصاً المربي إذا تمكن من صياغتها في قالب عاطفي مؤثر، كما يقول الجمالي: «القصة تؤثر في النفس إذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر، وهي تجعل القارئ أو السامع يتأثر بما يقرأ أو يسمع، فيميل إلى الخير وينفذه، ويمتعض من الشر فيبتعد عنه»^(٣)، والقصص القرآني ليس له وجهة مقارنة مع القصص الأدبية، فالأول وحي من عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. وأما الثاني فمن صنع البشر».

– يذكر الجمعيد: «أن القصة قد احتلت مساحة كبيرة من آيات القرآن الكريم، يمثل ذلك ما ورد حول قصص الأنبياء مع أقوامهم، وقصة آدم **الطيب**، وقصة

(١) الحدرى: التربية الوقائية في الاسلام - مرجع سابق - (ص ٢٤٨).

(٢) الزيلمي: أحمد بن علي بن عمر - المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقها التربوية - مرجع سابق - (ص ١٣٥ - ١٣٦).

(٣) الجمالي، محمد فاضل: تربية الإنسان الجديد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس (١٩٦٧ م) (ص: ١٣٥).

يوسف عليه السلام، وقصة أصحاب الكهف» (١) (٢).

وانطلاقاً مما سبق فإن المرين في حاجة إلى الإفادة من أسلوب القصة لتحقيق الأهداف التربوية، وغرس القيم الأخلاقية في الأفراد، والتي قد لا تتحقق في كثير من الأساليب التربوية الأخرى، وما ذلك إلا «لأن القصة يهفو إليها الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والذكي المفرط في الذكاء، والمتوسط في ذكائه وقدراته العقلية، إنهم جميعاً بلا استثناء تستهويهم القصة، وتستثيرهم أحداثها، وتؤثر في نفوسهم مواقفها» (٣).

وتتنوع أغراض القصة في القرآن، فبالإضافة إلى أهدافها التربوية، فهي تهتم بالدعوة الإسلامية.

يقول الخطيب: بأنها «أقوى أجهزة التأثير في قيادة الجماعات البشرية، فلا عجب أن تكون القصة في القرآن الكريم ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية، القائمة على الاقتناع العقلي، والاطمئنان القلبي لما تدعو إليه، من الإيمان بالله،

(١) الجعيد، مشعل بن سيف: أساليب التربية النبوية للجنود، رسالة ماجستير غير منشورة،

كلية التربية، جامعة أم القرى - مكة المكرمة (١٤١٨ هـ) (ص ٨٦).

(٢) الفخر خالد بن عوض بن علي: التربية الوقائية وأساليبها في سورة الحجرات وتطبيقاتها

التربوية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة،

رسالة ماجستير غير منشورة (١٤٢١ هـ) (ص: ١٠١ - ١٠٢).

(٣) الحدري: التربية الوقائية في الإسلام - مرجع سابق - (ص ٢٦٠) الزيلي: أحمد بن

علي ابن عمر - المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقاتها التربوية -

مرجع سابق (ص ١٣٧).

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر»^(١).

إن القصة في القرآن الكريم واضحة من خلال سرد أحداث القصة في الآيات القرآنية، ولكن ليس في جميع الآيات، لأن بعضها تحتاج للرجوع إلى سبب نزول الآية، حتى تتم معرفة القصة.

وفي هذا المعنى يقول السيوطي: «قال الواحدي^(٢): لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها».

وقال ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن».

وقال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»^(٣).

إن من مميزات القصة في القرآن الكريم:

أن لها وقعها في النفس، وجذباً في تتبع الأحداث، وتجعل السامع حريصاً في متابعة عرضها، واستحواذ فكره تجاهها حتى النهاية.

وفي هذا يقول القطان: «الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج، يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضي، كان حب الاستطلاع

(١) الخطيب: عبد الكريم، القصص القرآني في منظومه ومفهومه. مكتبة السنة المحمدية، القاهرة - ط ١ - (١٩٦٤ م) (ص ٦).

(٢) الواحدي علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي.. توفي بنيسابور في جمادى الآخرة سنة (٤٦٨ هـ).

(٣) السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ٣ - (١٤١٥ هـ)، (ج ١) (ص ٦١ - ٦٢).

لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس»^(١).

إن أهمية القصص في القرآن الكريم، وباعتباره أسلوباً من أساليب التربية، تكمن في العديد من الأمور التي يجب إبرازها وأخذ العبرة منها حتى يتم تطبيقها في الجوانب التربوية.

وفي هذا المعنى يقول علوان: «وقد منَّ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على رسوله عليه الصلاة والسلام، بأن قص عليه أحسن القصص، ونزل عليه أحسن الحديث، ليكون للناس آية وعبرة، وللرسول **ﷺ** عزماً وثباتاً»^(٢).

ومن الأهمية التي لها دور كبير في التربية عند الأخذ بأسلوب القصص، ما يذكره الهاشمي في عدة نقاط:

- ١- إثارة الشوق لمتابعة أحداث القصة وما يجري، أو كيف كان ذلك، وما النهاية؟
- ٢- إشباع الخيال: فالقصة تنقل السامع إلى الماضي إن كانت كذلك، أو إلى مكان في شرق الأرض أو غربها إن كانت في الوقت الحاضر.
- ٣- زيادة المعلومات بطريق حي، فالقصة التربوية لا تهدف إلى سرد الوقائع فحسب، بل قد يكتنفها معلومات وحكم، من عقيدة سليمة. كما تتضمن عدة وسائل تربوية ونفسية^(٣).

(١) القطان: مناع خليل، مباحث في علوم القرآن - مرجع سابق - (ص ٣٠٥).

(٢) علوان: عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الاسلام، دار السلام، بيروت - ط ٣ - (١٤٠١هـ)، (ج ٢) (ص ٦٩٢).

(٣) الهاشمي: عبد الحميد محمد، الرسول العربي المربي. دار الهدى، الرياض، المملكة العربية السعودية - ط ٢ - (١٤٠٥هـ) (ص ٢٦٠ - ٢٦١).

وتتضح أهمية أسلوب القصص ليست في جوانب محددة فقط، إنما تشمل المجتمع بأكمله، وتعكس الفوائد عليه.

وفي هذا المعنى يقول الخالدي: «ومسلمو هذا الزمان أحوج ما يكونون لتحقيق هذا الهدف القرآني من قصصه، نحن أحوج ما نكون إلى أن نُثَبِّتَ بقصص القرآن أفئدتنا، ونحقق الطمأنينة لقلوبنا، ونرسخ على طريق الحق مواقعنا، وثبت عليها أقدامنا، نحن أحوج الناس إلى هذا، لكثرة المشبطات والمعوقات والمغريات، التي تميز بها هذا العصر، واشتداد المعركة بين الحق والباطل...»^(١).

إن أسلوب القصص من الأساليب القرآنية التي تميزت بأنها الصلة ما بين الفرد المسلم وما بين القيم والمبادئ الإسلامية.

وهذا ما أشار إليه ابن حميد حينما قال: «وجملة القول: أن القرآن الكريم يشتمل على كثير من القصص التربوية، التي تسهم إسهامًا فعالاً في تحقيق أهداف التربية الإسلامية، وذلك لأنها تضع المثل أمام المتعلمين، مما يساعد على غرس كثير من القيم التربوية السامية في نفوسهم، وتتميز القصة في القرآن أنها تمد القراء والجماعات بالقيم الإسلامية الصادقة النابعة منه»^(٢).

مما تقدم تتضح أهمية أسلوب القصة، والتي وردت في القرآن الكريم في الكثير من السور والآيات، والتي تسرد قصص الأمم السابقة، وتحكي أحوال

(١) الخالدي: صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن. دار القلم، دمشق - ط ١ -

(١٤٠٩ هـ) (ص ٢٧).

(٢) ابن حميد: صالح، وآخرون - مرجع سابق - (ج ١) (ص ١٥٦).

الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام. ومما تتميز به القصة في أسلوبها، هو تتبع الأحداث، وتشد ذهن السامع للخلوص إلى النتائج والنهايات. هذا ما يجعل أسلوب القصص في العملية التربوية ذا فائدة عظيمة حينما يربط المربي ما بين الأحداث والنتائج في ذهن الناشئة، وبذلك تتحقق الأهداف والغايات في العملية التربوية^(١).

الأثار التربوية لأسلوب القصة:

للقصة آثار تربوية عظيمة لعل من أهمها ما يلي:

١- القصة الهادفة تربي العواطف: وذلك عن طريق إثارة الانفعالات المختلفة كالخوف والترقب والرضا والارتياح والحب وغيرها، كل ذلك يثار في طيات القصة بما فيها من وصف رائع ووقائع مصطفاة، ثم توجيه هذه الانفعالات حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي النتيجة التي تنتهي إليها القصة، وعن طريق المشاركة الوجدانية حين يندمج القارئ أو السامع مع جو القصة العاطفي حتى يعيش معها بانفعالاته مع شخصياتها^(٢).

٢- توسيع مدارك الفرد: حيث إن القصة تزيد معلومات الفرد بطريقة حية، وتمده بمعارف عديدة، بما يكتنفها من معلومات وحكم وأفكار، توسع مدارك الفرد وتزيد ثقافته.

(١) الفعر: خالد بن عوض بن علي - التربية الوقائية وأساليبها في سورة الحجرات وتطبيقاتها التربوية - مرجع سابق - (ص ١٠٣ - ١٠٥).

(٢) السريحي: محمد بن عيد، بعض المبادئ التربوية المستنبطة من قصة موسى والخضر عليهما السلام، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة (١٤١٩هـ) (ص: ٨٥).

يقول عوض الله: «والقصة القرآنية تقوم بدور كبير في إمداد قارئها وسامعها بمعارف عديدة، حول الإنسان من ناحية اتجاهه وغرائزه، وخصائصه مع نفسه ومع الجماعة التي يعيشها، بالإضافة إلى العديد من المعارف وهي بذلك توسع مدارك الفرد، وتعينه على التكيف الاجتماعي بإمداده بألوان كثيرة من التجارب البشرية الدقيقة، وتنقل التجربة بظروفها وملابسها صادقة بلا زيادة ولا نقص»^(١).

٣- تثبيت الفؤاد وتحقيق الطمأنينة للقلب: وذلك حين تعرض القصة القرآنية أخبار الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام وما شاهدوه من الشدائد والمحن، وكيف قابلوها بثبات وصبر حتى أظهرهم الله.

وفي ذلك يقول الله **عَلَّمَ لَنبِيِّهِ** **رَبِّكَ** **وَكَلَّمَ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ** **فَوَادَكَ** [هود: ١٢٠]، وهذه الآية نزلت على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الفترة المكية وهي فترة حرجة، فاحتاج النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم إلى مواساة وأنس وتثبيت، فجاءه هذا القصص ليثبتهم في غمرة هجوم أهل الباطل الشرس ضد جنود الحق، وهو مما يسلي المُبتَلَى ويريه بعين البصيرة إخوانه الذين ابتُلوا فصبروا وظفروا، فعن خباب بن الأرت **حَوْلَهُ عَنْهُ** قال: شكونا إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه

(١) عوض الله: الأمين، أساليب التربية والتعليم في الإسلام. دار القراءة للجميع، (١٤١٠هـ) (ص ٨٥).

وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء^(١) إلى حضرموت^(٢) لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(٣).

٤- وفي القصص القرآني غرس وتنمية العقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة: وذلك من خلال ما تعرضه القصة القرآنية من قصص الأمم الماضية وأخبارها وعرض عقائدها المنحرفة وكيف تصدي لها الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وبيان بطلانها.

وكيف كان حالهم من الصبر والثبات وتحمل الأذى في سبيل إبلاغ رسالة الله

(١) صنعاء: هي: عاصمة الجمهورية اليمنية، وهي محافظة في وسط الجزء الغربي من جمهورية اليمن، وهي واحدة من المدن اليمنية القديمة التي يعود تاريخها إلى سلالة سبأ من القرن السادس قبل الميلاد وكان اسمها أولاً (أزال) فلما نزل بها الأحباش ونظروا إلى مبانيها المشيدة بالحجارة قالوا: هذه صنعاء، ومعناها بلسانهم: حصينة، فسميت لذلك باسم (صنعاء) كما تعرف اليوم، وينظر: الموسوعة الحرة.

(٢) محافظة حضرموت: هي محافظة تقع شرق الجمهورية اليمنية وتحتل ٣٦٪ من مساحتها، وتتكون حضرموت من ثلاثين مديرية، وعاصمتها هي مدينة المكلا وأكبر مدنها، وتأتي مدينة المكلا في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية في اليمن بعد صنعاء وعدن، وتحدها السعودية من الشمال، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الشمال الغربي محافظتي مأرب والجوف، ومن الشرق محافظة المهرة، ومن الغرب محافظة شبوة، وتبعد عن العاصمة صنعاء بحدود (٧٩٤) كيلو متراً.

وينظر: المركز الوطني للمعلومات، نبذة تعريفية عن محافظة حضرموت، تاريخ اللوج ٢٣ آذار ٢٠١١ ميلادي، وينظر: الموسوعة الحرة.

(٣) البخاري (١٤٠٧هـ): محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري - بيروت - دار ابن كثير (ج٦) (ص٢٥٤٦) (٢٢ مكرر).

للناس، وما تحلوا به من الأخلاق والفضائل الحميدة الأمر الذي يجعل الفرد يأخذ العبرة والعظة من ذلك فتتأثر نفسه ويستقيم على أثرها سلوكه وأخلاقه^(١).

٥- في الأسلوب القصصي تشويق للمتلقي، ومنأى له عن الملل، فالقصة تسري إلى النفس بأريحية وانبساط، «وتسترسل مع سياقها المشاعر لا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزهار والثمار.

والدروس التلقينية والإلقاءية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة. وإلى أمد قصير. ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعاً وأكثر فائدة، والمعهود -حتى في حياة الطفولة- أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يُروى له، فيحاكيه ويقصه»^(٢).

٦- في القصة تفعيل لقوى الإنسان الفكرية وقدراته الذهنية «حيث تشترك كل الاستعدادات والمدارك في متابعتها بيقظة تامة وحرص كبير على ألا يتفلت منها شيء فتشرب المعلومات بطريق مباشر أو غير مباشر، وتنسل الأفكار إلى النفس بسرعة وتتمكن من الأعماق»^(٣).

(١) الزيلعي: أحمد بن علي بن عمر - المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفاتحة وتطبيقاتها التربوية - مرجع سابق - (ص ١٣٩-١٤٢) بتصرف يسير.

(٢) القطان: مناع خليل (١٤٢١هـ) مباحث في علوم القرآن. الرياض: مكتبة المعارف، (ص ١٤٧).

(٣) ملك، بدر محمد؛ أبو طالب، خليل محمد (١٤٠٩هـ)، السبق التربوي في فكر الشافعي. الكويت: مكتبة المنار (ص ٣٧١).

٧- القصة بعيدة الأثر، قليلة النسيان، تتمكن من المشاعر، وتأسر الأحاسيس، فيبقى أثرها وتهذيبها أكثر من بعض الأساليب التربوية الأخرى فإن الكلمات قد تنسى، ولكن الوقائع قلما تُنسى.

٨- التربية بالقصة قابلة لشتى مجالات التربية في نفس الإنسان كما ورد استخدامها في القرآن لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح، وتربية العقل، وتربية الجسم، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس، والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة، فهي سجل حافل لجميع التوريدات^(١).

٩- في تدبر قصص القرآن استكشاف السنن الربانية، وهي من أهم ما تعلمه الإنسان وفيها خلاصة تجارب الأمم، ومجموع نتائج الأحداث، ومن تأمل هذه السنن الربانية أبصر ما لا يبصره غير المتأملين، وفيها ما يسر المؤمنين من التمكين والنصر لهم، والهلاك والعذاب للمكذبين، وفي القصص دعوة مباشرة وغير مباشرة.

١٠- هذا الأسلوب شديد التأثير في المتلقي، يأخذ بتلابيب قلبه إلى هدف القصة، ويُسكن في القلب وحيها، ومن هنا يتاح للمربي مجال لتثبيت أهدافه ومثله.

يشير المذكور إلى أثر القصة فيقول: «والتربية بالقصة لون من التربية باستخدام الحدث، ولكنه حدث خارجي يقع لأشخاص غير قارئ القصة أو مستمعها

(١) قطب، محمد (١٤٠٢هـ). منهج التربية الإسلامية. -بيروت- دار الشروق (مج ١) (ص ١٩٤).

ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كما لو كان يقع للقارئ أو المستمع ذاته، وهذا التأثير للقصة يقع عن طريقين اثنين في وقتٍ واحد:

أحدهما: هو المشاركة الوجدانية، فالمستمع أو المشاهد أو القارئ يتابع حركة الأشخاص في القصة ويتفاعل معهم فيفرح لفرحهم أو يحزن عليهم، أو يتشفى فيهم كما لو كانوا أحياء يتحركون أمامه.

أما الطريق الآخر: فربما كان يتم عن غير وعي كامل من الإنسان، ذلك أن قارئ القصة أو سامعها يضع نفسه أمام أشخاص القصة، ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينهم وبينه، فإن كانوا في موقف الرفعة والتميز تمنى لو كان في موقفهم، وإن كان في موقف يثير الازدراء والكرهية حمد لنفسه أنه ليس كذلك، وبهذا التأثير تثير القصة الانفعالات وتؤثر تأثيراً توجيهياً بقدر ما تكون طريقة الأداء بليغة ومؤثرة والمواقف إنسانية^(١).

١١- في القصص عبرة وعظة ورحمة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

١٢- في قصص السابقين ربط لمشاعر الأخوة الإيمانية وإن لم نعاصرهم، بل تخرق القرون حتى تلتقي المشاعر الأخوية.

قال **عجل** عن مؤمني الأخدود الذين عذبهم وفتنهم ملكهم في القرون السابقة:

﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ⑤ إِذْ هُرِّعَتْهَا لِقَعُودِ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) مذكور: أحمد علي (٢٠٠٢ م) منهج التربية في التصور الإسلامي. القاهرة: دار الفكر العربي (ص ٣٣٣).

شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ [البروج: ٤-٩].

١٣- أسلوب القصة يرسخ القيم الإيمانية في النفوس، ف «القصة تُعدُّ أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق وتصوير العادات ورسم خلجات النفوس كما أنها إذا شرف غرضها ونبل قصدها وحسنت موضوعاتها تهذب الطباع وترقق القلوب وتدفع الناس إلى التمسك بالمثل العليا والقيم الكريمة والمعاني السامية»^(١).

١٤- التربية بالقصة يسهل ربط الناشئة بالقدوات، من الأنبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم والصالحين والصالحات.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتِهِمْ آفَتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

١٥- التربية بالقصص القرآني تتضمن المعاني الإيجابية والأهداف التربوية وتخلو مما تتضمنه بعض القصص والروايات الخرافية من التخويف والتفريع بقصص الرعب المخيف، وقصص السخرية من الآخرين، والتجسس، وإظهار الشخصية البطولية ذات القوة الخارقة التي لا تتورع عن أي تصرف لقهر الخصم، وتنشئ الطفل على العسف والظلم والقوة كوسيلة وحيدة لحل جميع المشاكل، وتغنيه أيضاً عن القصص المبنية على تدبير المقالب المضحكة والمواقف الغريبة التي تحتوي على مقاطع تنافي الآداب والأخلاق الكريمة،

(١) عبدالعال: محمد قطب (د.ت) نظرات في قصص القرآن. مكة المكرمة: مطابع رابطة

بقصص الرعب المخيف، وقصص السخرية من الآخرين، والتجسس، وإظهار الشخصية البطولية ذات القوة الخارقة التي لا تتورع عن أي تصرف لقهق الخضم، وتنشئ الطفل على العسف والظلم والقوة كوسيلة وحيدة لحل جميع المشاكل، وتغنيه أيضاً عن القصص المبنية على تدبير المقالب المضحكة والمواقف الغريبة التي تحتوي على مقاطع تنافي الآداب والأخلاق الكريمة، مما تؤثر سلباً على المتلقي ولا تؤسس لطفل ذي قيم ومبادئ سامية وأخلاق كريمة، بل طفل يبحث عن المتعة والتسلية فقط بعيداً عن الجدية والعمل الصالح والمثابرة والبذل والتضحية.

١٦ - تُسهم القصة القرآنية بما تحويه من أساليب إيمانية ومبادئ تربوية - في غرس المبادئ الإيمانية والأسس التربوية والأهداف السامية في نفس الفرد عامة والطفل خاصة، والوصول إلى المعلومات العلمية الجادة، وتدريبه على الربط والتحليل والاستنتاج والمقارنة، كما أنها تنمي لدى الطفل المفردات اللغوية إذ إن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين.

وبهذا ينتهي المبحث الأول.

والحمد لله رب العالمين.

أبو عبد الرحمن

عرفة بن طنطاوي

arafatantawy@hotmail.com

فهرس الموضوعات

- الافتتاحية ٥
- المقدمة ٦
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره ٧
- حقيقة الأمانة ومفهومها ٨
- فالمعنى العام للأمانة: يتناول جميع الأوامر والنواهي الشرعية ٨
- للتربية الحسنة ثمار عظيمة في الدنيا والآخرة، من أهمها ١٣
- أولاً: في الدنيا ١٣
- ثانياً: في الآخرة: الانتفاع بدعاء الولد الصالح ١٤
- يجمع الله بين الآباء والأبناء الصالحين في الجنة في الدار الآخرة ١٥
- عظم شأن الأمانة ١٥
- وتفسير الأمانة بالتكاليف الشرعية ١٦
- الدراسات السابقة للموضوع ٢٠
- خطوات خطة البحث ٢١

المبحث الأول: عناية الإسلام بتربية الأبناء

- المبحث الأول عناية الإسلام بتربية الأبناء ٢٩

المطلب الأول تعريف التربية في اللغة والاصطلاح ٣١

مفهوم تربية الأبناء..... ٣١

أولاً: تعريف التربية لغة ٣١

والتربية مشتقة من أصول ثلاثة ٣٣

الأصل الأول ٣٣

الأصل الثاني ٣٣

الأصل الثالث ٣٣

مفهوم التربية في الاصطلاح ٣٤

المطلب الثاني خصائص المنهج الإسلامي التربوي ٣٦

١- الشمول للقضايا (الفكرية - والعقدية - والعقلية) ٣٦

٢- التوازن: فهي شاملة الإعداد للحياة الدنيا والآخرة ٣٧

التوازن والاعتدال ٣٧

٣- الربانية: التربية الإسلامية تربية ربانية ٣٩

٤- الثبات والمرونة: الجمع بين الثبات والمرونة ٤٠

دلائل الثبات والمرونة في مصادر الإسلام وأحكامه ٤١

وفي أحكام الشريعة نجدها تنقسم إلى قسمين بارزين ٤٢

الثبات والمرونة في الهدى النبوي ٤٤

المطلب الثالث روافد التربية الإسلامية ٤٩

ويأتي من أبرز وأهم هذه المؤسسات التربوية في المجتمع ٤٩

أولاً: الأسرة ٥٠

- ٥٠ دور الأسرة في رعاية الأولاد
- ٥١ أولاً: تعريف الأسرة
- ٥٣ ثانياً: مسؤولية الأسرة التربوية تجاه الأبناء
- ٧٠ ثالثاً: أهمية المعاملة الحسنة (المعتدلة)
- ٧٠ النوع الأول: المعاملة القاسية
- ٧٠ النوع الثاني: المعاملة اللينة
- ٧٠ النوع الثالث: المعاملة المعتدلة (المعاملة الحسنة)
- ٧١ رابعاً: التحذير من أهم المخاطر التي تواجه الأسرة
- ٧١ مخاطر تواجه الأسرة
- ٧١ أ-التناقض بين أقوال الوالدين وأفعالهما
- ب- الانفصام بين روافد التربية وهي (الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام) ٧٢
- ج- وجود الخادمت والمربيات في البيوت ٧٢
- د- وسائل الإعلام ٧٤
- هـ- الفراغ وعدم الإفادة من الوقت ٧٥
- وأخيراً؛ أذكر مجموعة من التوجيهات التربوية الموجزة ٨١
- ثانياً: المسجد ٨٣
- ثالثاً: المدرسة ٩٨
- التعاون بين الأسرة والمدرسة ١٠٢
- رابعاً: الإعلام ١٠٣

خامساً: دور روافد التربية مجتمعة..... ١٠٦

والخلاصة ١٠٩

المطلب الرابع أهمية تربية الأبناء ١١١

أهمية التربية عموماً ١١١

وتبرز أهمية تربية الأبناء خصوصاً من جانبين عظيمين ١١٢

الجانب الأول: تحقيق العبودية الصحيحة لله تعالى، وهي الغاية من وجود

الخلق..... ١١٢

الجانب الثاني: أهمية تربية الأبناء في ضوء حفظ الأمن العام في المجتمع ١١٧

الأمر الأول: المقاصد الشرعية ١١٩

التعريف بالمقاصد الشرعية..... ١١٩

تعريف المقاصد في اللغة..... ١١٩

تعريف المقاصد الشرعية اصطلاحاً..... ١١٩

الأمر الثاني: التعريف بالضرورات الخمس ١٢١

أقسام المقاصد الشرعية..... ١٢١

القسم الأول: المقاصد الضرورية..... ١٢٢

القسم الثاني: المقاصد الحاجية..... ١٢٢

القسم الثالث: المقاصد التحسينية..... ١٢٢

التعريف بالضرورات الخمس (المقاصد الضرورية)..... ١٢٣

أولاً: حفظ الضروريات ١٢٣

حفظ الشرائع للضروريات ١٢٣

- الأدلة على مراعاة الضروريات الخمس ١٢٤
- استقراء أدلة الشرع ١٢٤
- (١) حفظ الدين ١٢٩
- (٢) حفظ النفس ١٣١
- (٣) حفظ النسل ١٣٥
- (٤) حفظ المال ١٣٨
- (٥) حفظ العقل ١٤٠
- أولاً: بيان الحكمة من تحريم مفسدات العقل ١٤١
- ثانياً: تحريم الخمر ووجوب الحد على شاربه ١٤١
- ثالثاً: تحريم المفسدات المعنوية للعقل ١٤٤
- المطلب الخامس مظاهر عناية الإسلام بتربية الأبناء** ١٤٥
- المظهر الأول اختيار الزوجين ١٤٦
- المظهر الأول: أسس اختيار الزوجين ١٤٧
- أ- أسس اختيار الزوجة ١٤٧
- أولاً: أن تكون ذات دين ١٤٧
- أما المال ١٤٨
- وأما الجمال ١٤٩
- وأما الحسب ١٤٩
- وأما الدين ١٤٩
- ثانياً: تفضيل الزوجة الودود ١٤٩

- ثالثاً: تفضيل الزوجة الولود ١٥١
- رابعاً: تقديم ذوات الأبنكار ١٥٢
- ب- أسس اختيار الزوج ١٥٢
- الخلق والدين أولاً ١٥٢
- المظهر الثاني: المعاشرة بالمعروف ١٥٤
- حقوق الزوجين وواجباتهما ١٥٦
- أولاً: حقوق الزوج على زوجته ١٥٦
- أولاً: وجوب الطاعة ١٥٧
- ثانياً: تسليم نفسها لزوجها وتمكينه من حق الاستمتاع بها ١٥٧
- ثالثاً: ألا تدخل أحدًا بيته إلا بإذنه ١٥٨
- رابعاً: عدم الخروج من بيتها إلا بإذنه ١٥٨
- خامساً: تعليمها أمر دينها، وتأديبها إذا دعت الحاجة ١٥٨
- سادساً: خدمة زوجها بالمعروف ١٥٩
- سابعاً: معاشرتها لزوجها بالمعروف ١٥٩
- ثانياً: حقوق الزوجة على زوجها ١٦٠
- ١- الحقوق الماليّة ١٦١
- أ- الصداق ١٦١
- ب- النفقة ١٦١
- ج- السكنى ١٦٢
- ٢- الحقوق الحسية والمعنوية ١٦٢

- أ- العدل بين الزوجات ١٦٢
- ب- حسن العشرة..... ١٦٢
- وختامًا ١٦٩
- المظهر الثالث- التربية بالقدوة ١٧١
- مفهوم القدوة في اللغة والاصطلاح ١٧١
- أولاً: القدوة الحسنة..... ١٧٢
- ثانياً: القدوة السيئة ١٧٢
- الحاجة إلى القدوة الحسنة في التربية..... ١٧٢
- أهم سمات ومقومات المربي القدوة ١٧٩
- أولاً: الصلاح والتقوى ١٨٠
- ثمار التقوى ١٨٥
- ثانياً: الإخلاص لله في القول والعمل ١٨٦
- تعريف الإخلاص ١٨٦
- ومن أجلّ علامات الإخلاص ١٨٨
- ثالثاً: الاستقامة على دين الله ١٩٠
- تعريف الاستقامة..... ١٩٠
- رابعاً: حسن الخلق ١٩٣
- تعريف حسن الخلق ١٩٣
- خامساً: وجوب موافقة القول بالعمل، وذم من خالف قوله فعله ١٩٨
- الوعيد الشديد لمن خالف قوله فعله..... ٢٠١

- سادساً: القدوة شخصيته مستقلة..... ٢٠٣
- سابعاً: المعرفة بوسائل التأثير في المجتمع ٢٠٥
- ثامناً: الاعتدال والتوسط في شؤونه كلها ٢٠٥
- وأنَّ من أَجَلِّ آثارها وأظهرها ما يلي ٢٠٦
- التحذير من القدوة السيئة..... ٢٠٧
- القدوة السيئة خطر التأثير وسبل المواجهة..... ٢٠٧
- أولاً: دور القدوة السيئة في توجيه الناشئة إلى المفساد ٢٠٨
- ثانياً: عناصر الجذب في القدوة السيئة..... ٢٠٩
- ١- الشهرة أو ما يسمى بـ(النجومية)..... ٢١٠
- ٢- الاقتدار والسلطة..... ٢١٠
- ٣- الإيحاء بالمظلومية..... ٢١٠
- ثالثاً: أسباب وقوع الخطأ في تحديد القدوة ٢١١
- ١- فساد أحد الوالدين أو كليهما..... ٢١١
- ٢- الفراغ العاطفي والروحي ٢١١
- ٣- اختلال منظومة القيم..... ٢١١
- ٤- انخفاض القدرات العقلية..... ٢١٢
- المظهر الرابع: التبكير في عملية التربية: (التربية مبكراً)..... ٢١٣
- أولاً: التنشئة على العقيدة ٢١٦
- أ-الإيمان بالله تعالى ٢١٦
- ب- العمل الصالح ٢١٧

- ج- حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ ٢١٨
- د- حب السلف الصالح ٢١٩
- هـ- التوسط والاعتدال ٢٢٠
- و- الولاء والبراء ٢٢٠
- معالم تربية الأولاد على عقيدة التوحيد ٢٢٢
- ثانياً: تربيتهم على الأخلاق الإسلامية والآداب الشرعية ٢٢٥
- ثالثاً: إلزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسئولة بدءاً بأركان الإسلام ٢٣٢
- أولاً الابن الصغير ٢٣٦
- ثانياً: الابن الكبير ٢٣٧
- مشروعية التأديب بالهجر ٢٣٧
- أولاً: دليل الكتاب على مشروعية التأديب بالهجر ٢٣٧
- ثانياً: دليل السنة على مشروعية التأديب بالهجر ٢٣٨
- ثالثاً: دليل التأديب بالهجر من عمل الصحابة ي ٢٤٠
- هجر الولد والتلميذ ٢٤١
- شروط الهجر ٢٤٢
- المطلب السادس أساليب القرآن الكريم في التربية ٢٤٧
- تعريف الأساليب التربوية في اللغة والاصطلاح ٢٤٨
- أولاً: المعنى اللغوي ٢٤٨
- تعريف الأساليب لغة ٢٤٨

- ومن معاني الأسلوب لغة ٢٤٨
- ثانياً: المعنى الاصطلاحي ٢٤٩
- أولاً: أسلوب التربية بالأمر والنهي ٢٥٠
- معنى الأمر في اللغة ٢٥٠
- معنى الأمر في الاصطلاح ٢٥١
- معنى النهي في اللغة ٢٥١
- معنى النهي في الاصطلاح ٢٥١
- أهمية التربية بأسلوب الأمر والنهي ٢٥١
- وجوب تعظيم الأمر والنهي وعلاقته بالإيمان بالله تعالى ٢٥٢
- تمهيد حول تعظيم الأمر والنهي ٢٥٢
- الأمر والنهي بين: (الدلائل، واللوازم، والآثار، والثواب والعقاب) .. ٢٥٤
- أولاً: علامات ودلائل تعظيم الأوامر والمناهي ٢٥٤
- أ- من علامات ودلائل تعظيم الأوامر ٢٥٤
- ب- من علامات ودلائل تعظيم المناهي ٢٥٤
- ثانياً: من لوازم تعظيم أمر الله ونهيه ٢٥٥
- ومن أهم تلك اللوازم ٢٥٥
- ١- الانقياد التام والإذعان لأمر الله ونهيه، دون أيّ اختيار أو تردد ٢٥٥
- ٢- عدم وجود أدنى ضيق أو حرج في النفس مع التسليم للأمر والنهي ٢٥٧
- ثالثاً: ومن أجل آثار تعظيم الأمر والنهي ٢٥٩
- رابعاً وختاماً: الأمر والنهي بين الثواب والعقاب ٢٥٩

- ثانيًا: التربية بأسلوب الترغيب والترهيب ٢٦١
- أولاً: مفهوم الترغيب والترهيب ٢٦١
- (أ). مفهوم الترغيب في اللغة والاصطلاح ٢٦١
- ١- تعريف الترغيب لغة ٢٦١
- ٢- تعريف الترغيب في الاصطلاح ٢٦٢
- (ب). مفهوم الترغيب ٢٦٣
- ١- تعريف الترغيب في اللغة ٢٦٣
- ٢- تعريف الترغيب في الاصطلاح ٢٦٣
- ثانيًا: أهمية التربية بأسلوب الترغيب والترهيب ٢٦٣
- أقسام الترغيب والترهيب ٢٦٦
- أما الأساس الأول: نوع الترغيب والترهيب ٢٦٦
- القسم الأول: الترغيب والترهيب المادي الحسي ٢٦٦
- القسم الثاني: الترغيب والترهيب المعنوي ٢٦٦
- أما الترغيب المعنوي ٢٦٦
- وأما الأساس الثاني: على أساس تعجيل أو تأجيل الثواب أو العقاب ٢٦٧
- الدلالات التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب ٢٦٨
- أ- المحبة ٢٧٠
- ب- الرجاء ٢٧١
- قوة أسلوب الترغيب والترهيب في الإقناع ٢٧٣
- الآثار التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب ٢٧٥

- ثالثاً: التربية بأسلوب ضرب الأمثال ٢٧٩
- مفهوم الأمثال في اللغة والاصطلاح ٢٨٣
- أ- المثل لغة ٢٨٣
- ب- المثل اصطلاحاً ٢٨٣
- والمثال في الاصطلاح القرآني يطلق على معانٍ عدة ٢٨٤
- ١- منها: الكلمة الشائعة على الألسن ٢٨٤
- ٢- ومنها: ما يكون فيه تشبيه معقول بمحسوس أكثر وضوحاً ٢٨٥
- أ- التشبيه التمثيلي ٢٨٥
- ب- التشبيه الضمني ٢٨٥
- ٣- ومنها: الأمثال التاريخية ٢٨٦
- أهمية أسلوب ضرب المثل ٢٨٦
- الآثار التربوية لأسلوب ضرب المثل ٢٨٨
- رابعاً: أسلوب التربية بالقصص القرآني ٢٩٠
- أولاً: مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح ٢٩١
- أ- تعريف القصة في اللغة ٢٩١
- ب- تعريف القصة في الاصطلاح ٢٩٢
- أهمية التربية بأسلوب القصص ٢٩٢
- إنَّ من مميزات القصة في القرآن الكريم ٢٩٤
- الآثار التربوية لأسلوب القصة ٢٩٧
- فهرس الموضوعات ٣٠٥

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن وآله.

وبعد:

فإن شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب إلا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تعد علوم القرآن من أجل العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدراً وأزكاها، وأعظمها أثراً ونفعاً، والبشرية عموماً والأمة خصوصاً لها أكثر احتياجاً على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني أي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، ومجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفاً مرمواً، وعلو قدر وشأن، ورفعة مكانة، وسمو رتبة؛ إذ جعلهم الله مرجعاً للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأمانى، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلوهمة وإقبال نفس لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، وينزل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشايب الرحمة، مع ما يورثه ربه من انشراح صدره وطمأنينة لنفسه وتركية لظواهره وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوب سهل التناول قريب المآخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تنفيذ العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة.

* تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عموماً وللباحثين المختصين خصوصاً؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجل كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج القوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المظهر بصلته، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدة، وشرية، ومنهاجاً، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

من إصدارات المركز موسوعة "تأصيل علوم التنزيل"

وهذه ضمن مؤلفات العبد الضعيف الفقير إلى عفوريته ورحمته ومغفرته:

عزومة باقر بن عفا
عفا الله عنه

الرئيس العام لمركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

وها هي مرتبة على النحو التالي:

- ١ - معالم التوحيد في فاتحة الكتاب - (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه) (مطبوع ومنشور عن دار المأثور - بالمدينة النبوية - ١٤٤١هـ)
- ٢ - عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)
- ٣ - التقرير لأصول وقواعد علم التفسير - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٤ - تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٥ - المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٦ - المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٧ - دلالات التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٨ - الشفعة بين الجمع العثماني والأخرف السبعة في (مجلدين) وهذا البحث يعد موسوعة علمية مستقلة.
- ٩ - أحسن المناحي في إثبات أن الرسم العثماني توقيفي لا اصطلاحي
- ١٠ - الفتح الرباني في دلالات الإعجاز البياني - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١١ - صيانة كلام الرحمن عن مطاعن أهل الزيغ والروغان - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١٢ - موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١٣ - الذهب الإبريز في خصائص الكتاب العزيز
- ١٤ - جنى الخرفة في إبطال القول بالصرفة - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١٥ - آيات بينات في إعجاز القرآن في إخباره عن المغيبات (دراسة تحليلية موضوعية)
- ١٦ - التبيين في بيان وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن
- ١٧ - إيجاز القول في الإعجاز
- ١٨ - التحدي في القرآن
- ١٩ - صحيح المنقول الموافق لصريح المعقول في مناقشة ثلاثة تفاسير رتبته على ترتيب النزل.

- ٢٠- البرهان في حقيقة حب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه للقرآن
- ٢١- إتحاف أهل الإيمان بدراسة الجمع الصوتي للقرآن "الجمع الرابع للقرآن الكريم" - تاريخ - وأحداث - وقائع - وأحكام - "دراسة تاريخية تأصيلية"
- ٢٢- آفات ومعوقات في طريق التسجيل الصوتي للقرآن
- ٢٣- بلوغ المرام في قصة ظهور أول مصحف مرتل في تاريخ الإسلام
- ٢٤- توجيه أهل الإيمان لضوابط تسجيل القرآن
- ٢٥- الكواشف الجليلة في حكم قراءة القرآن بالمقامات الموسيقية
- أو: فصل النزاع بين التنغي بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"
- ٢٦- إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
- ٢٧- التبصرة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة (مطبوع ومنشور عن دار المآثور - بالمدينة النبوية - ١٤٣٧هـ)
- ٢٨- تبصرة أولي الأبواب بمعاني فاتحة الكتاب - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٢٩- كشف الوقيعه في بطلان دعوى التقريب بين السنة والشيعه
- ٣٠- التقيية أساس دين الشيعة الإمامية
- ٣١- قطع العلائق للتفكر في عبودية الخلائق
- ٣٢- الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته (مطبوع ومنشور عن دار المآثور - بالمدينة النبوية - ١٤٣٧هـ)
- ٣٣- (التوحيد من الكتاب والسنة) (مفهومه ومعناه - حقائقه وفضائله - دلائله ونواقضه)
- ٣٤- دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل. (إياك نعبد وإياك نستعين)
- ٣٥- أطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف: (المنعم عليهم - المغضوب عليهم - الضالين)
- ٣٦- أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان
- وغيرها من البحوث - قيد التنسيق - .

مركز تاصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

تاصيل

مركز تاصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية